الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم: التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط

الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ/ 8-9م

من إعداد الطالب:
محمد عليلي

تحت إشراف الأستاذ:
د. معروف بلحاج

لجنة المناقشة

أ.د/ عبد الحميد حاجيات – رئيسا – أستاذ التعليم العالي – جامعة تلمسان
أ.د/ معروف بلحاج – مشرفا و مقررا – أستاذ التعليم العالي – جامعة تلمسان
أ.د/ بن معمر محمد – عضوا – أستاذ التعليم العالي – جامعة وهران
د/ مبخوت بودواية – عضوا – أستاذ محاضر – جامعة تلمسان
د/ عبدلي لخضر – عضوا – أستاذ محاضر – جامعة تلمسان

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/ 2007-2008م

الملخص

يتضمن هذا البحث دراسة التطور الفكري لبلاد المغرب الإسلامي في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين الموافق للثامن والتاسع الميلاديين , مع الإشارة إلى الظروف السياسية التي أحاطت بنشأة الدولة الرستمية والدولة الأغلبية . وكذلك العوامل التي ساعدت على تطور العلوم في كلتا الدولتين. لاسيما العلوم النقليّة التي كان لها أثر كبير في المغرب الإسلامي , دون إهمال العلوم العقليّة من أدب وتاريخ وفلسفة ورياضيات وطب في المجتمعين التاهرتي والقيرواني .

الكلمات المفتاحيّة : الإشعاع الفكري -الإنتاج الفكري -التسامح - المؤسسات التعليميّة -العلوم النقليّة - العلوم العقلية - الدولة الأغلبيّة- الدولة الرستميّة.

Abstract

The present research deals with the intellectual development in the Islamic Maghrib in the era of -Aghlabids and the rostemids during the second and the third centuries of hegira those concords with the 8th and 9th centuries. It also covers the political conditions that surrounded the birth of the Rostemid and el-Aghlabid states as well as the factors that enabled the improvement of the sciences in both states, with regard to the jurisprudential sciences that had the greatest effect in the Islamic Maghrib, without neglecting the mental sciences as literature, history, philosophy, mathematics and medicine in both societies of Tahert and kairawane.

Key words: the intellectual production- the intellectual diffusion- the tolerance- the educational institutions- the jurisprudential sciences- the mental sciences- the Aghlabid state, the Rostemid state.

Résumé

La présente recherche consiste a étudier le développement intellectuel au Maghreb Musulman pendant la période des Aghlabides et des Rostemide entre le 2eme et 3eme siècle de hedjire correspondant au 8eme et 9eme siècle .La recherche se base sur les faits politiques qui ont accompagnés les deux états, et d'autre part sur les facteurs qui ont poussés l'évolution des sciences, notamment les sciences jurisprudentielles qui ont eu un grand effet au Maghreb Musulman. Et par degré moins les sciences mentales ; lettres, histoire, philosophie, mathématique,et médicine, au sein des deux sociétés Tahert et Kairouan .

Mots clés : L'épanouissement intellectuel - La production intellectuelle-La tolérance, Les institution éducatives-Les sciences jurisprudentielles -les sciences mentales- Le royaume Rostemide -Le royaume Aghlabide .

إهداء

إلى والدتي التي شجّعتني بدعواتها وإلى والدي ... إلى عائلتي كلّها وأقربائي ... إلى كل صاحب فكر نافع لوطنه ولأمّته ...وإلى روح من تلقّيت على يده مبادئ اللغة العربية الأستاذ أحمد سعيداني رحمه الله .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل

شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر الجزيل والاحترام الكبير إلى الأستاذ المشرف الدكتور بلحاج معروف الذي ساعدني كثيرا على انجاز هذه الرسالة وقد استفدت من التّوجيهات والنّصائح التي كان يقدّمها لي وهو يتتبّع خطوات البحث , وقد لمست منه الحرص الشّديد على تنبيهي إلى تصحيح الأخطاء المنهجيّة أثناء كتابة البحث. والحقيقة أنّه لم يبخل عليّ في تزويدي بالمراجع المتعلّقة بهذه المذكّرة . فاستسمحه إن كنت قد أخذت من وقته الثمين . كما لا أنسى أن أتوجّه بشكري العميق واحترامي الكبير للأساتذة الأفاضل الذين أطّرونا خلال السنة النظريّة وهم لخضر العبدلي صاحب مشروع الماجستير و بودواية مبخوت رئيس قسم التاريخ وعبد الحميد حاجيات ونصرالدين بن داود وعبد المجيد بوجلّة وأستاذة اللغة الإنجليزيّة السيدة حمان وكذلك أستاذ الإعلام الآلي بودغن .

وأشكر أيضا كل من ساعدني في انجاز هذه المذكّرة ولو بالكلمة الطيّبة

المقدمة

المقدمة

لاشكّ أنّ دراسة الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي في القرنين: 2-3 الهجريين/8-9 الملاديين موضوع جدير بالبحث لما له من أهمية تاريخية وحضارية .باعتبار ذلك التحوّل الفكري والثقافي الذي عرفته بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري انطلاقا من المغرب الأدنى إلى أن وصل إلى الأندلس .

إنّ دخول البربر في الإسلام هو مؤشر على الانضواء تحت الحضارة لإسلامية والتفاعل مع هذه الثقافة بإيجابية لابل والمساهمة في نشر الإسلام عقيدة وثقافة في المغرب الإسلامي والمناطق المتاخمة له في الضّفة الشماليّة من البحر الأبيض المتوسّط كالأندلس وصقيليّة وكذلك في السودان الغربي.

ومن جهة أخرى فإنّ الزخم الفكري والثقافي الذي واكب تسرب المذاهب والفرق الإسلامية إلى المغرب الإسلامي كان من العوامل الأساسية في قيام نهضة فكرية كبيرة ,لأنّ الأفكار المذهبية, على اختلاف مشاربها ,وجد أصحابها في المغرب تربة خصبة لنموّها وانتشارها. كما أنّ اقتناع البربر بهذه الأفكار التي كانت متماشية مع طبيعتهم حيث شكّلت حجر الزاوية في بناء ثقافة وحضارة مغربية أسهمت بدون شك في تطور الحضارة العربية الإسلامية عامة في ذلك العصر ,وقد كان التفاعل الثقافي بين البربر والعرب الفاتحين الميزة البارزة في هذا البناء الفكري .

تميّز القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي بمجموعة من التطورات السياسية وتحديدا في النصف الثاني منه ترجمت ما كان يحدث في المشرق من صراع سياسي حول الخلافة وهو ماتمخض عن تأسيس دول مستقلّة عن مركز الخلافة على أسس مذهبيّة .وكانت هذه الدول الإطار الذي شكّل ما يمكن تسميته بالنّهضة الفكرية الثقافية في المغرب الإسلامي.

وقد جاء اختياري لدراسة الإشعاع الفكري عند الأغالبة والرستميّين في المغرب الإسلامي في القرنين 2-3هـ /8-9م من منطلق الرغبة في الوقوف على الاسهامات الفكرية والحضارية للمغرب في هذه الفترة وبالتالي تسليط الضوء على هذه المرحلة التاريخية التي تعدّ الانطلاقة الأولى في مسار التطور الحضاري لهذه المنطقة.

وقد كان اهتمامي بهذا الموضوع منصبّا في الأساس على البحث عن الحقيقة التاريخية من خلال تصحيح بعض المفاهيم والمغالطات التاريخية التي دأب بعض المستشرقين على تقديمها حول تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط لاسما ماتعلّق منه بعلاقة البربر بالعرب الفاتحين أو بعلاقة البربر بالإسلام نفسه فهم يعمدون كثيرا إلى تضخيم ماهو سلبي وتحجيم ماهو إيجابي .

لايختلف اثنان على أنّ النّهضة الفكريّة في بلاد المغرب الإسلامي كانت وليدة عوامل وظروف إقليميّة , فماهي العوامل التي ساهمت في تفعيل الحركة العلميّة في كل من الدّولة الرستميّة والدولة الأغلبيّة .؟

لقد كان للعلماء دور أساسي في تنشيط الحياة الثقافيّة لاسيما داخل المراكز الحضاريّة كتاهرت والقيروان من خلال إنتاجهم الفكري المتعدد الأوجه , فماهي مظاهر ذلك التطوّر الفكري في حياة الرستميّين والأغالبة .؟

لاشكّ أنّ لتعدّد المذاهب تأثيرا على الحركة العلميّة والنهضة الفكريّة في بلاد المغرب الإسلامي,فهل كان ذلك إيجابيا أم سلبيّا .؟

للإجابة على الاشكاليّة المطروحة اعتمدت على منهجين أساسيين هما :

- المنهج التاريخي في تتبّع المراحل والأحداث التاريخية التي مرّت عليها الدولتان , الرستميّة والأغلبيّة و اقتفاء آثار العلماء .
- المنهج التحليلي والمقارن في استقراء الأحداث التاريخيّة وإستنباط الاستنتاجات من خلال المقارنة بين أراء المذاهب التي أنتجت زخما فكريا في بلاد المغرب الإسلامي .

وللوصول إلى نتائج علميّة ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدّمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة

استعرضت في الفصل التمهيدي مفاهيم عامة تتعلّق بمصطلحات ذات صلة وثيقة بالموضوع والفصل الأول خصصته للأوضاع السياسية للمغرب الاسلامي خلال القرنين 2-3هجريين /8-9ملاديين من حيث الوضعية الإدارية لبلاد المغرب أو ماعرف بعصر الولاة بدءا من حسان بن النعمان الذي وضع الأسس الأولى للإدارة في المغرب كما أشرت إلى طبيعة العلاقة بين الولاة والبربر وتطرقت إلى الظروف التي واكبت تأسيس الدول الرستمية ودولة الأغالبة .

أما الفصل الثاني فقد عالجت فيه العوامل التي ساعدت على ظهور الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي وتحديدا في عهد الأغالبة والرستميّين وقد ركّزت فيه على دور المدن وماحتوته من مؤسسات تعليمية وكذلك دور الأمراء والأئمة في تشجيع الحركة الأدبية والعلمية .

بينما الفصل الثالث تناولت فيه الانتاج الفكري في عهد الرستميّين بنوعيه العلوم النقلية والعلوم العقلية وأبرزت طائفة من الفقهاء والعلماء الذين أثروا الحياة الفكرية في الدّولة الرستميّة بإنتاجهم الفقهي والأدبي من خلال مؤلفاتهم.

والفصل الرابع خصّصته للإنتاج الفكري في عهد الأغالبة واستعرضت فيه أهم العلوم التي نشأت وتطورت في هذا العهد على منوال الفصل السابق .

الخاتمة :بيّنت فيها أهم ماوصلت إليه من نتائج واستنتاجات عامة حول موضوع البحث .

لقد اعترضتني بعض الصعوبات في انجاز هذا البحث, وذلك سمة من سمات البحث التاريخي تتمثّل في مشكل الاتّصال بكل المصادر التاريخيّة التي تناولت تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط , فاستجلاء الحقيقة التاريخية غالبا ما يتطلب الحيطة والتثبت في استقاء المعلومات من المصادر والمراجع التاريخيّة وتمحيصها بناء على الاستقراء والتحليل والمقارنة لاسيما في مايتعلق بتاريخ المغرب الإسلامي في العصرالوسيط ,لأنّ كتابات بعض المؤرخين تطغى عليها النزعة المذهبية فتحيد عن الموضوعية ,لابل إنها تميل إلى المبالغة في غالب الأحيان وهو ما يجعل استخلاص الحقيقة التاريخية من الصعوبة بمكان.

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر وقد تفاوتت في قيمتها التاريخية من حيث أنّ بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع البحث وكذلك من حيث قربها الزمني من الأحداث وأهم هذه المصادر :

-**ابن الصغير**(عاش في القرن 3هـ) الذي ألّف كتابا سمّاه " **أخبار وسير الأئمة الرستميّين** " ويعدّ مصدرا متخصصا في تاريخ الدولة الرستمية و تكمن أهميته التاريخية في أنّ ابن الصغير عاصر الأحداث التي أرّخ لها من جهة, ولأنّ مذهبه السني جعل من المادة العلمية التي احتواها المصدر قريبة من الموضوعية ,ولو أنّه انحاز إلى سرد الأحداث السّياسية في تاهرت.

-**أبو زكريا يحي بن أبي بكر الورجلاني** (ت سنة 471هـ/1078م) ,**الذي ألّف كتاب "سير الأئمّة وأخبارهم** "وقد تناول فيه سير أئمة المذهب الاباضي في المغرب الاسلامي, وتطرّق فيه أيضا لسير أئمّة الدّولة الرستميّة وأهم الأحداث التي ميّزت فترة حكم هؤلاء الأئمّة .وبذلك فهو مصدر مهم لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ الدولة الرستميّة .

-**الشهرستاني** (ت سنة 548هـ) وهوصاحب كتاب " **الملل والنحل**" ,يعدّ من أهم المصادر التي عالجت نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية وتطوّراتها والأفكار التي أسّس عليها كل مذهب .وقد اعتمدت على الجزء الثاني منه الذي يتناول تاريخ ظهور الفرق الإسلامية والتي انتشرت في المغرب الإسلامي.

-**ابن الأثير**(ت سنة 630هـ/1231م) الذي عرف بمؤلّفه "**الكامل في التاريخ** "يصنّف ضمن المصادرالتاريخيّة العامة, تناول تاريخ المشرق الإسلامي متابعا التسلسل الكرونولوجي للأحداث التاريخية وقد خصّص جانبا منها لبعض الأحداث في المغرب لكن بشكل مقتضب .اعتمدت على الجزء الرابع والخامس والسادس .

-**ابن عذارى المراكشي**(ت سنة 712هـ/1312م) ,الذي ألّف كتاب"**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** " وهو من أمهات المصادر التاريخية المغربيّة , تناول الأوضاع السياسة لبلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي والدول التي نشأت في هذه الفترة .

-**ابن خلدون (ت سنة 808هـ/,1406م)**: يعدّ كتابه "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" أهم المصادر في التاريخ الاسلامي التي لايمكن الاستغناء عنها ,و فيه إشارة إلى بعض الأحداث التي واكبت تأسيس الدولة الأغلبية ,بينما لم نجد إلا اشارة عابرة عن الرستميّين . اعتمدت فيه على الجزء الرابع والسادس والسابع .إضافة إلى "**المقدمة** " وهي الجزء الأول من كتاب العبر, خاصة بالعمران البشري وما يتّصل به من علوم وفنون وصنائع وهومصدر غني بالمفاهيم والمصطلحات في التاريخ الاسلامي.

ومن كتب الطبقات اعتمدت على مجموعة من المصادر في مقدمتها :

-**أبو العرب**(ت سنة 333هـ/944م) صاحب كتاب " **طبقات علماء إفريقية وتونس**" اشتمل على تراجم لعدد كبير من فقهاء المالكية في المغرب .وتكمن قيمته العلميّة في كون صاحبه قريبا من الأحداث التاريخيّة التي أرّخ لها .

-**الدرجيني**(ت سنة 670هـ-1272م) , يعدّ كتابه "**طبقات المشائخ في المغرب**" من أهم المصادر الإباضيّة التي تناولت تاريخ الاباضية في المغرب الإسلامي . استعرض فيه سير فقهاء وعلماء الاباضية في المغرب كما خصّص حيزا مهمّا لسير الأئمة الرستميّين واعتمدت على الجزء الأول منه .

-**الدباغ** (ت سنة 696هـ/1297م) , ألّف كتابه "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" اشتمل هذا المصدر على تراجم لمجموعة من فقهاء المالكية الذين عاشوا في إفريقية في القرنين 2-3هجريين مع التركيز على أشهر هؤلاء الفقهاء.

بالإضافة إلى كتب الرحّالة من أمثال؛ اليعقوبي(ت سنة284هـ-897م),صاحب كتاب "**البلدان** "وابن حوقل (ت سنة 368هـ/977م), مؤلّف كتاب "**صورة الأرض**" و البكري (ت سنة487هـ/1094م) الذي عرف بمؤلّفه "**المسالك والممالك**" ومنه أخذ كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" وياقوت الحموي (ت سنة 626هـ/1229) الذي اشتهر بكتاب "**معجم البلدان**" اعتمدت منه على الجزء 4,3,2,1.

وكانت الضرورة العلميّة والمنهجيّة تقتضي الرجوع إلى المراجع المتخصّصة فاعتمدت على مجموعة لابأس بها ومنها :

-**محمد الطالبي** , مؤلّف كتاب " **الدولة الأغلبية -التاريخ السياسي**"يتميّز هذا المرجع بغزارة مادته العلميّة يستعرض مختلف التطورات السياسية للدولة الأغلبية كم تضمّن بعض الجوانب الفكرية. يمتاز باعتماد منهج التحليل والاستنتاج واستقراء الأحداث التاريخية استفدت منه في استخلاص الحياة الفكرية في الدولة الأغلبية انطلاقا من سير أمراء هذه الدولة والأحداث التي ميزت فترات حكمهم.

-**رابح بونار**, ومن أهم مراجعه كتاب "**المغرب العربي-تاريخه وثقافته**" ,وهومرجع ثري بالمادة العلمية المتعلّقة بالجانب الثقافي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى عهد المرابطين اعتمدت عليه في انتقاء المادة العلمية المتعلّقة بسير الفقهاء والعلماء في الدولة الرستميّة والدولة الأغلبية .

-**عبد الكريم يوسف جودت** , مؤلّف كتاب " **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية** " ,يمتازهذا المرجع في ابرازمكانة الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي وطبيعة العلاقات التي

ربطتها مع جيرانها ودورها في تنشيط الحركة الفكريّة في المغرب الأوسط لاسيما العلاقات المذهبية.

-**إبراهيم بحاز**, رصد في كتابه "**الدولة الرستمية -دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-**" تاريخ الدولة الرستمية المتعلّق بالجانب الاقتصادي والفكري وعرض العوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية وأهم العلوم التي راجت في العهد الرستمي وهو الجانب الذي أفادني في البحث .

-**سعد زغلول عبد الحميد** ,من أهم مؤلّفاته " **المغرب العربي الكبير الجزء الثالث** " أهمية هذا المرجع هي عرض الأحداث بتفصيل وقد اعتمدت عليه في انتقاء بعض المعلومات المتعلّقة بالجانب السياسي وحتى الجانب الفكري نظرا لما احتواه من عرض حول فترات حكم الأمراء الأغالبة وعلاقتهم بالعلماء والفقهاء خاصة الفقيه سحنون وبنه محمد .

اعتمدت كذلك على عدد من المجلات والدوريات التي تضمنت مقالات تارخية لها علاقة بموضوع البحث امتازت بمادة علمية ثرية في شكل مناقشات وأراء لنخبة من الأساتذة المؤرخين من أهمها محاضرات الملتقى الخامس والحادي عشر والثالث عشر للفكر الإسلامي .

واستعنت كذلك على مراجع باللغة الأجنبية من أهمها :

Qautier .Emil .Felix : Le passe de L’Afrique du nord

استعرض الظروف السياسية التي أحاطت بتأسيس الدول المستقلّة في المغرب الإسلامي مع الإشارة إلى انتشار المذاهب والفرق الدينية منذ القرن 2هـ/8م.

Abdallah laroui : L’histoire du magreb.

وهو عبارة عن دراسة نقدية تحليلية لتاريخ المغرب في مختلف عصوره التاريخية.

أتمنى أن أكون قد وفّقت في بلوغ الهدف الذي رسمته في انجاز هذا العمل ولو بالقدر اليسير، فإن كان هناك من نقائص أو إخفاق، فسأعمل على تداركها مستقبلا لأنّي أعتبر أنّ هذا البحث ما هو إلاّ بداية مشجّعة تفتح لي الآفاق لبحوث مستقلية في حقل البحث التاريخي .

وفي النهاية لا يسعني إلاّ أن أجددّ شكري وامتناني للأستاذ المشرف الذي تتبّع خطوات البحث من أولها إلى آخرها.

الفصل التمهيدي:

مفاهيم عامة

1-مفهوم الفكر:

2-مفهوم الثقافة :

3-مفهوم الحضارة :

إنّ الإشعاع الفكري لأي أمّة أو مجتمع هو ذلك الإنتاج الحضاري الذي يتلخّص في صورة إبداع أو إنتاج أدبي و علمي وهو قاعدة تقوم عليها وتنشأ بها الحضارة وبما أنّنا نتحدّث عن المغرب الإسلامي وموقعه ضمن الإشعاع الفكري الإسلامي في القرنين:2 و3الهجريين /8و9 الملاديين فلابدّ أن نتحدث عن الإنتاج في العلوم العقلية باعتبارها السمة البارزة في التطور الحضاري للأمة الإسلامية في عصورها الأولى. لابل إنّ تطورالثقافة والفكر الإسلاميين ضل مرتبطا ارتباطا عضويا بالعقيدة الإسلامية في إطار منظومة حضارية إسلامية متكاملة .

ودراسة موضوع الإشعاع الفكري عند الرستميّين و الأغالبة يقتضي منّا أولا تحديد مفاهيم: الفكر والثقافة والحضارة.

1-مفهوم الفكر :

أ-لـغـــة:

الفكر في اللغة هو إعمال الخاطر في الشيئ . يقال رجل فكّير أي كثير الفكر أو كثير التفكر والتأمل [1] استعمال العقل.أوالتأمل للحصول على المعارف والعلوم المختلفة.

ب-إصطلاحا:

يقسم الفكر إلى ثلاثة مراتب أوأنواع: الفكر العملي وهو الذي يستعمله الإنسان للحصول على حاجاته اليومية, الفكر الإجتماعي وهو الذي يتلقاه الإنسان من المجتمع وينظم علاقة الفرد بالمجتمع على شكل قوانين أخلاقية وسلوكيية, أما الفكر النظري[2] فهو الذي يستعمله الفرد في الحصول على العلوم ويميّز الإنسان عن الحيوان وطبعا الفكر لايتحوّل إلى قوة إبداعية إلاّ باتصاله بالمحيط الخارجي.

2-مفهوم الثقافة:

أ-لـغــة

أمّا الثقافة فتتعدد وتختلف تعاريفها في لغة العرب ,فهي تعني الفطنة والحذق كما يقول فريد وجدي في دائرة معارف القرن20المجلد 2 أنّ الثقافة مشتقّة من الفعل ثقف بمعنى حذق , فطن وثقف

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ,المجلد 2 , دار لسان العرب , بيروت لبنان ,ص1120.

(2) عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند بن خلدون , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , ط 2, الجزائر , 1981 , ص67,65.

العلم في أسرع وقت أي فهمه سريعا.[1] ومن معانيها أيضا ,وجود شيئ والعثورعليه [2] ,يقال ثقف الشيئ أي وجده كما في الآية الكريمة﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾.[3] وتعني كذلك تسوية الشيئ وتقويم اعوجاجه وتستعمل كذلك بمعنى التّهذيب والتّأديب . [4]

ب-إصطلاحا:

مصطلح الثقافة حديث النّشأة عرفته أوروبا في عصر النّهضة له تفسيرات مختلفة. فكلمة ثقافة مأخوذة [5] منagriculture أي إصلاح الأرض وزراعتها والشبه, بين الفلاحة والثقافة هو أن الثقافة تهذب العقل مثلما تصلح الفلاحة الأرض يعني إصلاح الشيء, وتهذيبه وإعداده للإستعمال.

وغالبا ما يخضع مفهوم الثقافة للتفسير الايديولوجي , فالمدرسة الغربية ترى أنّ الثقافة هي ثمرة الفكر أي ثمرة الإنسان .بينما المدرسة الماركسية ترى في الثقافة ثمرة لتطور المجتمع.

أمّا مالك بن نبي فيعرّف الثقافة بقوله :" هي الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في مجتمع آخر .[6] وهو تعريف عام وشامل للثّقافة.

إذا كانت الثقافة تتميّز بالخصوصية حسب مالك بن نبي فما هي علاقتها بالعلم.؟

في الحقيقة هناك اختلاف بين الثقافة والعلم , والفرق هو أنّ الثقافة مجموعة من المعارف تؤخذ عن طريق الأخبار والتوارث عبر الأجيال خاصة بالأمة التي أنتجتها ,كالتاريخ والأدب والفلسفة والفقه والتفسير والحديث[7] بينما العلم فهو العلم بحقيقة الشيء ,وهو معرفة تستند إلى أسس معلومة قائمة على الملاحظة والتّجربة والاستنتاج كالفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم وأهمّ خاصيّة تميّزه هو أنّه عالمي لا يختص بأمّة معينة, فهو إرث إنساني مشترك تستفيد من نتائجه كل الأمم والشّعوب.

---

(1) مالك بن نبي :مشكلة الثقافة,ترجمة عبد الصبور شاهين , دار الفكر للطباعة والنشر ,دمشق ,1984, ص 19.

(2) محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة ومآسي رجالها , شركة الشهاب . الجزائر , ص 9.

(3) "سورة البقرة" الآية 191.

(4) محمد بن عبد الكريم الجزائري: المرجع نفسه , ص 11.

(5) سليمان الخطيب: أسس مفهم الحضارة في الإسلام, ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر ,بدون تاريخ , ص25.

(6) مالك بن نبي : تأملات ,دار الفكر للطباعة والنشر دمشق سوريا , ط 5 ,1991 ,ص 147.

(7) سميح عاطف الزين : الثقافةو الثقافة الإسلامية ,دار الكتاب اللبناني دار الكتاب المصري بيروت ,ط1979,2 , ص 31.

3-مفهوم الحضارة :

أ-لغة :

الحضارة مفهوم عام لغة تعني الحضر أي الإقامة في المدن [1] أو الاستقرار بماو الذي هو عامل من عوامل التّطور عكس البداوة واستعمل لفظ الحضارة بمعنى التطور والتقدّم في كل الميادين.

ب-إصطلاحا:

أمّا من الناحية الإصطلاحية هناك عدّة تعاريف نورد أهمها:

هي ذلك الكل المتكامل ممّا أنتجه أو أنجزه الإنسان في جميع النواحي الفكرية والإجتماعيةو العمرانية والأخلاقية, أي كل ما يتعلق بحياة الإنسان في جانبها المعنوي والمادي.

ولفظ الحضارة مشتق من الكلمة اللاتينية Civis بمعنى المدينة أو civilis بمعنى مدني أو متعلّق بالمدينة[2] وأحيانا يستخدم البعض كلمة ثقافة على أنّها رديف للحضارة بشكل يوحي بنفس الدّلالة, إلاّ أنّ هناك فرقا بيّن بينهما وهو أنّ الثقافة متضمّنة في الحضارة أو هي جزء منها .

يعرّف ابن خلدون الحضارةبقوله:" والحضارة إنما هي تفنّن في الترّف وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش". [3] نستتنج من هذا القول أنّ الحضارة هي الجانب المادي للتطور والتقدم ونظرية ابن خلدون في الحضارة يربطها بالأطوار التي ترتقي فيها الدول وهي ثلاث:

-طور البداوة:[4] هي حياة البداوة الخشنة البعيدة عن المدنية حيث تكون خشونة هذا الجيل صورة من خشونة الطبيعة وهو مايعبّر عنه بالجيل الأول حيث تمكنه قوّة العصبيّة من تأسيس الدولة .

-طور التحضر: وهي مرحلة تأسيس الدولة حيث الانتقال إلى الجيل الثاني الذي يشيّد الملك ويؤسّس الدولة, إذ ينتقل من العمران البدوي إلى العمران الحضري حيث الإستقرار في المدن .

(1) سليمان الخطيب : المرجع السابق , ص25.

(2) عبد الرحمن علي الحجي:أضواء على الحضارة والتراث, شركة الشهاب للنشر والتوزيع , الجزائر ,دون تاريخ , ص67.

(3) ابن خلدون : المقدمة ,دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ,ط2004,1 ,بيروت لبنان .ص172.

(4) البداوة حسب مفهوم ابن خلدون تعني بداية الحياة أو العمران تكون في الصحراء أو الريف ,عن زينب الخضري :فلسفة التاريخ عند ابن خلدون دارالثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , 1989 , ص 207, 208 .

-طور التّدهور: يمثّله الجيل الثالث إذ يفقد العصبية ويتغلّب عليه التّرف فتنهار الدولة على يديه .
وشبنغلر حيينما يعرف الحضارة في كتابه"أفول الغرب" فإنه يشبّها بالإنسان في أطوار حياته فهي تمرّ بدور الشباب حيث تتوّفر القوة والإبداع ثمّ تظهر عليها علامات الشّيخوخة فتسقط وتموت[1] وبذلك يحاكي ابن خلدون في نظريته في تطور الدولة .

بينما تعريف المؤرخ البريطاني جون أرنولد توينبي(1889م-1975م)[2] الذي اعتمد دراسة مقارنة للحضارات صنفها إلى قسمين:

-1-الحضارة الأصلية: وهي الحضارات التي نشأت دون الإتصال بحضارات سابقة وكانت قاعدة ارتكزت عليها واقتبست منها الحضارات التي أعقبتها ممثلة في حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية.

-2-الحضارة المشتقة:[3] وهي التي اقتبست وارتكزت على ماسبقها من حضارات.

كما أن توينبي يضيف خاصيّة هامّة في الحضارة وهي عنصر التحدي[4]فبقدر ما توفّر التّحدي في أي أمّة ازدادت قوة حضارتها وامتد إشعاعها وتأثيرها إلى أبعد الحدود واستمرت طويلا .

يستند تعريف مالك بن نبي للحضارة على دراسة حركية التاريخ التي تساهم فيها عوالم ثلاث : تأثير عالم الأشخاص-تأثير عالم الأفكار و تأثيرعالم الأشياء[5] في شكل متكامل ومترابط يجعل الإنسان محور التأثير, ولايغفل دور الدين باعتباره عنصرا أساسيا من حيث تنظيم العلاقات الاجتماعية في إطارها الأخلاقي حتى يحقّق الإنسجام في السّلوك الإجتماعي

والحضارة عند مالك بن نبي تقوم على المعادلة التيالية : الحضارة= إنسان +تراب +وقت .[6]

وتعرّف الحضارة أيضا بأنّها محاولات الإنسان في الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم كلّها.
يقول ول ديورنت :"ليس التاريخ إلاّ موكب الدول والحضارات التي تنشأ وتزدهر ثم تضمحلّ وتفنى

(1) نعمان عبد الرازق السامرائي : في التفسير الإسلامي للتاريخ , دار الشهاب , باتنة , الجزائر , بدون تاريخ , ص123.
(2) آمنة تشيكو :مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1989 , ص65.
(2) المرجع نفسه , ص 70.
(4) نعمان عبد الرازق السمرائي : المرجع نفسه , ص114.
(5) آمنة تشيكو : المرجع نفسه , ص 116.
(6) المرجع نفسه , ص 118.

ولكن كلا منها تخلّف وراءها تراثا من العادات والأخلاق والفنون تتلقاها عنها الحضارات التي تأتي من بعدها فهي كالعدّائين في سباق يسلّم كل منهم مصباح الحياة إلى غيره"[1].

ومن المسلّم به أنّ الحضارات البشرية, قديمها وحديثها إرث إنساني مشترك فلايوجد حضارة إلاّ وتأثّرت بما سبقها من الحضارات وأثّرت على ما تلاها. لأنّ التّواصل الحضاري بين الشعوب والأمم تفرضه عوامل اقتصادية و سياسية واجتماعية.و للحضارة مظاهر بارزة هي على الشكل التالي:

-المظهر السياسي: يتمثّل في نظم الحكم ومؤسساته.

-المظهر الإقتصادي: وسائل الإنتاج وتكوين الثّروة وتبادل المنتوجات.

-المظهر الإجتماعي : تكوّن من المجتمع ونظمه ونظام الأسرة.

-المظهر الفكري :يتمثّل في الفلسفة والعلوم والآداب.

-المظهر الديني : يشمل المعتقدات الدينية والعبادات.

-المظهر الفني : يعني الفن المعماري والنّحت والرسم والموسيقى[2].

نستنتج من هذه التّعاريف أنّ الفكر والثقافة والحضارة ليست مدلولا واحدا إنما تحمل دلالات ومفاهيم مختلفة , فالحضارة أوسع وأعمّ من الفكر والثقافة , فهذان العنصران الأخيران متضمنان فيها. والفكر هو القاعدة الأساسية لنشأة الحضارات.لأنّ الإنجازات الحضارية في مختلف المجالات ماهي إلاّ انعكاس لإبداع الفكر الإنساني في صوره المادية والمعنوية وبذلك يكون الفكر جزءا من الثقافة والحضارة , وهو أساس في نمو وتطور أي حضارة, فلا يمكن وجود حضارة دون فكر ,وبهذا الشّكل تصبح العلاقة بين هذه المفاهيم , تكاملية خاضعة لمبدإ التأثير والتأثر.

إنّ القصد من استعراضنا لهذه التعاريف والمفاهيم للفكرو الثقافة والحضارة هو استخلاص العلاقات وضبط المفاهيم بالشّكل الذي يجعلنا نحدّد مسار بحثنا هذا بعيدا عن أي تداخل أوخلط في المفاهيم .

(1) ول وايرل ديورنت :قصة الحضارة, المجلد 1, محمد عبد المنعم , دار الجيل , ط1, بيروت , لبنان , 1988 ص 9.
(2) المرجع نفسه , ص10.

لا شكّ أنّ لكل أمّة خصوصياتها الفكرية الثقافية التي تحدّد لها هويتها الحضارية وموقعها ضمن الحضارات الإنسانية, والحضارة العربية الإسلامية استمدت هويتها من الإسلام ,فالمنجزات الحضارية بشقّيها المادي والمعنوي صقلت بالطابع الإسلامي,و خضعت للمعايير الأخلاقية .

وبماأنّ موضوعنا يتناول الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي القرنين2و3الهجريين/8و9الملاديين عند الرستميين والأغالبة فإنه ينصبّ حول جانب مهم من جوانب الحضارة العربية الإسلامية بشكلها العام. وهو الجانب العلمي للحضارة سواء ما تعلق منه بالعلوم النقلية أو العقلية . وما نلاحظه هو غلبة العلوم النقلية على العلوم العقلية خاصة في المغرب الإسلامي في هذه الفترة والسبب في الإهتمام بالعلوم الشرعية له أسبابه الوجيهة وهي أنّ الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي لمختلف الأقاليم إقتضت تعليم الناس أمور دينهم لذلك كثر الإنتاج في المجال الشرعي من فقه[1] وتفسير وحديث.[2] كما كان للتّمذهب أثره في الإشعاع الفكري لأنّ الدّفاع عن أي مذهب كان لابدّ له من إنتاج فكري يعزّز مكانته واستمراريته. والمراد بالإشعاع الفكري هو تلك الومضة الحضارية التي عرفها المغرب الإسلامي في القرنين: 2و3هجريين /8و9ملاديين في الدولتين الرستمية والأغلبية والتي هي في الحقيقة عملية بناء لقاعدة حضارية إسلامية مغربية ميّزها التفاعل الثقافي بين مختلف أقطار المغرب .

---

(1) الفقه هوالعلم بالشيئ والفهم له ,يقال فقه الشيئ أي فهمه , وهو الغالب على العلوم الشرعية لسيادته وفضله على سائر أنواع العلم ينظر ابن منظور : لسان العرب المجلد الثاني , تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ,إعداد وتصنيف يوسف خياط ,دار لسان العرب , بيروت, ص1119.

والفقه اصطلاحا العلم بالدين والتبحر فيه واستنباط أحكامه الشرعية من مصادر ه الاصلية فهوعلم التشريع الديني , يقال فلان فقيه أي ضليع في أحكام الشرع, ينظر أنور الرفاعي :الإسلام في حضارته ونظمه ,دار الفكر دمشق , ط2 , 1982 , ص 581. ص581.

يعرفه بن خلدون الفقه على أنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة , وهي متلقاة من الكتاب والسنة ,ينظر ابن خلدون , المقدمة , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت لبنان ,2004,ص427.

يعرفه أبو حامد الغزالي بقوله :" كان إسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة " . ينظر أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ,المجلد الأول تحقيق ومراجعة محمد سعيد محمد ., دار البيان العربي , ط1, مصر, 2005, ص 44.

هو مصطلح يعني الأحكام الدينية سواء في مايخص العبادات أو المعاملات أو السلوك الخلقي المنسجم مع روح الإسلام والفقه نشأ من الحاجة إلى حل المشاكل التي تعترض الناس في حياتهم العملية أو في أمور الفروض الدينية , ينظر عبد القادر زبادية (نشأة المدارس الفقهية في الإسلام) مجلة الأصالة العدد1,مارس 1971, ,ص 43.

(2) بدأ الإهتمام بالحديث وتدوينه مع أوائل القرن الثاني الهجري لذ لك كثر المحدثين في الاقاليم الإسلامية ,ينظر حسن إبارهيم حسن, تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي الجزء 2 , دار الجيل بيروت تونس ,مكتبة النهضة المصرية , القاهرة ,ط15 , 2001م , ص271.

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي
خلال القرنين :2 و3 الهجريين/8 و9 الملاديين

أولا-وضعية المغرب الاسلامي الإدارية قبل ظهور الدّول المستقلة:

ثانيا- نشأةالدولة الرستمية ونظام حكمها :

ثالثا- نشأة الدولة الأغلبية ونظام حكمها :

أولا-وضعية المغرب الإسلامي الإدارية قبل ظهور الدّول المستقلّة:

لقد أرسى حسان بن النعمان الوجود الإسلامي في بلاد المغرب بإنتصاره على الكاهن سنة 84هـ/699م [1] وبذلك تنتهي مرحلة الفتح الإسلامي التي تميزت بعدم الإستقرار لتبدأ مرحلة جديدة وهي ما أصطلح عليه بعصر الولاّة وفق تنظيم إداري وضع لبنته الأولى حسان بن لنعمان , مما يعني أنّ بلاد المغرب أصبحت إقليما من أقاليم الدولة الإسلامية. وقد تم تقسيمها على الشكل التالي :

-تونس والمناطق الواقعة شمالها .

-الزاب وقاعدته طبنة .

-قسطيلية (بلاد الجريد حاليا) قاعدتها توزر .

-طرابلس إلى برقة قاعدتها طرابلس .

-المغرب الأقصى إلى مناطق السوس قاعدتها واليلي أو طنجة .[2]

فتعاقب عليها عدد من الولاة كان يتم تعيينهم من دمشق عاصمة الخلافة إلى غاية قيام الدولة الأغلبية في إفريقية184هـ/800م, فطوال هذه الفترة شهد المغرب أحداثا بارزة هامة شكلت معالمه السياسية والمذهبية صنعتها طبيعة العلاقة بين البربر والولاة الممثلين للخلافة في المغرب , من هؤلاء الولاة :

-موسى بن نصير :

تولّى الإمارة بين 85-95هـ/704م-714م [3] في عهد عبد الملك بن مروان ثم ابنه الوليد بعد ذلك. قام بجهود كبيرة لإخضاع قبائل المغرب الأقصى للإسلام بما فيها قبائل السوس الأقصى, ثم بدأ يخطط لفتح الأندلس وقد أثمرت جهوده مع مولاه طارق بن زياد بفتحها92هـ/711م كان موسى بن نصير يطمح إلى تحقيق انجاز أكبر من هذا وهو استكمال الفتح والوصول إلى القسطنطينية, لكن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه رسولا يدعوه إلى العودة إلى دمشق.سنة 95هـ/713م. [4]

(1) رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , 1968 , ص 17.

(2) محمد الفاضل بن عاشور : المحاضرات المغربيات , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر ,الدارالتونسية للنشر ,تونس , ص 13.

(3) ابن خلدون: العبر ج4 ,دار إحياء التراث العربي بيروت ط1. 1995 ,ص191. ويخالفه ابن الأثير في ذلك حيث يذكر سنة89هـ كتاريخ لتولية سليمان بن عبد الملك , ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج4 , دار الكتاب العربي ,ط6 , بيروت , لبنان , بدون تاريخ , ص32.

(4) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين ج2 ,مكتبة الجامعة العربية , بيروت , لبنان ,ط3 ,1966 , ص207 .

في سنة 97هـ/716م ولى سليمان بن عبد الملك-الخليفة الجديد-عبد الله بن موسى بن نصير على إفريقية ثم استعمل عليها محمدا بن يزيد القرشي.[1]

-إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر: [2]

ولاّه عمر بن عبد العزيز بعد عزل محمد بن يزيد القرشي عرف بمعاملته الحسنة للبربر إستبعد أسلوب القوة في مهامه بل استخدم الحكمة والرفق لاستمالة قلوبهم للإسلام وقد نجح أكثر من الولاة السابقين في كسب ود البربر وتحقيق أهدافه.

-يزيد بن أبي مسلم :

تولى أمور إفريقية 101هـ/720م [3] هو مولى الحجاج وصاحب شرطته على المغرب, انتهج سياسة مخالفة لما عرف بها سلفه إسماعيل بن عبد الله, فقد أعاد الجزية على البربروهم مسلمون وهو سبب كان كافيا لنقمة السكان عليه في ثورة أدت إلى مقتله سنة102هـ/720م.[4]

-بشر بن صفوان الكلبي: 103هـ/ 721م[5].

ثم تولى بعده عبيدة بن عبد الرحمن السلمي110هـ/728م عرف بالتعصب للقيسية فاظطهد أتباع الوالي يشر بن صفوان الكلبي.[6]

- عبيد الله بن الحبحاب : 114هـ/123م

تميّزت ولايته بأكبر ثورة قام بها البربر في طنجة سنة122هـ/740م[7] تزعمها ميسرة المطغري استنفر بن الحبحاب قوات حبيب بن أبي عبيدة من صقيلية وألحقها بخالد بن حبيب لمقاتلة ميسرة الذي انسحب إلى طانجة فاتهمه رجاله بالفرار فقتلوه وولّوا عليهم خالدا بن حميد الزناتي قائدا جديدا فيتمكن من الحاق الهزيمة بخالد بن حبيب ويقتله في معركة الأشراف قرب طنجة[8].

---

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ,دار صادر بيروت, ص 144.
(2) ابن الأثير : المصدر نفسه , ص 144.
(3) ابن خلدون : المصدر السابق ,ص 192.
(4) يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائرج1,ديوان المطبوعات الجامعية ,ط2, وهران, الجزائر , 1995., ص 92.
(5) ابن خلدون : المصدر نفسه , ص192.
(6) موسى لقبال : المغرب الإسلامي ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,ط1981,3, ص105.
(7) عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا , تحقيق أحمد بن ميلاد , محمد إدريس , تقديم ومراجعة حمّادي الساحلي , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان 1987, ص118.
(8) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج2 , دار إحياء التراث العربي , عيسى اليابي الحلبي وشركا , 1963 , ص218.

لقد كانت هذه الثورة أول ثورة تهز أركان الولاية المغربية. ومن إنجازاته العمرانية ذات الأهمية الحضارية بناء جامع الزيتونة في مدينة تونس.[1]

-كلثوم بن عياض القشيري: 123هـ/741م [2]

زحف بقوات كبيرة من الشرق تتكوّن من اثني عشر ألف مقاتل مضاف إليهم من انضم إليه في طريقه إلى مصر وبرقة وطرابلس .وصلت مقدّمة الجيش إلى القيروان في رمضان سنة123هـ/723م وعلى رأسها بلج بن بشر القشيري وهو بن أخ كلثوم بن عياض [3] أساء كثيرا معاملة سكان القيروان فأفرط في التنكيل بهم واضطهادهم , وقد أرسل إليه حبيب بن أبي عبيدة من تلمسان يتهدده للكف عن الإساءة للرعية.[4]

هذه التصرفات في الحقيقة زادت من تماسك قوات البربر وكانت في الوقت نفسه أحد العوامل الأساسية للهزيمة الكبيرة التي تلقاها كلثوم بن عياض في مواجهة جيش خالد بن حميد الزناتي تحت لواء الصفرية قرب نهر سبو.[5]

-حنظلة بن صفوان الكلبي: 124 هـ/742م

كان عامل هشام بن عبد الملك على مصر [6] وقد أمدّه ب ثلاثين ألف من الجند لمحاربة الخوارج الصفرية ولكنه لم يتمكن من القضاء على ثوراتهم إلا في معركتي القرن والأصنام .قرب القيروان سنة125هـ/743م إذ تلقت الصفرية هزيمة نكراء.[7] وقد أورد إميل فليكس غوتي قولا لليث بن سعد يشيد بها ويعتبرها في أهمية معركة بدر حتى أنّه ود لوحضرها [8] ولكنّ هذا القول يحمل كثيرا من المبالغة و يشوبه الشّك .

(1) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب , تحقيق وتقديم المنجي الكعبي وتوفيق السقطي , تونس , 1968 ,ص 107 , بن عذارى , البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج1 , تحقيق ج.س .كولان ,ليفي بروفنسال و دار الثقافة , ط1 , بيروت , 1980 ,ص51.

(2) المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج3 , تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ,دار الفكر للطباعةوالنشر والتوزيع ط1, بيروت ,لبنان , 1998 , ص 299 ,وينظر أيضا ابن أبي دينار أبو القاسم الرعيني القيرواني , المؤنس في أخبار إفريقية وتونس , دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر ,لبنان , مؤسسة السعيدان , تونس , ط3 , 1993 , ص 60.

(3) إسماعيل العربي: دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 1983,ص 27.

(4) ذكر ابن خلدون بإسم بلج , ينظر ابن خلدون : المصدر السابق , ص193.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق , ص 57.

(6) مصطفى أبو ضيف أحمد:القبائل العربية في عصري الموحدين والمرينيين,ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر , 198

(7) عبد الحميد حاجيات : الجزائر في التاريخ ج3 , المؤسسة الوطنية للكتاب , ط1984,1 , الجزائر , ص65.

(8) Gautier .E.F : le passe de L' Afrique du nord :les siecles obscurs , edition payot, paris , 1964 , p283.

إنّ تحقيق الإنتصار على الصفرية في المعركتين السابقتين لم يكن يعني القضاء المبرم على هذه الحركة لأنّ إحكام السّيطرة على القيروان كان الهدف الذي سعى إليه كل من عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد الهواري من خلال التنسيق بينهما في الزاب على أن كل واحد منهما سلك طريقا إلى القيروان ليطبقا عليها من جهتين في وقت واحد ,لكنّ حنظلة بن صفوان استعمل خطّة تقوده إلى الايقاع بهما منفردين وهو ماتم فعلا ,إذ قتلا كلاهما بعد انهزامهما .[1]

-عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن حبيب الفهري:

قدم من الأندلس ونزل في تونس والتفت حوله القبائل المضرية وكان ذلك في عهد اليزيد بن عبد الملك125هـ/743-744م[2]. لما قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وسقطت الدولة الأموية 132هـ/750م خطب عبد الرحمن بن حبيب للعباسيين وأطاع أبا العباس السفاح ,فيكون بذلك الوالي المخضرم.

إنّ تحليل أسباب ثورات البربر في عهد الدولة الأموية يدل على أنّ سياسة الخلفاء وعمالهم في المغرب انطوت على أخطاء كبيرة نتجت عن تجاهل طبيعة سكان هذه المنطقة المقاومة لأي تسلط وهو مالم يعره كثير من الولاّة أي اهتمام لأنّ اعتبار بلاد المغرب موردا أساسيا للأموال دفع أغلب الولاّة إلى الشطط في تحصيل وجمع الأموال فيتحوّل غضب الأهالي على الولاّة إلى ثورات تجد سندها من الأطراف المناوئة للسلطة المركزية ممثّلة في الخوارج ولذلك اتخذت أبعادا مذهبية وسياسية أكثرمنها اقتصادية .

وهناك من استغلّ هذه الظروف في المروق عن الدين في هذا العهد منهم صالح البرغواطي في المغرب الأقصى(منطقة الشاويةحاليا) [3] الذي أحدث في الإسلام أمورا أخرجته من الملة منها أنّه ألّف كتابا باللغة البربرية سمّاه القرآن وهو ما يمكن اعتباره "بربرة الإسلام "[4]

---

(1) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ,دار النهضة العربية وبيروت ,لبنان , 1981, ص 340 , محمد عيسى الحريري ؛ الدولة الرستميّة بالمغرب الإسلامي , دار القلم , ط3, الكويت , 1987. ص 61,60.

(2) عبد الحميد حاجيات :المرجع السابق, ص65 66.

(3 Gautier.E.F : op ;cit , p277. 73

(4) Robert Cornevin : histoire de L'Afrique ,tome 1 des origines au xvi siecle , nouvelle edition , payot , paris, p 264 .

ينظر البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب مكتبة أمريكا والشرق , باريس 1965, ص136,135, و ابن خلدون :المصدر السابق ج7 , ص208 .

لا شك أنّ تلك السياسة في عمومها خالفت الأهداف والمبادئ السامية التي جاء بها الإسلام وهي الحرية, المساواة والعدالة وهي بلا ريب مبادئ تتماشى مع طبيعة البربر التي لا تخضع لأي تسلط أو استعباد.لكنّ الأوضاع السياسية في المغرب لم تتغير بقيام الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية ,فالتمرد على الولاة لم ينقطع وهذه المرة ثارت الإباضية في طرابلس131هـ/749م[1] فسارع عبد الرحمن بن حبيب إلى إخمادها وهذا بالطبع لايعني انتصارا تاما لأن فكرة الثورة تبقى متقدة إلى حين تهيئ الظروف لتجددها.

لكن سرعان مادّب الخلاف في الأسرة الفهرية يصل إلى حد قتل عبد الرحمن بن حبيب نتيجة مؤامرة دبرها أخواه-إلياس وعبد الوارث سنة 137هـ/755م[2] فتكون لهذا الحادث عواقب وخيمة على القيروان ويبدو أن هذا الحادث كان بإيعاز من أبي جعفر المنصور بعد ماخلع عبد الرحمن مبايعته له. الأمر الذي يدفع حبيب بن عبد الرحمن إلى قتل عمه إلياس انتقاما لأبيه138هـ/756م ففرّعمه الآخرعبد الوارث- إلى الأوراس حيث قبيلة ورفجومة[3] مستنجدا بزعيمها عاصم بن جميل[4] وهذا الأخير يتمكن من الإستيلاء على القيروان رفقة من التجأ إليه من العرب , فعاث فيها فسادا إذ أن من جملة ما اقترفوه من جرائم ربط الدوّاب في مسجدها الجامع[5]وذلك بعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب 140هـ/ 757م.

وعلى إثر هذه النكبة التي تعرضت لها القيروان سارع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[6] إلى نجدة المدينة وتخليصها من عبث ورفجومة وقد كان إماما للإباضية في طرابلس.وهو أحد رجال الإباضية الذين تكونوا في البصرة وتزعموا الإباضية في المغرب.

زحف أبو الخطاب عبد الاعلى على القيروان وتمكن أن يحررها من ورفجومة بعد مقتل عبد الملك ابن أبي الجعد الورفجومي في صفر141هـ/758م وعين عبد الرحمن بن رستم عليها .[7]

(1) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ص66

(2) المرجع نفسه ص66.

(3) هي من قبائل نفزاوة البترية استقرت في نواحي الأوراس, ينظر عبد الحميد حاجيات : المرجع نفسه , ص66.

(4) تنقل بعض المصادر والمراجع أنه ادعى النبوة, , ينظر إسماعيل العربي :المرجع السابق , ص 33 , عبد العزيز الفيلالي: العلاقات السياسية للدولة الرستميةبين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب , الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع , الجزائر, 1982, ص69.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق ج4 , ص280 , ابن عذارى: المصدر السابق , ص70.

(6) ذكره الرقيق القيرواني بأبي الخطاب عبد العالي , , بينما ابن خلدون ذكره عبد الأعلى أبو السمح المغافري , ينظر الرقيق القيرواني : المصدر السابق , ص141 و ابن خلدون: المصدر السابق ج 4, ص 195.

(7) عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ,ص 67.

إنّ سيطرة قبيلة ورفجومة على القيروان لمدة طويلة سنة وبضعة أشهر توحي بضعف الولاة وهومايعني غياب سلطة العباسيين في المغرب ,كما بينت سيرورة الأحداث نفوذ إباضية طرابلس في المغرب من خلال دورها في هذه الأحداث وهو مايتيح لها الإنتشار بشكل أوسع في إفريقية والمغرب الأوسط فيصبح أبو الخطاب ذا نفوذ كبير لدى إباضية المغرب.

لكن هذا لم يدم طويلا إذ سرعان ما دبّ الخلاف بين قبيلتي زناتة وهوارة من حيث اتهام الأولى لأبي الخطاب بالميل إلى قبيلة هوارة الأمر الذي يسهل مهمة محمد بن الأشعث الوالي الجديد في تحقيق نصركبير على أبي الخطاب في موقعة تورغا شرق طرابلس في صفر 144هـ ويقتل في هذه المعركة . [1] ثم تجددت ثورات الإباضيين بقيادة عيسى بن عجلان الخرساني فعجز بن الأشعث عن اخمادها فرجع إلى العراق ربيع سنة148هـ/766م .[2]

أرسل أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم التميمي أميرا على المغرب وقف هو الآخر في وجه الإباضيين وفي أثناء حربه للحسين بن حرب الكندي الموالي للأمويين[3] أصابه سهم فمات على إثرذلك سنة150هـ/767م.[4] يخلفه عمر بن حفص الأزدي (هزر مرد)[5] 151هـ/768م ,عرف بشجاعته في الحروب . ثار عليه الإباضية بزعامة عبد الرحمن بن رستم والصفرية بزعامة أبي قرة اليفرني فحوصر بنواحي طبنة لكنّه استطاع ان يفرق جمعهم بالإغراء بأن أعطى 40 ألف درهم[6] لأصحاب أبي قرة, بيد أنّه لم ينجح في اخماد هذه الحركة , إذ هبّ أبو قرة في جمع كبير من البربر فينجح في تضييق الخناق على عمر بن حفص , فيقتل بنواحي القيروان سنة 154هـ/771م [7] ليأتي بعده يزيد بن قبيصة بن حاتم سنة155هـ/772م [8] جدّد مسجد عقبة في القيروان.

---

(1) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص344

(2) إحسان حقي : تونس العربية , دار الثقافة , بيروت , لبنان , بدون تاريخ , ص47.

(3) رابح بونار : المرجع السابق , ص37

(4) ابن أبي دينار: المصدر السابق ,ص 62 , ابن الأثير :المصدر السابق ج6 ,ص232 ,ابن عذارى, المصدر السابق , ص124

(5) هزار مرد كلمة فارسية تعني ألف رجل ,ينظر محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس ,دار القلم , الكويت ,ط3, 1987,ص 87.

(6) Qautier .E.F : op ;cit , p 279.

(7) رابح بونار: المرجع السابق , ص21 , ينظر ابن خلدون : المصدر السابق ج4 ,ص 196و197.

(8) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية التاريخ السياسي تعريب المنجي الصيادي , دار الغرب الإسلامي ,ط1 ,بيروت, لبنان ,19895 , ص26

يقول عنه الرقيق القيرواني إنه كان ذا سيرة حسنة في إفريقية من ذلك أنّه كان كثير التقرب إلى الشعراء.[1]

- روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي :171-174 هـ/ 788م-790م

أراد هذا الوالي إقامة علاقة سلم مع الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ).

- الفضل بن روح : 177-178هـ/ 793م-794م [2]

ثارعليه الجند العربي بقيادة عبد الله بن الجارود الذي سيطر على القيروان بعد مقتل الفضل بن روح واتباعه سنة178هـ/795م [3]

عاد إلى المشرق ذلك أنه لم يرد ليتورط في المشاكل التي كان يثيرها الجند من حين لآخر, فانتهى بذلك حكم المهالبة في إفريقية .

- هرثمة بن أعين الهاشمي:

ولّاه هارون الرشيد[4] سنة 179هـ سار في الرعية سيرة حسنة أضاف إنجازات عمرانية في إفريقية منها القصر الكبير بالمنستير.

-محمد بن مقاتل العكّي: [5]178-184هـ /794م-800م [6]

هو أخ لهارون الرّشيد من الرضاعة تولى الولاية لم يكن يتمتع بسمعة طيبة في إفريقية بل على العكس من ذلك فقد اساء للرعية فضلا على إنه لم يكن كفؤا لمهامه كوال, لينتهي بذلك عصر الولاة في المغرب مع العلم أن الإستقلال عن الخلافة العباسية بدأ بتأسيس الدولة الرستمية في المغرب الأوسط 160 - 296هـ/777-909م والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى172-311هـ/788-923م

يتّضح من خلال استعراضنا لعصر الولاة أن عدم الإستقرار هو الميزة التي طبعت هذه المرحلة فمهام الوالي كانت متعلقة بالدرجة الأولى بالحفاظ على الإستقرار ومقياس نجاحه هو اخماد الثورات

(1) الرقيق القيرواني :المصدر السابق ,ص152.

(2) مصطفى أبوضيف أحمد : أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين 524-876ه/1130م-1474م , دار النشر المغربية ,ط 1 , الدار البضاء , المغرب , 1982 , ص41.

(3) الرقيق القيرواني: المصدر نفسه , ص152.

(4) يحي بوعزيز : المرجع السابق ,ص95.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق ج6 ,ص252 , ابن عذارى :المصدر السابق ,ص124 .

(6) ذكره ابن خلدون بإسم محمد بن مقاتل الكعبي , ينظر ابن خلدون : المصدر السابق ج4 ,ص199.

التي لم يسلم منها أي وال. بيد أنّ الأوضاع السياسية التي سادت المغرب في هذه الفترة والتي تميزت بمعارضة البربر لسلطة الولاة والتي ترجمت إلى ثورات , لم تمنع هؤلاء الولاة من أن يولوا مجهوداتهم للبناء الحضاري فمعظمهم, قدم إسهامات في هذا المجال,لأن قدوم الجيوش من المشرق إلى المغرب غالبا ما كان يصاحبه عدد من الفقهاء والعلماء استقروا في هذه الربوع واخذوا على عاتقهم تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية التي يفهم بها الإسلام عن طريق الخيام التي كانت تنصب لهذا الغرض , وهنا لابد أن نشير إلى أن رغبة الخلفاء الأمويين او العباسيين لم تكن فقط تهدف إلى توسيع نفوذهم السياسي في أقاليم المغرب بل إنهم حرصوا على أن يكون الإسلام دين أهل المغرب كلهم , لذلك لم تكن تخلو حملة عسكرية من الفقهاء لأن الولاة وقادة الجيش كانوا يصطحبون معهم أدباء وكتاب لتحرير الرسائل الرسمية وتعليم أبنائهم وأبناء الأسر العربية القادمة من المشرق ,ولم يستثن من هذه المزايا أبناء البربر[1] ,فكان بناء المساجد تدعيما لهذه السياسة التعليميةوالثقافية , وهو عكس مايريد أن يسوقه بعض المستشرقين والمؤرخين الإستعماريين المغرضين بالتركيز على أخطاء وسياسة بعض الولاة وجعلها سياسة عامة .

ثانيا - نشأة الدولة الرستمية ونظام حكمها:

لقد استمرّت الدولة الرستمية136سنة منذ أن أسّسها عبد الرحمن بن رستم 160هـ /776م وكانت دولة لاتختلف كثيرا في نظام حكمها عن الإمارات والدول الإسلامية الأخرى .

1- تأسيس الدّولة:

لقد عمل الإباضيون على تكوين دولة مستقلة في المغرب الإسلامي بعد انتشار أفكارهم في أوساط البربر. كانت المحاولة الأولى لتأسيس الدّولة في طرابلس[2] وهي مركز الإباضية الأول, فأهداف الثورات التي قام بها الاباضية كانت ترمي إلى تحقيق هذا الطموح. وتحديدا في طرابلس التي كانت مسرحا لأحداث. غير أنّ هذا الطموح تبدد بمقتل أبي الخطاب زعيم إباضية المغرب على يد محمد بن الأشعث وكان العبّاسيّيون يحرصون على إبعاد النفوذ الإباضي عن القيروان , عاصمة ولاية المغرب , أو المناطق القريبة منها لأنّ من شأن ذلك أن يهدّد الوجود السياسي للخلافة

(1) عمر رضا كحالة :دراسات إجتماعية في العصور الإسلامية , المطبعة التعاونية , 1973, دمشق , ص57.

(2) طرابلس معنها باليونانية ,المدن الثلاث وهي أياس (موضع مدينة طرابلس الحالية),ولدة في شرقها وصبرة أو تسبراتة الحالية في غربها , ينظر مصطفى أبو ضيف أحمد : المرجع السابق , ص 25.

العباسية فضلا عن الأثر السلبي على الموارد المالية القادمة من ولاية المغرب. و بعد إنهزام أبي الخطاب إنسحب عبد الرحمن بن رستم من القيروان التي كان قاضيا عليها متجها إلى المغرب الأوسط رفقة اهله ومن كان معه 144هـ/761م,وهنال احتضنته القبائل الإباضية ومنها لماية لسابق حلف معها(1) ,أما عن الذين ارتحلوا معه فغالبيتهم من زناتة وهوارة من طرابلس والأوراس(2) وشرعوا في بناء مدينة تاهرت(3) مع الاباضيّين الذين انضموا إليه في المنطقة مما يدلّ على أنّ المذهب الاباضي كان قد وصل إلى هذه الربوع قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها.

ولّما استأنس الاباضيّيون بأنفسهم قوة على مجابهة الأعداء اختاروا عبد الرحمن بن رستم أميرا عليهم ثم بايعوه بالامامة بعد استكمال مدينة تاهرت سنة 160هـ/777م.

2- الإمتداد الجغرافي :

أما من حيث الإمتداد الجغرافي للدولة الرستمية فالمصادر والمراجع لم تحدد بوضوح الرقعة الجغرافية التي امتدت فيها هذه الدولة لأسباب عديدة أهمها:

-الصراع الذي خاضته مع ولاة القيروان ومع الدولة الأغلبية كما كانت إمارات عديدة في المغرب الأوسط متزامنة مع الدولة الرستمية منها إمارة هاز في متيجة (4), وإمارة بني يفرن في تلمسان.(5)

– لم تكن بعض القبائل الإباضية خاضعة تماما للسلطة الرستمية خاصة تلك التي تستقرّ بالمناطق القريبة من الدولة الاغلبية,وهذا من العوامل التي تحول دون تحديد الإطار الجغرافي بدقة للدولة الرستمية, وعموما يمكن استنتاج هذه الحدود انطلاقا من السيادة الفعلية للرستميين على مناطق من المغرب الأوسط حتى طرابلس . فقد امتدّت من الزاب شرقا إلى حدود تلمسان غربا كما وصل

---

(1) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق , ص71.

(2) محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي, المؤسسة الوطنية للكتاب و1984, الجزائر, ص117.

(3) يقال حسب بعض الراجع أنّ مدينة تيارت الحالية بنيت على أنقاض مدينة تاهرت الرستمية ,وظروفا بنائها تشبه ظروف بناء القيروان إذ تقول الرواية التي ساقها الدرجيني إن القوم لما عزموا على بناء المدينة أمروا مناديا ينادي في سباعها ووحوشها وهوامها بالخروج لغرض عمارة هذه الأرض وهي تبعد ب9 كلم غرب تيارت الحالية حسب عبد الله العروي , ينظر الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد : طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ,تحقيق إبراهيم طلاّي, قسنطينة , الجزائر , 1974 ,ص41, و أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر, المؤسسة الوطنية الكتاب , ط2 , 1984 , ص 20 , وأيضا

Abdallah laroui : L histoire du magreb (un essai de synthese) tome 1 , petite collection maspero ,paris 1976 , p 104.

(4) رابح بونار :المرجع السابق , ص39.

(5) المرجع نفسه , ص 40.

نفوذها إلى غاية طرابلس مرورا بجبل نفّوسة وبلاد الجريد (والجنوب التونسي الحالي) ومناطق واسعة من الصحراء.

نستدل على امتداد النفوذ الرستمي على المناطق التي ذكرناها آنفا من خلال العملات الرستمية التي وردذكرها في المصادر الاباضية والمراجع الأخرى .

ونستشف ذلك من مصادر الإباضية مثل السير للشماخي التي تبين عمال الائمة الرستميين على الشكل التالي:

-سلام بن عمر اللواتي وعامل الإمام عبد الوهاب على سرت.

-أبو منصور إلياس عامل أبي اليقظان محمد بن افلح على نفوسة وطرابلس.

-محمد بن إسحاق عامل الإمام عبد الوهاب على نفزاوة .

-ميال بن يوسف عامل الإمام أفلح على نفزاوة كذلك .

-سلمة بن قطفة عامل الإمام عبد الوهاب على قابس

-زقون بن عمير عامل الإمام عبد الوهاب على قسطيلية

- وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قفصة.[1]

-السمح بن أبي الخطاب (حفيد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري)عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة. [2]

يذكر سليمان الباروني فبي الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية القسم الثاني أن مدنا متل ؛ تنس وهران و الشلف مازونة وتاجنة و غزة والمدية كانت تابعة لتاهرت . [3].

3-نظام الحكم :

إنّ نظام الحكم في الدّولة الرستميّة لايختلف كثيرا عن باقي الدول الإسلامية الأخرى وهو يقوم في عمومه على الإمامة حيث الحاكم مجبرا على التقيّد بالكتاب والسنة والاقتداء بالصالحين من الأمّة .

(1) محمد الطالبي :المرجع السابق ,ص388,387.

(2) صالح باجية: الإباضية في الجريد في العصور الإسلامية الأولى , دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ,ط 1, 1972, ص 81.

(3) سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضيّة , القسم 2, , دار البعث , ط3, , غرداية , 2002, ص 77,71,67,64,55.

أ-طبيعته:

أسّس نظام الحكم في الدولة الرستمية في بداية الأمرعلى مبدإ الشورى أي انتخاب[1] الإمام, وهو ما يمكن تسميته الجمهورية الإسلامية[2] و الإمام هو الذي يسيّر شؤون الدولة في أمور الدين والدنيا و يساعده أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء الاباضيّين الذين يعتد برأيهم و يرجع إليهم الإمام في قضايا السلم والحرب أي يستشيرهم في القضايا الكبرى ,بينمافي الأمور العامة يستشير شيوخ القبائل وأعيانهم.

أمّا عن التّنظيم الإداري فقد اتّخذ الرستميّيون الوزاء والكتّاب والحجّاب والقائمين بالشّرطة[3] وإتّخذ حاكم الدولة لقب "الإمام"[4]فأصبح مصدرا للسلطة الدينية والسّياسية لما تقتضيه دلالة اللقب الذي استمدّ من صيغة البيعة التي يذكرها ابن الصغير بقوله :" ونحن الآن نرضى بك ونقدّمك على أنفسنا , فقد علمت أنّه لايصلح أمرنا إلاّ إمام نلجأ إليه "[5] . ومن أهم أسسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.وفي الحقيقة إنّ تاريخ هذه الدولة إرتبط بتاهرت ارتباطا فكريا وسياسيا ليس من حيث كونها عاصمة الدولة الرستمية فحسب بل عاصمة للمذهب الإباضي لأنّ مذهب الدولة هو الإباضية إلى جانب الصفرية والمذاهب الأخرى. فالإباضيون المشارقة اعترفوا بسلطة امام تاهرت[6] لابل إنها صارت قبلة للاباضيّين المشارقة .

لكنّ الأئمة الرستميّين لم يلتزموا بمبدإ الشورى إذ سرعان ماتحوّل الحكم إلى ملك وراثي شأن جميع الدول والإمارات الإسلامية الأخرى مع الإمام الثاني. فهل يعني ذلك أنّ واقعية الظروف السياسية فرضت نفسها على مثالية المبادئ المذهبية في الإمامة والاستخلاف . ؟

---

(1) عمار بوحسون : التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ,دار الغرب الإسلامي ط1, 1997 ص33

(2) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق ص21.

(3) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , ص 230.

(4) يبدو أنّ الاباضيّين تأثّروا بالشيعة في هذا اللقب لأنّ ظروف التخفي والسريّة في التنظيم كانت الميزة المشتركة بين أتباع المذهبين , ينظر محمد عيسى الحريري : المرجع نفسه , ص 223 , لكنّ الاباضية لم يقولوا بعصمة الإمام ويظهر ذلك واضحا من خلال مبايعة تعيين الأئمة الرستميّين وقد ذكر ذلك في معظم المصادر كما سأتي لاحقا .

(5) إبن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ,تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز , دار الغرب الإسلامي , 1986, بيروت , ص29,30.

(6) إيف لاكوست : الجزائر بين الماضي والحاضر ,ترجمة استنبولي رابح ومنصف عاشور ,ديوان المطبوعت الجامعية ,الجزائر, 1984, ص 98.

ب-القضاء :

كان الجهاز القضائي على قدر كبير من الأهمية يتكوّن من قضاة تتوفّر فيهم النزاهة والعدل وتعيينهم يتمّ من قبل الإمام بالمشورة, بناء على الإستقامة والصلاح والنزاهة.
فالاستقامة والمسواة والعدل في تطبيق الأحكام القضائية كانت عناصر أساسية لابدّ من توفرها ليكون القضاء نافذا أمّا عن أهم القضاة في هذه الدّولة نذكر منهم محكّم الهواري [1]كان فقيها كبيرا وقضيا فذا في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م) وكذلك أبوعبد الله محمدبن عبد الله بن أبي الشيخ في عهد الإمام أبي اليقظان (261-281هـ/874-894م)هذا القاضي فضل الانسحاب من منصبه بسبب حادثة خطف فتاة من قبل بن الامام عندما وجد نفسه عاجزا عن إقامة الحد . [2]

ج-الجيش :

افتقدت الدّولة الرستميّة إلى جيش نظامي , بل اقتصرجيشها على تطوّع القبائل أثناء الحروب. ومنها المتطوّعون من جبل نفّوسة .

د-بيت المال :

كان التنظيم المالي يحاكي ما كان عليه الأمر في بقية الدول والإمارات الإسلامية الأخرى في ذلك العصر .كان للرستميّين بيت مال مركزي في تاهرت وبيوت أموال في الولايات التابعة لها [3]وموارد هذا المال تأتي من الزكاة والخراج والجزية التي تفرض على الذميّن من نصارى واليهود الذين كان لهم نفوذ تجاري في تاهرت . وكان اهتمام الرستميين بالغا في تسيير الأمور المالية بدقة.

هـ-الأئمة الرستميّيون :

-عبد الرحمن بن رستم 160-171هـ/776-787م :

اختلف المؤرخون حول حقيقة نسبه. منهم من نسبه إلى الفرس وبعضهم أرجعوه إلى أصول

---

(1) جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجيّة للدّولة الرستميّة , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984,ص 54.
(2) المرجع نفسه , ص 54.
(3) بحاز إبراهيم : الدولة الرستميّة , دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة , ط2, غرداية , 1993, ص 237.

عربية, فالأستاذ إبراهيم فخار يشكك في أصله الفارسي إذ يقول:"لم يثبت لنا بالادلة القطعية أن عبد الرحمن بن رستم فارسي الأصل , فلا يمكن قبول هذه الدعوى ,ولو قبلناها على علاتها فمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية وظهر في العراق مع والديه قبل رحيله إلى المغرب مع زوج أمه"[1] يقاربه في هذا الطرح إحسان حقي إذ يرى بأن رستم بضم التاء لا _بفتحها, لأنها إذا كانت مفتوحة فهذا يدل على أنه فارسي الأصل فالنطق الصحيح لهذه الكلمة بالفارسية هو بفتحها,أما نطقها الصحيح بالعربية هو بضمها[2] لكن معظم المؤرخين ينسبونه إلى الفرس ,فهو إذن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى.[3]

قيل إنّ والده توفي في إحدى مواسم الحج بالحجاز فتزوجت أمه بعد ذلك من حاج مغربي من سكان مدينة القيروان ,إذ عاد بالإبن وأمه إلى المغرب حيث تلقى العلوم الدينية متشبعا بأفكار ومبادئ المذهب الإباضي على يد دعاة هذا المذهب وعلى رأسهم سلمة بن سعد في أواخر القرن الأول الهجري.[4] أرسله ضمن حملة العلم* إلى البصرة حيث منبع المذهب الإباضي وشيوخه منهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

اتفقت الاباضية على مبايعة عبد الرحمن بن رستم بعد المشاورة يقول ابن الصغير في ذلك :"لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها, إجتمع رؤساؤهم فقالوا:قد علمتم أنه لايقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا.. ولقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا وناظرا فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بدون عدل عزلتموه".[5]

---

(1) إبراهيم فخار: (دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب) الملتقى الحادي عشر للفكر الفكر الإسلامي, المجلد 4, ورجلان من 6إلى 15فبراير 1977 , ص146 .

(2) إحسان عباس:(المجتمع التاهرتي في عهد الرستميّين) المرجع نفسه , ص 152.

(3) بهرام مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان(ض) وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور بن سابور بن بابكان بن سابور من أكاسرة الفرس, ينظر البكري :المصدر السابق , ص 267 , وأيضا Gautier .E.F : opcit, p 302

(4) بشار قويدر:دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي , منشورات دحلب , المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد , بوزريعة , الجزائر , 1993 , ص 101 ينظر الدرجيني , المصدر السابق ,ص 11.

* سيأتي التفصيل عنها لاحقا .

(5) ابن الصغير : المصدر السابق , ص 30,29.

وكان قبل هذه المبايعته قد طلب من أعيان تاهرت ومشايخ الإباضية أن يمتثلوا لأوامره ماتماشت مع العدل وخلق الإسلام فإذا انحرف فلاطاعة لهم عليه. (1)

نستشفّ من هذا القول الأسباب والظّروف التي أحاطت بتولية عبد الرحمن بن رستم ومن ثم تأسيس الدولة الرستميّة فالإعتبارات التي حملت القبائل الإباضية على تزكيته يمكن ذكرها في النقاط التالية:

1 -افتقاد عبد الرحمن بن رستم إلى العصبيّة القبلية التي تحميه في حالة عزله إذا انحرف عن مبادئ الإمامة.

2 -مكانته العلمية باعتباره أحد حملة العلم الخمسة بالمغرب والسياسية حيث كان قاضيا في القيروان من قبل أبي الخطاب وأحد زعماء الإباضية في المغرب

3- مكانته العسكرية من حيث مشاركته في الثورات والحروب التي خاضها جنب إلى جنب مع قائده أبي الخطّاب ضد ولاة إفريقية .

هذه الإعتبارات مستوحاة من أسس ومبادئ الخلافة عند الإباضية ,فهي لاتقوم على النسب القرشي أوالأصل العربي إنما على أساس الصلاح والتقوى والأفضلية وهم بهذا على طرفي نقيض من الشيعة,فليس عندهم فكرة أنّ الخليفة معين من قبل الرسول صلى الله عليه وسلّم فلا يكون إلاّ من آل البيت. (2) بل إنّ الخلافة حق مشاع بين سائر المسلمين عربيهم وأعجمهم ,أبيضهم وأسودهم لا فرق بين فرد وآخر إلاّ بالتقوى.(3)

تمثّلت في عبد الرحمن بن رستم خصال جمة ,منها إستقامته في الحكم وحسن سيرته في رعيته بالعدل تطبيقا لشعار المساواة في الحقوق والواجبات لاسيما الجوانب المالية وهو ما انسجم مع طبيعة القبائل البربرية وتقبلها للمذهب الإباضي. هذه السياسة أثمرت انسجاما وأمنا واستقرارا على تاهرت, فتوافد الناس عليها وأضحت مدينة عامرة . يقول ابن الصغير في هذا الشأن:"فسار فيهم سيرة جميلة حميدة أولهم أخرهم, و لم ينقموا عليه في أحكامه حكما ولا في سيره سيرة" .(4)

أمّا على صعيد السياسة الخارجية فقد انتهج الإمام عبد الرحمن بن رستم سياسة المسالمة التي

(1) إيف لاكوست: المرجع السابق , ص 102.

(2) أحمد أمين :ضحى الإسلام ج3 , مكتبة النهضة المصرية , ط7 , مصر 1966, ص332.

(3) ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية , ص 80.

(4) ابن الصغير: الصدر السابق ص31.

رأى فيها وسيلة لتأمين هذه الدّولة الفتية من مايمكن أن يحيق بها من أخطار خارجية لاسيما الدولة العباسيّة الممثلة في ولاة القيروان ربط علاقة مصاهرة مع اليسع بن أبي القاسم أمير سجلماسة حيث تزوج بن هذا الأخير أروى بنت عبد الرحمن بن رستم .[1]

أبرم معاهدة سلام مع والي القيروان روح بن حاتم سنة 171هـ/787م .[2] هذه الخطوات تنم عن الحنكة السياسية وحسن التدبير في إدارة الحكم .

-*عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم*: 171-208هـ/787-823م:[3]

ولما كانت الإمامة تستند إلى الشورى فإن عبد الرحمن بن رستم جمع قبل وفاته سنة 171هـ/787م [4]سبعة من أهل. المشورة والرأي الذين تتوفر فيهم شروط الإمامة وفي ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .وهؤلاء السبعة هم ابنه عبد الوهاب ومسعود الأندلسي وعمران إبن مروان وأبو الموفق سعدوس بن عطية وشكر ابن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان ويزيد بن فندين[5] .أوصاهم بالتشاور واختيار إمامهم من بينهم.

تمّت مبايعته بعد اجتماع مجلس السبعة بيد أنّ عملية المبايعة شابها خلاف حول أحقّية كل واحد في الإمامة .يتطوّرهذا الخلاف فيما بعد إلى انشقاق.والإختلاف كان حول شخصين هما: مسعود الأندلسي وعبد الوهاب بن عبد الرحمن وقد رضي مسعود بإمامة عبد الوهاب وتقدم لمبايعته وسط معارضة شديدة لابن فندين وبعض من أصحابه [6] , فصار شبه إجماع على إمامة عبد الوهاب لأن حظوظه كانت أوفر من مسعود الأندلسي بسبب دعم قبيلة زناتة له لاعتبارات القرابة لأن أمه كانت قبيلة يفرن الزناتية وجماعة الفرس[7] تلقى تكوينا علميا وفقهيا وسياسيا أيضا في القيروان وفي تاهرت على يد أبيه , وهي عوامل مكنته بلاشك من أن يقدم إسهامات كبيرة للفقه الإباضي

---

(1) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , ص 106.

(2) المرجع نفسه : ص 107 , ينظر سليمان الباروني:المرجع السابق , ص 125.

(3) ذكره ابن عذارى بإسم عبد الوارث, ينظر بن عذارى : المصدر السابق , ص 197.

(4) رشيد بوروية : المرجع السابق ,ص 81 , إسماعيل العربي ,دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر ,1983, ص 47.

(5) شارل آندري جوليان ,تاريخ إفريقيا الشمالية ج2, تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة و الدار التونسية للنشر ,ط2 , تونس , 1983 , ص44.

(6) الدرجيني : المصدر السابق , ص 47.

(7) محمدعيسى الحريري: المرجع السابق ,ص 110.

حيث قضى 7 سنوات في جبل نفوسة يفقه الناس ويعلمهم شؤون دينهم وقد ألف كتاب " "مسائل نفوسة الجبل"[1]

أولى اهتماما كبيرا للسياسة الخارجية باعتماد المسالمة وهي نظرة اقتضتها ظروف تاسيس وتوطيد الحكم الناشئ.فقد أبرم معاهدة سلم مع والي إفريقية روح بن حاتم171هـ/787م.[2]

في عهده حدث ماسمي الإفتراق الأول سببه أن قبائل بدوية كانت ترعى في سهول تاهرت وأغلبها من زناتة وسدراتة فتعرضت لمضايقات القاضي وصاحب الشرطة والقائم ببيت المال واشتكت أمرها إلى عبد الوهاب وقد أوضح بن الصغير بقوله : "إنّ القوم اجتمعوا ودخلوا على عبد الوهاب فقالوا له: إنّ رعيتك قد ضجت من قايك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم وولي عليهم خيارهم,فقال عبد الوهاب: جزاكم الله من وفد خير فقد تمّ من الإسلام مايفتقده من كان مثلكم...".[3]

ويبدو أنّ ابن فندين استغلّ هذا الظرف ودعا القبائل إلى الثورة ضدّ عبد الوهاب بن رستم فاجتمعوا في الكدية المعروفة وكان المستفيد الأكبر من هذه الفتنة بن فندين , . لأن اقتداء عبد الوهاب بسيرة أبيه في الرعية أغلق المجال على أي سخط أو تذمر شعبي يمكن أن يتحول إلى ثورة, إلا ماكان من ابن فندين وأصحابه لمّا رأوا أنّ عبد الوهاب بن رستم استعمل على الولايات أهل العلم والزهد ,فضاع منهم ماكانوا يأملونه من حظوة لدى الإمام وهذاحسب مايورده الدرجيني [4] وبهذا الشكل انقسم إباضية تاهرت إلى قسمين النكّارية والوهبية.[5]

هذا الانقسام يجعلنا نتساءل . هل مبايعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم هو انحراف عن مبدإ الشورى.؟ أم اختيار أملته ظروف الدولة في درء الأخطار التي تنجم عن خروج الإمامة من البيت الرستمي.؟ وهل وجوده ضمن السبعة الذين اختارهم عبد الرحمن قبل وفاته هو رغبة وإشارة منه لاختيار ابنه إماما من بيتهم.

---

(1) جمعية التراث : المرجع السابق , ص 592,591.

(2) محمد بلقراد : الجزائر في التاريخ ج3 , ص82 , ينظر , Gautier .E.F: opcit p303

(3) ابن الصغير:المصدر السابق, ص 48.

(4) الدرجيني : المصدر السابق , ص 48.

(5) الوهبية وهم أتباع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والإباضية الأصل أقروا بشرعية إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن ,أما النكارية فهم الذين رفضوا إمامته سموا كذلك النجوية لأنهم كانوا يتناجون , ينظر رشيد بورويبة : المرجع السابق , ص 103.

الحقيقة أنّ الدولة الرستمية بدأت وتأسّست وفق مبدإ الشورى وهو جوهر المذهب الإباضي لكنّها سرعان ما سارت على منحى الخلفاء الأمويين والعباسيين والإمارات الإسلامية الأخرى.ولعل ذلك يفسّر بضمان استمرارية الدولة في ظل ظروف تميزت بأخطار الدول المجاورة خاصة الدولة الأغلبية التي كانت ممثلة للعباسيين في المغرب على الأقل إسميا , كما أن المكانة السياسية والتكوين العلمي للأئمة الرستميين الأوائل عامل فرض نفسه فالتفّ حولهم العلماء والوجهاء فكان ذلك دعما وتزكية لحكمهم.

-الإمام أفلح بن عبد الوهاب 208-258هـ/823م-871م:

لقد تلقّى أفلح تكوينا سياسيا وعسكريا على يد والده عبد الوهاب حتى يتمرّس ويتدرّب على الحكم ويصبح قادراعلى تحمّل المسؤولية من بعده فقد كان يتولى شؤون الدولة في غياب أبيه وهي مؤهلات جعلت فقهاء وأعيان تاهرت يبادرون إلى الموافقة على توليته إماما خلفا لأبيه لمارأوا فيه من صلاح وكفاءة لمنصب الإمامة. [1]

تميّز عهده بالإزدهار الإقتصادي وتطور الحركة العلمية في شكل جعل تاهرت تعرف توسعا في نسيجها العمراني واقبالا عليها من كل المناطق فيصورها بن الصغير بقوله:" وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار و الأفاق بأنواع التجارات وتنافس الناس في البنيان.."[2] استمر حكه حوالي خمسون سنة.[3]

و قد عرفت إباضية المغرب في عهده افتراقا آخر حينما خرج عليه نفاث بن نصر النفاثي وكان من أعلام الإباضية وانشقاقه يعود فيما يبدو إلى طمعه بولاية جبل نفوسة هذه المنطقة التي كانت إحدى أهم مراكز الفكر الإباضي في المغرب فأرسل إليه الإمام أفلح ينصحه بالتوبة ويتوعّده بالعقاب لكن نفاث بن نصر رحل إلى المشرق بعد فشل مسعاه فرارا من بطش أفلح .سمّيت هذه الحركة "النفاثية". [4]

---

(1) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق , 140 ,ينظر أبو زكرياء يحي : المصدر السابق ,ص85, وكذلك الدرجيني : المصدر السابق ,ص 72.

(2) ابن الصغير : المصدر السابق ,ص 61.

(3) المصدر نفسه ,ص 61

(4) ادعى صاحبها نفاث بن نصرالنفاثي أن خطبة الجمعة بدعة ,عن علي يحي معمر : الأباضية مذهب إسلامي معتدل , قدم له وعلق عليه أحمد بن سعود السيابي ,المطبعة العربية غرداية ,1994 , ص 45 , ينظر جمعية التراث : معجم أعلام الإباضية من القرن 1هـ إلى العصر الحاضر الجزء 4 , المطبعة العربية , ط1 , غرداية , الجزائر , 1999 , ص 705,704.

جمع في سياسته بين الحكمة والدهاء السياسي وذلك وهو أسلوب اتخذه للحفاظ على قوة الدولة واستمرارية نفوذها السياسي فقد عمل على اضعاف أي تحالف بين القبائل التي تنامت قوتها نتيجة الرخاء الإقتصادي خوفا من أن تصبح قوة مهدّدة لذلك لجأ إلى إثارة الأحقاد بين لواتة وزناتة وبين لواتة ومطماطة وغيرها [1] وبالفعل نجحت هذه السياسة و استمراره في الحكم حوالي خمسين سنة هي بلاشك تفسير لهذا النجاح.

-إمامة أبي بكر بن أفلح 258-261هـ/ 871م-874م:

بايعته قبيلة نفّوسة إماما خلفا لأبيه أفلح [2] وهي ذات نفوذ ديني وسياسي ونظرا لميله للأدب وإقباله عليه واهتمامه القليل بشؤون السياسة فإن تسيير شؤون الدولة ترك لأخيه أبي اليقضان وصهره محمد بن عرفة وهو من زعماء القبائل العربية في تاهرت.

والسؤال الذي يمكن طرحه في هذه الحالة لماذا تمت مبايعته إذا لم يكن ذا كفاء سياسية ,مع وجود الأفضل. يبدو أن النفوذ السياسي لبعض القبائل والتحالفات عاملان ساهما في تزكية أطراف على حساب أطراف أخرى وأنّ المبادي المذهبية في الحكم خضعت في بعض الأوقات لمنطق قوة القبيلة ونفوذها السياسي والاقتصادي. وفي هذا الشّأن يورد لنا ابن الصغير قولا لعبد العزيز بن الأوز [3]وهو ينادي بأعلى صوته:"الله سائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه أخر و لم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى". [4]

على العموم فإنّ السلطة الفعلية كانت بأيدي أبي اليقضان ومحمد بن عرفة الذي يتآمر على أبي بكر هذا الأخير يقوم باغتياله, فتنشب حرب بين أتباع أبي بكر ومناوئيه من العرب والجند وقبيلة هوارة. [5]

إذا ضعف شخصية أبي بكر السياسية وانشغاله بحياة الترف أسهمت في ظهور الفتن والصراعات

---

(1) محمدعيسى الحريري : المرجع السابق , ص 144.

(2) رابح بونار : المرجع السابق , ص 37.

(3) عبد العزيز بن الأوز من علماء الإباضية عاش في القرن 3هـ/9م ,له فقه كبير ورحلة نحو الشرق , ينظر , جمعية التراث : المرجع نفسه , ص 536.

(4) ابن الصغير: الصدر السابق ص70.

(5) جودت عبد الكريم يوسف : العلاقت السيايسة للدولة الرستمية ,المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر, 1984, ص 67 , ينظر الدرجيني : المصدر السابق , ص 79,78.

الداخلية حتى أنه اضطرّ إلى مغادرة تاهرت ثمّ عاد غليها في أثناء حكم أخيه أبي اليقظان إلى أن توفّى بها.[1]

-إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح 261-281هـ/874م-894م :

عرف بحبه للخير وانصرافه للتأليف في علوم الشرع.وقد حدث أن ألقي عليه القبض في أثناء ذهابه إلى الحج رفقة والده من قبل العباسيين فسجنه الخليفة الواثق مع أخيه المتوكل فأطلق سراحه لما صار خليفة لما كان بينهما من ألفة في السجن حسب رواية بن الصغير[2]

جعل مجلسه يضم أعيان مختلف قبائل تاهرت منهم عيسى بن فرناس النفوسي وبن الصغير الهواري وعبد الله بن اللمطي ,وكان أخصّ الناس به رجل من العرب إسمه محمود بن بكر[3] مما يسهّل له مهمة عقد صلح مع القبائل كلها لاخماد نار الفتنة التي أثارها ابن عرفة رافعا شعار "عفا الله عما سلف" .[4]

تظهر رغبة أبي اليقضان من وراء هذه السياسة في القضاء على الصراعات والانشقاقات وتحقيق التآلف القبلي والمذهبي الذين يضمنان الوحدة السياسية للدولة وقد نجح في ذلك الى حدما ,فانتشر نوع من الرخاء فتحسّنت الأحوال المالية في عهده .

لكنّ تعرض الحدود الشرقية للدّولة الرستميّة لغزو العباس بن أحمد بن طولون ومحاصرته لطرابلس 267هـ/880م[5]مثّل اختبارا لأبي اليقظان من حيث قدرته على مواجهة الأخطار الخارجية فكان انتصار واليه على نفوسة أبي منصور إلياس في معركته مع ابن طولون اثباتا للقدرة على التصدّي لمثل هذه الأخطار .

-إمامة أبي حاتم يوسف 281-294هـ/ 894م-907م:

كان كثير الإحسان والعطاء والبذل[6] ولكن يبدو ان هذه الميزة فرضتها ظروف داخلية من حيث وجود كثير من المعارضين له مما يعني أنّه كان يريد كسب المؤيدين له فضلا على أنّه كان

---

(1) ابن عذارى :المصدر السابق , ص197.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق, ص 66,65.

(3) جودت عبد الكريم: المرجع السابق ص68

(4) جمعية التراث : المرجع السابق , ص 753.

(5) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 125, ينظر سليمان الباروني : المرجع السابق , ص 340,337.

(6) رابح بونار: المرجع السابق, ص37.

تاجرا وهذا النشاط أكسبه مالا كثيرا وأفقده الالتزام بكثير من مبادئ المذهب الاباضي بما ينبغي لأي إمام رستمي ان يتقيد بها اسوة بأسلافه.كانت هذه من العوامل التي أدت إلى اشتعال فتيل الحرب بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح,فصار لكل منهما أتباع وخرج أبو حاتم من تاهرت واتجه الى حصن لواتة نظرا لتنامي معارضيه في تاهرت يتفق هذا مع قول ابن عذارى:" وقام فيها عاما واختلف عليه الناس واضطرب امره فخرج وقامت بينه وبين اهل تاهرت حروب عظيمة".[1]

أثناء غياب أبي حاتم تمكن يعقوب بن أفلح من أن يحكم تاهرت من:281-284هـ/894-[2] بتأييد معارضي أبي حاتم على توليته وبقي في تاهرت إلى أن عاد أبو حاتم يوسف إلى الحكم لكن استمرار الاضطرابات والصراع داخل البيت الرستمي يؤدي إلى قتل أبي حاتم من قبل أبناء أبي اليقضان .[3]

وفي هذا العهد تعرّض الرستميّين , أو بالأحرى النفوسيّين, لهجوم أغلبي في موقعة مانو 283هـ / 896م جنوب قابس [4] حيث خسرت نفوسة عددا كبيرا جدا من فقهائها وعساكرها. [5]

-**إمامة اليقظان بن أبي اليقضان** 294-296هـ/907م-909م:

وهو أخ أبي حاتم يوسف استمرت في عهده الفتن والانقسامات في البيت الرستمي التي أذنت بخراب الدولة وانهيار أسسها على يد أبي عبد الله الشيعي الذي ساعده الوضع على الانتصار على الرستميين والاستيلاء على عاصمتهم تاهرت في شوال 296هـ/909م. [6]

4 -سقوط الدولة:

إنّ سقوط الدولة الرستمية كان نتيجة طبيعية وحتمية لما آلت إليه الأوضاع الداخلية من تردي وفتن بسبب التصارع على الحكم ويمكن تلخيص العوامل التي أدت إلى الإنهيار إلى مايلي :

1-الفتن والحروب الأهلية التي أسهمت بشكل كبير ومباشر في ضعف الدولة ذلك أنّ البيت الرستمي تفكك بسبب المؤامرات والدسائس والتحالفات القبلية ,تذكر المصادر والمراجع أنّ دوسرة

(1) ابن عذارى: المصدر السابق , ص197.

(2) جودت عبد الكريم: المرجع السابق , ص 69.

(3) المرجع نفسه ,ص69.

(4) محمد الطالبي: المرجع السابق , ص 327.

(5) عبد الكريم جودت : المرجع نفسه , ص 94. ينظر سليمان الباروني: المرجع السابق , ص 371,372, وأيضا الدرجيني: المصدر السابق , ص 87.

(6) ابن عذارى :المصدر السابق , ص 197.

بنت أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب وعدت أبا عبد الله الشيعي بالزواج إن هو أخذ بثأر أبيها الذي قتله أبناء عمّها ,لكن لما نفذ طلبها اختفت وكانت ضمن العائلة التي التجات إلى ورجلان والراجح أنها أرادت أن تنفذ بجلدها بعدما حث من تقتيل في تاهرت على أيدي العبيديين .[1]

2-ضعف الارتباط بالمذهب والتقيد بمبادئ الشورى في اختيار الأئمة, فباستثناء الأئمة الثلاثة الأوائل الذين كان يتم تعيينهم بالإجماع والرضا فإنّ الأئمة الأواخر كان تعيينهم يتم بواسطة النفوذ السياسي في غالب الأحيان الأمر الذي كان يترتب عنه صراعات دامية .

3-هزيمة معركة مانو سنة 283هـ/896م [2]التي اعتبرت بداية النهاية فقد كانت خسارة كبيرة لنفوسة إذ فقد الاباضية في هذه المعركة رجالا لهم باع كبير في العلم والحرب علما أن نفوسة كانت بمثابة مستودع علمي وعسكري تستند عليه تاهرت في الشدائد .

4- هذه الظروف استغلّها أبو عبد الله الشيعي لينهي الدولة الرستمية بعد أن تمكّن من دخول تاهرت, إذ أن الجيش الفاطمي خرب هذه المدينة واستباحها . يقول البكري:"فوصل أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تاهرت فدخلها بالأمان ثم قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا منهم اليقظان بن أبي اليقضان وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس وطيف بها في القيروان" [3] لا بل إن عبد الله المهدي امر بحرق المدينة بما فيها مكتبة المعصومة سنة299هـ وهو تصرف ينم على أن الفاطميين لم يقبلوا أي أفكار تعارض مبادئ مذهبهم .

هذا الاضطهاد جعل الرستميين يفرون بمذهبهم إلى مناطق بعيدة وهي سدراتة ورجلان وجربة وجبل نفوسة يقول بن خلدون :"وعقد عروبة بن يوسف فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لأبي حمد دواس بن صولان اللهيصي في غزاته إلى المغرب298هـ/910م فأثخن في برابرتها الإباضية من لمّاية وازداجة ولوّاتة ومكناسة ومطماطة". [4]

(1) جمعية التراث: المرجع السابق ج2, ص 302.

(2) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 129.

(3) البكري : المصدر السابق ,ص68, بن عذارى , المصدر السابق ,ص197.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق ج6 ص 124 , محمد بن أحمد أبي راس الناصر: عجائب الاسفار ولطائف الأخبار , تحقيق محمد غانم , منشورات المركز الوطني للدراسات الأنتروبولوجية الثقافية والاجتماعية ,وهران الجزائر ,ص96.

إنّ الدولة الرستمية افتقدت إلى جيش نظامي لكنّها تمتعت بقوة الفكرة التي تأسّست عليها وتمسّك بها أئمتها وفقهاؤها وهي المذهب الإباضي , فحتى بعد سقوطها على أيدي الفاطميين كانت استمرارية للفكر الإباضي ,فقد التجأ من نجوا من بطش العبيديين وعلى رأسهم أبو حاتم يعقوب(1) إلى سدراتة ورقلة وأريغ حاملين معهم فكرهم ونظرياتهم التي حوتها كتبهم .

وهناك ملاحظة مهمة يجب ذكرها وهي أن وجود رغبة لدى إباضية منطقة ورجلان في إعادة إحياء الدولة الرستمية في هذه المناطق وقد عرض شيخ الإباضية هناك أبوصالح جنون بن يمريان على أبي يوسف يعقوب (2) ومن فرمعه من تاهرت ظنا منه أن الظروف التي ساعدت عبد الرحمن بن رستم في تأسيس إمارته بعد انسحابه من القيروان هروبا من بن الأشعث قد تساعد في إحياء الإمامة إلاّ أنّ هذا الأخير رفض ذلك وهو يدرك عدم جدوى هذا العرض بل استحالته في ظل قوة الفاطميّين الذين اكتسحوا المغرب واستطاعوا تقويض ملك الإمارات التي نشأت في المغرب في وقت واحد .

ثالثا- نشأة الدولة الأغلبية ونظام حكمها:

نشأت الدولة الأغلبية في إفريقية أي المغرب الأدنى في أواخر القرن 2هـ/8م بعد أكثر من 50سنة من تأسيس الخلافة العباسية في بغداد ,وقد قدر للأغالبة أن يدوم ملكهم 109 سنوات ميلادية/ 112 هجريةولقد كان ذلك بداية من أول أمير وهو إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م إلى آخر أمير وهو أبومضر زيادة الله الثالث سنة296هـ/909م.

1-تأسيس الدّولة :

ارتبط تأسيس الدولة الأغلبية بمحاربة العباسيين للثورات التي ظهرت في المغرب الإسلامي لأنّ وجود دولة تابعة للخلافة العباسية في إفريقية يضمن عدم قيام كيان سياسي قوي قد يهدد مركز الخلافة ببغداد , وبالتالي يحفظ التوازن السياسي في المغرب لصالح العباسيين.

أمّا ظروف تأسيس الدولة الاغلبية وجذورها فهي تعود إلى عهد أبي جعفر المنصور حينما بعث بمحمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي في جيش قوامهأربعونألف مقاتل .منهم عشرة ألف جندي من

(1) Abdallah laroui : opcit ,p105.

(2) موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1979, ص 342.

عرب الشام وكان من هؤلاء الجنود الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي الذي آلت إليه أمور ولاية إفريقية سنة 148هـ/765-766م.[1] إلى أن قتل في أثناء مواجهته للحسن بن حرب في شعبان سنة150هـ/767م كما ذكر سابقا, وقد عرف بالشهيد.[2] ثم خلفه عمر بن حفص الأزدي. إلاّ أنّ أمور المغرب لم يستقر إذ توالت أحداثه التي صنعتها ثورات البربر المتعاقبة من الصفرية و الإباضية ناهيك عن حركات التمرد من قبل الجند العربي التي كانت ملازمة تقريبا لأي وال على المغرب كانت آخرها الإضطرابات التي أثارها تصرفات محمد بن مقاتل العكي (181 - 184هـ/797م-800م)نتيجة ضعفه وقلة كفاءته، فقد تمرد عليه تمام بن تميم التميمي [3] ,مما سمح لإبراهيم بن الأغلب بأن يبادر بتخليص ابن مقاتل العكي من تمام و أظهر شجاعة كبيرة في ذلك,وفي المقابل استياءت الرعية من عجز محمد بن مقاتل العكي في هذه الواقعة إلى الحد الذي جعل أعيان القيروان يشيرون على ابراهيم بن الأغلب مكاتبة هارون الرشيد في أمر تعيينه واليا على إفريقية لما رأوه فيه من كفاءة سياسيّة وقوة عسكرية قادرة على ضبط الأمن والاستقرار في إفريقية.وهوالأمر الذي دفع صاحب البريد بإفريقية يحي بن زياد [4]من أن يكتب إلى هارون الرشيد يقنعه بتولية إبراهيم بن الأغلب.

إنّ الأحداث التي عرفها المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري والتي توجت بتأسيس إمارات مستقلة عن الخلافة العبّاسية أقنعت هارون الرّشيد بضرورة التّسليم بإقامة إمارة شبه مستقلة عن الدولة العباسية تضمن استقرار المنطقة وتكون حاجزا أمام أطماع الإمارات المستقلة في المغرب خاصة الدولة الإدريسية التي تأسّست على خلفية شرعية آل البيت في الخلافة وقد كان إبراهيم بن الأغلب الشخصية المناسبة لتولي أمور إفريقية, لاسيما وأنّ ولايته على إقليم الزاب[5] من قبل الوالي الأسبق هرثمة بن أعين بينت كفاءته العسكرية وحنكته السياسية وهما

---

(1) مصطفى أبو ضيف أحمد : أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين ومطبعة دار النشر المغربيّة ,الدارالبيضاء ,المغرب, 1983 ,ص41.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق ج5, ص26.

(3) عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ,دار الغرب الإسلامي, ط1, بيروت, لبنان , 1987, ص195.

(4) سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب الكبيرج3 , منشأة المعارف , الإسكندرية , مصر , 1990, ص29.

(5) لزاب: مشتق من مدينة زابي zabi وهي مدينة رومانية قديمة تقع في منطقة الحضنة الواقعةعند السفوح الجنوبية للأطلس يشمل سهول الحضنة ومدنها وهي مقرة وطبنة , ويحدده حسن الوزان بقوله: يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا, ويستدلي غربا من تخوم مسيلة ويحده ==

صفتان جعلتا الخليفة هارون الرشيد يقرّر تولية إبراهيم بن الأغلب أميرا على إفريقية .كتب هارون الرشيد بالولاية لإبراهيم في صفر 184هـ/800م[1] على أن تكون وراثية وهذا إعتراف صريح من قبله بإستقلال إفريقية في تسيير شؤونها مع بقاءها مرتبطة إسميا ومذهبيا[2] بالخلافة العباسية من خلال ذكرإسم الخليفة على المنابر وهو مايمكن أن نسميه الإستقلال الذاتي بالمصطلح الحديث.

بيد أنّ محمد بن مقاتل العكي الذي إلتجأ إلى مصر بعد هزيمته من قبل تمام بن تميم التميمي إحتال على إبراهيم من خلال رسالة مزورة[3] ضمنها إلى البريد الرسمي حسدا منه على المكانة التي نالها إبراهيم بن الأغلب الذي بدا من الانصياع ضنا منه أنّ الرسالة هي فعلامن الخليفة يأمره فيها بترك القيروان لسهل بن حاجب[4] على أنه الوالي الجديد.

لمّا علم هارون الرشيد بهذا الإحتيال عنّف محمدا بن مقاتل العكّي على سوء صنيعه في رسالة يأمره فيها بالرّحيل إلى المشرق, فجدد تولية إبراهيم بن الأغلب في12جمادى الثانية 184 هـ/9جويلية800م.[5]

فهذه الظروف إذا تمخضت عن تأسيس الدولة الاغلبية على إفريقية. وإسم الدولة مرتبط بالأغلب[6] بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي وهومن أسرة عربية تميمية مضرية [7] الذي ولّاه

==شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد غربا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى الطريق المؤدية إلى تقرت وورقلة, ينظر الحسن بن محمد الوزان :وصف إفريقيا والمغرب , ترجمة محمد حجي , محمد الأخضر ,دار الغرب الإسلامي ,ط2, بيروت , 1983, ص138,ينظر أيضا إسماعيل العربي,الصحراء الكبرى وشواطئها, الشركةالوطنية للكتاب 1983,ص 142,143.

(1) ابن الأثير يذكر محرم 184 كتاريخ تولية ابراهيم بن الأغلب على إفريقية , ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ج5,ص104.

(2) لقد اتخذت الدولة الأغلبية شعار اللون الأسود وهونفس شعار الدولةالعباسية. كما أن أمراءها كانوا يعتنقون المذهب الحنفي رغم أن مذهب غالبية الأهالي هو المذب المالكي, ينظر .محمد الطالبي, المرجع السابق ص72.

(3) لما قرأ ابراهيم الكتاب قال له الناس :"أقم مكانك واكتب إلى أمير المؤمنين ,فإن بن العكي اختلق هذا زورا و لم يكافئك على نصر تك له وحقنك دمه فقال:"والله لقد ظننت ظنكم وإنما إجترا بن العكي على الثغر لموضعه من جعفربن يحي, ينظر النويري ".نهاية الأرب في فنون الأدب ج22 ,تحقيق وتعليق مصطفى أبوضيف أحمد , دار النشر المغربيّة , الدار البيضاء , المغرب , ص 252.

(4) محمدالطالبي : المرجع السابق ص127.

(5) محمد الطالبي : المرجع نفسه ,ص83 ,ينظر ابن عذارى : المصدر السابق ,ص 92 و الرقيق القيرواني : المصدر السابق ,ص 221.

(6) غلب تعني صاحب الرقبة الطويلة ,ينظر ابن منظور: المصدر السابق المجلّد 2, ص 1003.

(7) مصطفى أبو ضيف أحمد : المرجع السابق , ص 46.

أبوجعفر المنصور على إفريقية 148هـ/ 765م كما سبق ذكره وهو في نفس الوقت شعار اعتمده الأغالبة يدل على الغلبة أي النصر وتم رسمه على السكةأيضا. [1]

إنّ اعتراف هارون الرشيد بإقامة دولة للأغالبة في المغرب هو في الحقيقة اعتراف للعائلة الأغلبية بجميل الأغلب بن سالم الذي خدم بني العباس مع أبي مسلم الخرساني في توطيد أركان الخلافة العباسية, كما أنّ شجاعة إبنه إبراهيم فرضته قائدا قادرا على ضبط أمور إفريقية.

2-الإمتداد الجغرافي :

أما عن الإمتداد الجغرافي للدولة ,فقد ضمت إفريقية[2] أي المغرب الأدنى والجزء الشرقي من المغرب الأوسط إلى غاية بجاية وامتدت حتى طرابلس شرقا مرورا بالزاب جنوبا.

امتدّت حدود الدولة الأغلبيةمن تونس الحالية حتى الشرق الجزائري حاليا إلى غاية بجاية مرورا بسطيف وبسكرة [3] وصولا إلى طرابلس .وأهم المدن التي كانت داخلة في الرقعة الجغرافية للدولة الأغلبية هي تونس والقيروان و قسطيلية وطرابلس ومدن الزاب مثل بغايا وطبنة وغيرها. [4]

---

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق، ص83.

(2) يوجد اختلاف في المصادر في أصل التسمية افريقية وحدودها الجغرافية,فيقوت الحموي في معجم البلدان يقول بأنها البلاد الواسعة التي تقع قبالة جزيرة صقيلية وينتهي آخرها قبالة الأندلس , أما ابن أبي الزرع يقول بأنّ هذا الاسم يعنون به القيروان وسميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق والمغرب.وأنها سميت كذلك بإسم أهلها وهم الأفارقة , وقيل أن أصلها من إفريقش بن أبرهة بن ذي القرنين لما غزا بلاد المغرب بنى مدينة سميت بإسمه, ويرى البلاذري نفس الرأي حيث يرى أنّها سميت كذلك نسبة إلى إفريقس بن قيس بن صيفي الحميري الذي غزا إفريقية في الجاهليّة, وللبكري نفس التفسير إذ يقول : إنها سميت بهذا الإسم لأن إفريقش بن إبرهة بن الزايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض البربر وهو الذي بنى إفريقية وقيل سميت بإسم إفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية, و يذكر عبد العزيز سالم في هذا السياق بعض الأراء مفادها أن هذا الاسم أطلقه الرومان على الجزء الشمالي الشرقي من تونس الحالية وكان يعرف بولاية إفريقية القنصلية , وهناك تفسير آخر وهو الأقرب احتمالا فالإسم, مشتق من اللغة القرطاجية التي هي اللغة الفنيقية تدل على مؤسسة منفصلة أي مفرقة ومستعمرة تابعة لمدينة صورالقديمة في لبنان وبما أنّ اللغة الفنيقية من اللّغات السامية فقد كان الاشتقاق العربي صحيحا ,لذا سمّى العرب الفاتحون هذه المنطقة إفريقية سبة إلى إفريقيا القديمة وهي إسم قرطاجة حسب المؤرخ سويداس. ويحتمل أن يكون الرومان قد أخذوا هذه التسمية عن قرطاجة ونستدل في ذلك على رأي عبد العزيز سالم الذي يرجّح أنّ العرب الفتحين أخذوا التسمية من الإسم الروماني Africa , ينظر ياقوت الحموي :المصدر السابق ج1,ص228, وابن أبي الزرع , المصدر السابق , ص 29, و البلاذري أبوالحسن : فتوح البلدان , دار ومكتبة الهلال , بيروت , لبنان, 1988 و البكري : المصدر السابق , ص21 , , ينظر عبد العزيز سالم : المرجع السابق, ص127,126,125 , و محمد الطالبي: المرجع نفسه ص139

(3) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 144.

(4) رابح بونار : المرجع السابق , ص 33.

3-نظام الحكم:

الدولة الأغلبيّة هي إمارة نشأت في إفريقية استقلّت عن الدولة العباسيّة لكنّها ظلّت مرتبطة إسميا بها لذلك اقتبست منها نظام الحكم وسارت عليه إلى غاية سقوطها .

أ-طبيعته:

تأسّست الإمارة الأغلبية على بإفريقية تمتعت باستقلالية تامةفي الحكم ولكنّها ظلت مرتبطة إسميا بمركز الخلافة العباسية في بغداد, وذكر اسم الخليفة العباسي على المنابر هو أحد الجوانب المعنوية لهذا الارتباط وكان نظام الحكم وراثيا. لقب حكامها بالأمراء والأمير هو رأس السلطة يقوم بتسيير شؤون الإمارة في السلم والحرب ويساعده الوزير الذي يرأس مجموعة من الكتاب يشرفون على الدواوين مثل ديوان الخراج وديوان البريد [1] وهو تقليد أخذه الأغالبة من العباسيين ومن الإمارات الإسلامية المعاصرة لهم .

ب- القضاء:

تمتّع جهاز القضاء بالاستقلالية بعيدا عن تدخل الأمراء أو الولاة وقد تولى هذا المنصب قضاة عرف بغزارة الفقه والالتزام بتطبيق الأحكام القضائية وفق العدل والشرع , و القضاة كانوا على المذهب المالكي والمذهب الحنفي وحتى من كان منهم على مذهب المعتزلة.*

ومن المهام التي أدرجت ضمن جهاز القضاء مهمة الحسبة[2] التي كانت تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر,و وظيفة المحتسب هي بالأساس مراقبة الأسواق[3] ومراقبة الآداب

---

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق، ص 74، 75.

* سيأتي الحديث عن القضاة في الدولة الأغلبية في الفصل الرابع .

(2) الحسبة مشتقة من الحساب أي العد وهي تعني كذلك طلب الثواب ومراقبة الإنسان لأعماله فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" إحتسبوا أعمالكم ,فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته" والإحتساب في الشرع طلب ثواب الآخرة والحسبة نظام إسلامي يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يذكر أن عمر بن الخطاب ضرب جمّالا لأنه أثقل على جمله انطلاقا من النهي عن المنكر . ارتبطت هذه الوظيفة بالقضاء إلى أن فصلها سحنون وعين لها أمناء أومحتسبين خاصين ,ينظر موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشاقا وتطورها) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , ط2 , الجزائر , 1971 , ص 20, 22, 41,.
يدخل في باب الحسبة من ادعى الطب وعالج الناس بغير علم فألحق ضررا بالمريض , ينظر موسى لقبال : المغرب الإسلامي , ص 188, وأيضا

(3) Atallah Dhina : Les etats de L'occident musulmanes au XIII,XIV et V siecles, office Des publications universitaires , Alger ,(s. d) ,p 350,351

العامة ,وأول من نظّم الحسبة في إفريقة هو الإمام سحنون, فقد كان يتجوّل في الأسواق ويراقب من يغشّ الناس في السلع فيؤدبه.

ج-بيت المال :

أقام الأغالبة دارا لسك[1] النقود وبيتا للمال على غرار ماكان معمولا به في باقي الأقاليم الإسلامية أنذاك ,و كانت مواردها من الخراج والزكاة والجزية التي تفرض على الذمّيين .

د-الجيش:

كان الجيش الأغلبي جيشا نظاميا يتكون من عدة عناصر منهم العرب و البربر والعجم , العبيد السود وهؤلاء كانوا من زنوج السودان, إذ بلغ عددهم في أيام إبراهيم بن الأغلب حوالي عشرة ألاف جندي. [2]

اهتم الأغالبة بالأسطول البحري الحربي فكان القوة الضاربة في الجيش ومثّل مجد البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للبحرالمتوسط ,في عهد الأغالبة والفاطميّين من بعدهم و يفسّر اهتمام الأغالبة بالقوة البحرية انطلاقا من ادركهم للمخاطر التي يشكلها الروم على سواحل إفريقية وكذلك لاخماد ثورات الإباضية في طرابلس . [3]

هـ-الأمراء الأغالبة :

-إبراهيم بن الأغلب 184 -196هـ/800م-812م :

هو مؤسس الدولة لقدكان واليا على الزاب كما تقدم ذكره سابقا وامتاز بشجاعته العسكرية وكفاءته وحكمته وحنكته في سياسة رعيته ومما عرف عنه إلمامه بالأدب والعلوم الشرعية وحفظه للقران الكريم ,فقد كان تلميذا لليث بن سعد المتوفى 165هـ /781م في مصر. [4]

ومن إنجازاته العمرانية بناء مدينة العباسية(القصر) على ثلاثة أميال من القيروان [5] لتصبح دارا للإمارة, ولعل اطلاق اسم العباسية على هذه المدينة فيه إشارة إلى الارتباط المعنوي بالدولة العباسية.

---

(1) محمد الطالبي :المرجع السابق , ص304.

(2) حسن حسني عبد الوهاب :المرجع السابق ص78.

(3) عبد العزيز و أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت, لبنان , 1969, ص 99.

(4) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج7,دار صادر للطباعة والنشر1958, ص517.

(5) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق , ص78

كما اعتنى عناية كبيرة بالجانب العسكري ,وكان ذلك طبعا ضرورة اقتضتها ظروف تأسيس الدولة من ذلك أنه أدخل عناصر جديدة في الجيش منهم زنوج السودان , إذ بلغ عددهم في عهده عشرة ألاف جندي [1]وللوقوف في وجه الإضطرابات والتمردات التي كان يحدثها الجند فقد أكثر من الإكرام لهم ,وهو إجراء وقائي لاحتواء أي تمرد. إلاّ أنّ ذلك لم يحل دون وقوع تمردات وثورات ,فقد واجه ثورة خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندي سنة186هـ/802م[2] وهو من العرب الذين استقروا في المغرب .

تعود أسباب هذه الثورة أو على الأصح التّمرد إلى أنّ هذا الثائر كان معارضا لبني العباس وقد انضمّ إليه عدد كبير من العرب تعبيرا عن رفضهم لاستقدام ولاة من المشرق حتى يستأثروا بالحكم في إفريقية, فقد اعتبروا أنفسهم أحق بذلك.و لم تدم ثورته طويلا فسرعان ما انتهى أمرها من قبل عمران بن مجالد,و سهولة القضاء عليها يفسّر بكونها افتقدت إلى سند البربر على الأقل من النّاحية المذهبية.

وقد عرفت طرابلس اضطرابات سنة 189هـ/805م [3] ضد سفيان بن المضاء بن عمر والي إبراهيم بن الأغلب . بيد أنّ أكبر عصيان هدّد كيان الدولة الأغلبية كان ذلك الذي تزعّمه عمران بن مخالد.[4]

– عبد الله الأول: 196 -201هـ/ 812م-817م:

ورث تركة كبيرة من المشاكل التي نجمت عن الإضطرابات والثورات وافتقد إلى التدبير والحنكة السياسية ,كان أبوه إبراهيم قد عيّنه واليا على طرابلس قبل ثورة قبيلة هوارة على سفيان بن مضاءة ثم أعاده إليها في جيش قوامه ثلاثة عشر ألف جندي[5] فأعمل فيهم السيف الأمر الذي أدّى بأهالي طرابلس إلى الاستنجاد بالإمام الرستمي عبد الوهاب بن أفلح الذي حاصر المدينة و لم يدم الوضع

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 78.

(2) ابن الأثير : المصدر السابق ج6 ,ص 63.

(3) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 160.

(4) سبب هذه الثورة يبدو تافها فحواه أن إبراهيم بن الأغلب ركب يوما إلى القصر الذي بناه في العباسية رفقة عمران بن مخالد الذي كان يحادثه طوال الطريق ولما وصلوا إلى مصلى روح بن حاتم قال إبراهيم لعمران: ألم تعلم أني لم أسمع من حديثك شيئا, أعده علي فغضب عمران من هذا التصرف معتبرا إياه استخفافا به ,ينظر محمد الطالبي : المرجع نفسه , ص165.

(5) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق ص85.

طويلا إذ بلغ عبد الله وفاة والده فلم يجد بدّا من عقد صلح مع البربر[1] يقضي بجعل المدينة والبحر للأغالبة بينما الصحراء للرستميّين .

-زيادة الله الأول 201-223هـ/817-838م:

اشتهر بفصاحة لسانه واعتبر عهده من أزهى فترات الدولة الأغلبية لما قام به من انجازات علمية وعمرانية ,فلقد أسهم في نهضة البلاد العلمية بتشجيعه للأدب والعلوم. واختياره لأسد بن الفرات قاضيا على القيروان سنة204هـ 819م [2] هو دليل ومظهر على تشجيعه للعلماء والتقرب منهم.

و من انجازاته العمرانية بناء سور حول مدينة القيروان فضلا عن الحصون والرباطات من أجل إقامة المجاهدين من العباد.[3]

ويبقى أهم انجاز خلّد مآثر هذا الأمير هو فتح صقيلية وقد أسند هذه المهمة للقاضي أسد بن الفرات الذي قال لزيادة الله عند تكليفه بهذه المهمة:"أصلح الله الامير أبعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة.؟ فقال له زيادة الله: إني لم أعزلك عن القضاء وقد وليتك الإمارة وهي أشرف من القضاء فأنت قاض أمير."[4] واسناد مهمة كهذه إلى قاض في مثل مكانة أسد بن الفرات ينمّ عن حسن تدبير بلاشك .

خرج أسد بن الفرات في حملة قوامها10 ألف جندي, إنطلق من مدينة سوسة إلى صقيليةفي سنة 212هـ/827م .[5]

واتمام هذا الفتح جعل من هذه الجزيرة منارة من منارات الإشعاع العلمي في عهد الأغالبة ومن جاء بعدهم فكانت منفذا للثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا, مما يكون له الاثر الإجابي في استقطاب عدد من الفقهاء والعلماء الذين يشكلون اللبنة الأولى لمدارس فقهية وإنتاج أدبي وعلمي وفير.

(1) ابن خلدون: العبر ج6 ,ص143.
(2) حسن حسني عبد الوهاب: لمرجع السابق ص213.
(3) ابن أبي دينار: المصدر السابق ص63.
(4) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق ,ص80,
(5) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : المرجع السابق , ص105.

لم يسلم زيادة الله من الفتن والاضطرابات فقد ثار عليه منصور الطنبذي الذي استطاع أن يسيطر على القيروان[1] وتمكّن زيادة الله من القضاء عليه في معركة فاصلة في 15جمادي الثانية من سنة 209هـ/13أكتوبر 824م, [2].

-أبوعقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :223 -226هـ/838م-841م.

بعد وفاة زيادة الله في 14 رجب 223هـ/838م[3] خلفه أخوه أبو عقال , وكان ذا سيرة حسنة عند الرعية وحتى عند الجند لأنه أزال ومنع المظالم ,فكثرت للعمال أرزاقهم ,حارب مظاهر الفساد بقطع النبيذ والخمر[4] الذي كان متفشيا في القيروان و دام حكمه ثلاث سنوات إذ توفي في ربيع الأخر من سنة 226هـ/841م.

-أبو العباس محمد الأول 226 -242هـ/841م-856م:

تولى الحكم بعد وفاة والده. بنى مدينة بالقرب من تاهرت سمّاها العباسية سنة 239هـ/853م لكن أفلح بن عبد الوهاب الإمام الرستمي خربها. [5]

عرف المذهب المالكي على عهده ازدهارا فقد عاصر كبار فقهاء وعلماء المالكية في إفريقية من أمثال عبد الله بن أبي حسان اليحصبي المتوفي سنة 227هـ/841م.[6] وإمام القيروان سحنون بن سعيد التنوخي الذي عينّه قاضيا سنة 234هـ /848م .[7]

-أبو إبراهيم أحمد : 242-249هـ/856م-862م

امتاز في حكمه بالعدل والاحسان للرعية والاستقرار النسبي في الدولة نتيجة سياسته التي حرص من خلالها على نشر الأمن والسلم في ربوع الدولة مستفيدا من تجارب أسلافه الأمراء,

---

(1) ينسب إلى طنبذة التي تقع جنوب مدينة تونس ,حرف إسمه في أكثر من مصدر ومرجع فنجد ابن خلدون في العبرج 4 ,ص201 , 202 , مثلا مرة يذكره بإسم الترمذي ومرة أخرى يسميه الطنبدي, طنبذة قصريقع على بعد 4فراسخ جنوب تونس موضع المحمدية حاليا جنوب سبخة السيجومي ,ينظر عمار الطالبي : المرجع السابق , ص 191وكذلك ياقوت الحموي :معجم البلدان ج4, ص 43,42

(2) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 205.

(3) ابن الأثير: المصر السابق ج5 , ص252

(4) المصدر نفسه , ص253.

(5) المصدر نفسه , ص253.

(6) الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري :معالم الإيمان ,في معرفة أهل القيروان ج2 , تحقيق محمد ماضور ومحمد الأحمدي أبو النور , مكتبة الخانجي , مصر المكتبة العتيقة , تونس , 1972, ص 62 .

(7) المصدر نفسه , ص84 .

فأكثر من عطاء الجند وعزّز صفوفه بعناصر جديدمن الزنوج [1] رغبة منه في أن يكون ذلك الإجراء وقاية من أي تمرّد يحدثه الجند.

لاشك أنّ الموارد المالية التي كانت تأتيه من صقلية كانت عونا له في إقرارهذه السياسة ففي عهده تم فتح قصريانة وهي مدينة من صقلية سنة 244هـ/ [2]

إنّ الأعمال والانجازات التي قام بها زادت من علو شأنه ليس فقط في نظر العامة بل حتى عند الفقهاء فقد أقام أحواضا مائية لسقي العطشى وهوالذي أصلح جامع الزيتونة[3]

لكنّ الاستقرار والهدوء الذي ساد إفريقية لم يحل دون اضطرابات في طرابلس هذه المدينة التي كان أغلب سكانها على مذهب الاباضية فكان من الصّعب إخضاعهم لسلطة الأغالبة خاصة فيما يتعلق بالجباية[4] رغم المعاهدة التي أبرمت بين الرستميّين والأغالبة سنة 196هـ/812محول اقتسام السيادة على طرابلس .

-زيادة الله الثاني : 249-250هـ/ 863م-864م .

لم تدم فترة حكمه طويلا حيث دامت أقل من سنة إذواصل سياسة أسلافه في إخماد الثورات خاصة تلك المتعلقة باباضية طرابلس.

-محمد بن أحمد بن أغلب(أبو الغرانيق):250-261هـ/864م-875م.

لقب بأبي الغرانيق[5] لأنه كان يصطاد الغرانيق ويحب أكلها ثار عليه أهالي منطقة الزاب[6] لرفضهم دفع الجباية إذ كان غالبا ما يستعان في جباية الأموال على الجيش وهذا يوحي بأن تحصيل الأموال لم يكن في غالب الاحيان يتم برضا الأهالي لأنّ هذه العملية كان يصاحبها التذمّر وهو السبب الذي حرك مشاعر الإستياء والكره وترجمت إلى ثورات وفتن,وقد استعان في اخماد هذه الثورة على أبي خفاجة محمد بن إسماعيل لإخماد الفتنة في الزاب.وتم في عهده فتح جزيرة مالطة سنة255هـ/869م. [7]

---

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق ,ص274,273.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ج4 , ص 205.

(3) ابن عذارى: المصر السابق ص114

(4) محمد الطالبي : المرجع نفسه , ص 280.

(5) ابن عذارى : المصدر نفسه , ص 114, الغرانيق جمع غرنوق وهو طائر أبض من طيور الماء ينظر ابن منظور : لسان العرب المجلد 2 ص982.

(6) محمد الطالبي : المرجع نفسه , ص283.

(7) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي :المرجع السابق ,ص 121, ينظر ابن خلدون : المصر السابق ج 6, ص 205.

المجاعة والوباء[1] الذين اجتاحا إفريقية والمغرب الإسلامي بكامله هي أهم الأحداث التي ميّزت عهده .فانتشر القحط والغلاء في جميع بلاد المغرب والأندلس وكان ذلك في سنة260هـ/873 .[2]
أما عن سيرته فهناك اختلاف بين ابن خلدون و ابن الأثير ,فالأول يصفه باللّهو والإسراف في شرب الخمر .[3] بينما الثاني يصفه بعكس ذلك من حيث أنه كان أديبا وذا سيرة حسنة.[4] توفي في منتصف سنة 261هـ/875م

-إبراهيم بن أحمد (إبراهيم الثاني) 261-289هـ/875م-902م :

هو الأخ الأكبرلأبي الغرانيق ,عرف بحزمه وعدله,فقد عمل جاهدا على توطيد الأمن في ربوع البلاد فحارب الفساد والمفسدين.

اهتم بجهاز القضاء فاختار القضاة على أساس النزاهة والكفاءة وكان لا يتسامح مع القاضي الذي يحيد عن أداء مهنه بما يجب أب يتّصف به من العدل في الأحكام بين الناس, فقد حدث أن قدّمت شكايات كثيرة ضد قاضي قسطيلية حسان بن البناء,[5] فتم عزله و تقديمه إلى القاضي بن عبدون وهو قاضي القضاة في القيروان وحضرها الأمير نفسه مما يدل على أنه كان حريصا على تطبيق العدل لكن حجة ابن البناء كانت قوية فبرئ من التهم النسوبة إليه .

وأولى إبراهيم الثاني عناية كبيرة بالجانب الدفاعي فقد بنى الحصون والمحارس بسواحل البحر ويعبّر ابن خلدون عن ذلك بقوله:"حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو فيتصل إيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة"[6].

بنى عاصمة جديدة سماها رقادة (على4 أميال من القيروان) و يبدو من التسمية أنها مشتقّة من الرقاد أي النوم [7] , تم بناء هذه المدينة سنة 263هـ/876م .[8]

---

(1) ابن عذارى : المصر السابق ص116.
(2) ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس,دار المنصور للطباعة والوراقة, الرباط, 1972, ص96 , ابن عذارى : المصدر السابق , 116.
(3) ابن خلدون : المصدر السابق ج4, ص205 .
(4) ابن الأثير : المصدر السابق ج5 ,ص263.
(5) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص300.
(6) ابن خلدون : المصدر نفسه ج4 , ص207.
(7) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق , 116
(8) ابن الأثير : المصدر نفسه ج 6 , ص36 , ابن عذاري : المصدر نفسه , ص 117.

وفي عهده تعرّض المغرب والأندلس لكوارث طبيعية منها زلزال عنيف كانت له أثار وخيمة على العمران حدث في 22شوال 267 هـ/22ماي 881 م[1] كما ألقت المجاعة بظلالها على المنطقة مجدّدا في سنة285هـ/898م وقد كانت شديدة الوقع إذ توفّى على إثرها عدد كبير من الناس حسب رواية ابن أبي زرع .[2].

إنّ الأزمة المالية التي حدثت في عهده بسبب التبذير جعلته يباشر عملية إصلاح مالي,[3] فعمل على تحويل كل معدن نفيس بما في ذلك حلي نسائه إلى دراهم ودنانير قصد مواجهة الحاجات المتزايدة للنقود إذ حدث أنّ نقودا مغشوشة كانت تتداول في السوق .

ولكنّ الغريب في حياة هذا الأمير هو أنّ المصادر والمراجع أشارت إلى أنّه في آخر أيامه أسرف في القتل, ففي سنة268هـ/882م قتل عددا من أهل الزاب بعد أن أظهر الإحسان إليهم[4] في شكل يوحي بالإبادة الجماعية وفي سنة 280هـ/893م قتل شيوخ مدينة بلزمة[5] في القيروان بمكيدة دبّرها في ظروف مشابهة لمقتل أهل الزاب.

لم يفرّق في سياسة البطش هذه بين عامة الناس وخاصتهم إذ كان من بين ضحاياه الطبيب إسحاق بن عمران الذي قتل صلبا في سنة279 هـ/892م-893م[6] الأمر الذي زاد من تذمّر الناس منه ,فكثرت شكاوي السكّان. حتى أنّ الخليفة العباسي المعتضد (279-289هـ/892-902م) كتب إليه معنفا إياه بقوله:"إن لم تترك أخلاقك في سفك الدّماء فلأسلّم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس."[7]

لا شك أنّ تقلب أحواله من السيرة الحسنة إلى البطش لايفسّر إلاّ بعدم الإتّزان في شخصية كهذه مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأنّه أصيب بمرض عقلي.[8] يصفه ابن خلدون بالماليخوليا ,[9]

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق ,ص 97 .
(2) المصدر نفسه , ص 97 , ابن الأثير :المصدر السابق ج6 , ص36.
(3) محمد الطالبي : المرجع السابق ص302
(4) ابن الأثير : المصدر السابق , ج6 , ص 39.
(5) مصطفى أبو ضيف أحمد : القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين, ص49 , محمد الطالبي: المرجع السابق , ص313.
(6) ابن عذارى:المصدر السابق , ص122.
(7) محمد الطالبي: المرجع نفسه , ص324.
(8) المرجع نفسه , ص340
(9) ابن خلدون: المصدر السابق ج4 ص208

وتوفي في أثناء حصاره لمدينة كنسة في صقيلية في سنة 289هـ/902م, فدفنه حفيده زيادة الله بن أبي العباس في بلرمو.(1)

-أبو العباس عبد الله الثاني 289-290هـ/902م-903م:

تميّزت سياسته بالرفق بالرعية وتحقيق العدل والجهاد حتى أنّه أمر بسجن زيادة الله لما بلغه عنه من اللهو والإسراف في الملذات فولى مكانه محمد بن السرقوسي على صقيلية .ثم إن انتحاله مذهب من قالوا بخلق القرآن جلب له سخط العامة,(2) وهو إحياء لما حدث في عهد أسلافه فزادت متاعبه .

وفي هذه الأثناء أصبحت الدولة الأغلبية مهدّدة بخطر جديد ألا وهو الدعوة الفاطمية التي كانت قد تسرّبت إلى المغرب في عهد إبراهيم بن أحمد(3) بشكل سمح لدعاتها بنشر أفكارهم , وإعداد العدّة للإنقضاض على الأغالبة في الوقت المناسب . إذ بدأ نجم الفاطميين يسطع في المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي الذي بدأ في نشر أفكاره في قبيلة كتامةوالتي يبدو أنها كانت على المذهب الخارجي ثم غيّرت ولاءها المذهبي(4) وكان ذلك مؤشّرا واضحا على أنّ دعوة الفاطميين هي تهديد لوجود الأغالبة ذاته وقد بدأت إرهاصتها الأولى سنة 286هـ/899م (5) في ظل الفتن الداخلية التي أودت بحياة أبي العباس بتآمر من زيادة الله الثالث سنة 290هـ/903م.

-أبومضر زيادة الله الثالث : 290-296هـ/903م-909م .

انصرف إلى اللهو في الوقت الذي تعاظم فيه شأن أبي عبد الله الشيعي حيث استغلّ ضعف الأغالبة . ويتطابق هذا مع قول ابن الأثير" ثم أتاه خبر مقتل أبي العباس وولاية زيادة الله واشتغاله باللهو واللعب فاشتدّ سروره". (6) إنّ ضعف حكام الأغالبة وفساد نظام الحكم والصراعات الداخلية هي كلّها أجواء صنعت نجاح أفكار أبي عبد الله الشيعي وبدأت انتصارته المتوالية تقوّض

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق , ص 208.

(2) Robert Mantran : l' expansion musulmane ,VII-XI siecle , 1ère edition ,1969 ,presse uneversitaires de france,p 187.

(3) ابن خلدون : المصدر نفسه , ص 208.

(4) القاضي النعمان : إفتتاح الدعوة , تحقيق فرحات الدشراوي , الشركة التونسية للتوزيع , تونس, 1975, ص155.

(5) ابن خلدون : المصدر نفسه , ص 214.

(6) ابن الأثير : المصدر السابق ج6 ,ص128.

أركان الدولة الأغلبية ذلك أن ضعف الجبهة الداخلية هيّأ الأجواء لسقوط مدن كثيرةعلى يد أبي عبد الله الشيعي.فقد بدأت أولى المواجهات بينه وبين الأغالبة منذ سنة 287هـ/909م(1) و أسفرت معظمها عن ضعف الجيش الأغلبي وبالتالي انهزامه.

4- سقوط الدولة :

تلقّى الجيش الأغلبي بقيادة زيادة الله الثالث هزيمة كبيرة في معركة الأربس(2) سنة 296هـ/908-909م (3) وأدرك على إثرها أنه لم يعد باستطاعته الدفاع عن ملك أجداده فماكان منه إلا أن رجع إلى رقادة وجمع أهله وأمواله وارتحل إلى طرابلس ومنها إلى مصر. وقدحدث ذلك في 26جمادي الثاني من سنة 296هـ/18مارس 909م(4) ويقال إنه قضى مابقي من أيامه في القدس(5) إلى أن توفي بها. وبذلك تنتهي الدولة الأغلبية بعد أن استمرت112سنة هجرية و109سنة ميلادية.

ولّمادخل أبوعبد الله الشيعي القيروان أمّن أهلها وولى القضاء محمد بن عمر المروزذيي (6) ويبدو أنّه قد اعتنق المذهب الشيعي منذ فترة طويلة وتم ذلك في أول رمضان من سنة 296هـ/909م.(7)

---

(1) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في مصر ,سوريا وبلاد المغرب,مكتبة النهضة المصرية القاهرة, ,ط2 , 1958, ص 50.

(2) الأربس مدينة تبعد عن القيروان بمرحلتين من الغرب وهي مدينة كبيرة عامرة , أما ياقوت الحموي فقال بأنّها تبعد تبعد عن القيروان ب3أيام وقد ذكرها البكري بإسم لربس ينظر اليعقوبي: البلدان,منشورات محمد على بيضون,دار الكتب العلمية , ط1, بيروت, 2002 ,ص188, و ياقوت الحموي: المصدر السابق ج1, ص165, وكذلك البكري : المصدر السابق , ص 46.

(3) ابن خلدون : المصدر السابق ج4 ,ص210 , ابن عذارى يذكر أن المعركة جرت في سنة 293هـ , ينظر ابن عذارى : المصدر السابق , ص 139.

(4) عبد العزيز الثعالبي : المرجع السابق , ص 319.

(5) ابن خلدون : المصدر نفسه ,ص210

(6) القاضي النعمان : المصدر السابق , ص246, 247 , ابن عذارى يذكره بإسم المروزي , بينما الدباغ يذكره باسم المروذي ,ينظر ابن عذارى , المصدر السابق , ص 151 و الدباغ :المصدر السابق , ص 300.

(7) عرف عن هذا القاضي أنه نكّل بأهل السنّة وأصدر أمرا يقضي بمنع الإفتاء بمذهب مالك وغيره ولا يفتى إلا بالمذهب الجعفري ,ومن مظاهر التنكيل بفقهاء السنة أن أبا جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري الأندلسي قتل بسعي من هذا القاضي بطريقة بشعة لكرههة لبني عبيد, ينظر مرمول محمد الصالح : السياسة الداخليّة للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي , ديوان المطبوعات الجامعيّة و الجزائر , 1983, ص143,142 و صالح باجية: المرجع السابق , ص113.

الفصل الثاني:

عوامل الإشعاع الفكري
في القرنين: 2و3هجريين/ 8و9 ملاديين

أولا-المدن ودورها في الإشعاع الفكري :

ثانيا-سياسة عمر بن عبد العزيز وأثرها على المغرب الإسلامي :

ثالثا-التنوع المذهبي والتبادل الثقافي :

رابعا-التبادلات التجارية ودورهافي إثراء الفكر والثقافة :

أولا-المدن و دورها في الإشعاع الفكري:

ارتبط إنشاء المدن في المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح,على غرار مدن المشرق,بالإطار التنظيمي للمجتمع الإسلامي. فقدعبرت عن قالب حضاري وفكري للدول التي نشأت في المغرب, فشكلت منظومة إجتماعية إقتصادية ثقافية متكاملة

إنّ العمران كان له دلالات حضارية إسلامية واكبت التطور الحضاري للمجتمعات الإسلامية في المغرب ويعبّر ابن خلدون عن ذلك بأنّ العمران هو الإجتماع الإنساني وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع.[1] وفي نفس السياق يرى ابن خلدون بأن التطور الفكري مرتبط بتطور الحياة الإجتماعية , فالعلوم تكثرحيث يكثر العمران والحضارة [2] وبما أنّ الحضارة هي رديف للمدنية فإنّ هذه الأخيرة مشتقة من المدينة[3] وهذا يعني أن أي فكر إنساني ينشأ من المدينة بما تحتويه من مرافق ومراكز لصناعة الفكر أو الحضارة بشكل عام.

وانطلاقا من هذا كله فإن المدن في المغرب الإسلامي هي المراكز التي احتضنت ثقافة وفكر المغاربة كانت جذورها مشرقية لكن سرعان ما استقلّت بذاتها.

خضعت مدن المغرب كغيرها من مدن الأقطار الإسلامية لقواعد تخطيط عمراني مستوحى من الثقافة الإسلامية على النحو التالي :

-مركز المدينة[4] يتكوّن من المسجد الجامع الذي يعدّ قلبها النابض باعتباره مؤسسة دينية ترمز لوحدة المسلمين العقائدية والسياسية وتماسكهم الاجتماعي ,ثم تمّ تشيد المرافق الأخرى .

– المحيط الإنتاجي وهي الأحياء المحيطة ا بالمركز حيث تتميّز بمختلف الأنشطة.

– الأحياء السكانية غالبا ماتشكل انتماءات قبلية أومذهبية مرتبطة بولاءات سياسية تفرضها ظروف اقتصادية .

– سور المدينة :هو وسيلة دفاعية ثابتة للمدينة وشكل ميز مدن القرون الوسطى نتيجة الصراعات والحروب المتوالية.

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ,ص46

(2) عبد الله شريط : المرجع السابق , ص411.

(3) أمينة تشيكو : المرجع السابق ,ص17

(4) عبد العزيز لعرج : (العمران الإسلامي وعمارته) ,حولية المؤرخ , العدد 3و4 , السنة 2005 ,ص81.

إنّ المدن المغربية شيّدت على الأسس المادية والفكرية للحضارة الإسلامية[1] ولعبت دورا كبيرا ومهما في إثراء الثقافة والفكر الإسلاميين ,فقد استمرت زمنا طويلا كمراكز لإنتاج علمي وأدبي غزير في ظل مؤسسات علمية زخرت بها المدن المغربية هناك عدة مدن مثلت مراكز الإشعاع الفكري على مستوى المغرب الإسلامي بل حتى في أرجاء واسعة من العالم الإسلامي.

ومن أبرز المدن التي اعتبرت قلاعا للفكر والحضارة في بلاد المغرب القيروان:[2] لقد فكر عقبة بن نافع في بناء قاعدة ثابتة للفتح الإسلامي في إفريقية وقد كان معه 18 رجلا من صحابة رسول الله (ص)[3] لما عزم على بنائها حيث قال:" إن إفريقية إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا وقيروانا تكون عزا للإسلام إلى أخر الدهر".[4]

كان الإقتراح في البداية أن تبنى بالقرب من البحر لكن عقبة رفضه لما يحمله من مخاطر من جانب الروم فتم الإتفاق على أن يكون بناؤها في موقعها الحالي,إذ شرع في البناء سنة50هـ /وتم انجازه سنة55هـ/ وقد رويت عدة كرامات في عملية الشروع في البناء[5].

تقع على بعد ستّة وثلاثين ميلا من البحر المتوسط ونحو100ميل من مدينة تونس[6] وقد أحيطت بسور جميل من الآجر.بني حسب اليعقوبي في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب عقب ثورة عمران بن مجالد وعبد السلام.[7] إلاّأنّ اليعقوبي يختلف عن المصادرالأخرى في أنّ بناء المدينة كان سنة60هـ/680م[8] على أنّ الراجح هو سنة 55هـ/675م عند أغلب المؤرخين .

(1) خسين محمد سليمان: التراث العربي الإسلامي , ديوان المطبوعات الجامعيّة , الجزائر , بدون تاريخ , ص 57.

(2) القيروان بفتح القاف وسكون الياء وفتح الراء إسم معرّب وهو بالفارسية يعني كروان وهوطائر يشبه الحجل , والقيروان تعني محطة إبدال أوتجمع عسكري للدفاع عن المدينة , ينظر ابن منظور:المصدر السابق , ص 77,و موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (ق8م- 11م/ /2هـ-5هـ), المؤسسة الوطنية للكتاب ,ط1,الجزائر 1984 ,ص103وكذلك موسى لقبال , المرجع السابق , 30.

(3) ابن عذارى : ,المصر السابق , ص20

(4) موسى لقبال: المرجع نفسه ,ص29.

(5) ينظر ابن عذارى : المصدر السابق , ص 20.

(6) الحسن بن محمد الوزان :المصدر السابق وصف إفريقية والمغرب , ص87.

(7) اليعقوبي: البلدان : المصدر السابق , ص186.

(8) المصدر نفسه , ص186.

إنّ القيروان كانت تضم مجتمعا متنوعا في انتماءاته المذهبية والقبلية, فقدتوطنت فيها قبائل عربية مضرية وقيسية ويمنية وتميمية ومن أهل خرسان الذين دخلوا مع الفتح الإسلامي والبربر وأقلية من الروم.

تحدّث عنها ابن حوقل فقال:" فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجرا وأموالا وأحسنها منازل وأسواقا,وكان فيها ديوان جمع المغرب وإليها تجبى أموال وبها دار سلطانها وبظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب ".[1]

ودور مدينة القيروان الثقافي والفكري ارتبط بالمؤسّسات الدينية وفي مقدمتها المسجد الذي كان يؤدّي وظيفة التعليم والتثقيف إلى جانب وظيفته الأصلية وهي العبادة .

وبالتأكيد نذكر الدور البالغ الأهمية الذي لعبه المسجد الجامع[2] بالقيروان وهو أول معلمة دينية وحضارية بالمغرب الإسلامي. فقد أسهم في إقامة قواعد ومبادئ الدين الإسلامي و نشرالثقافة الإسلامية في ربوع المغرب.وبناه عقبة لما بدأ يختط مدينة القيروان . ولقد قيل "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة" [3] عرف هذا المسجد توسعات وترميمات في عهود مختلفة اقتضاه توسع النسيج العمراني للمدينة , وبالتالي زيادة عدد المصلين إذ وقع تغيير في عهد حسان بن النعمان69-84هـ/694م-698م[4] وكذلك التوسعة في عهد بشر بن صفوان بأمر من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م) [5] .وتم ترميمه في عهد زيادة الله الأول الأغلبي .[6]

وفي حقيقة الأمر إنّ سمعة وشهرة القيروان ارتبطت بمكانة هذا المسجد الجامع الذي تخرّج منه فقهاء وعلماء تخطّت سمعتهم حدود المغرب فهو منارة بل كعبة العلم في المغرب وحتى الأندلس في طلب العلم و الإنتاج الديني والعلمي و كان فيه جناحان للتعليم: جناح للرجال وآخر للنساء .[7]

(1) ابن حوقل: صورة الأرض,دار صادر , بيروت , لبنان , ط2 , بدون تاريخ,ص96

(2) تقول إحدى الروايات التي ساقها ياقوت الحموي بأن عقبة بن نافع لما اختط الجامع تحير في موضع قبلته فبقي مهموما لكن وهو نائم سمع قائلا يقول: في غد أدخل الجامع فإنك تسمع تكبيرا فاتبعه فأي موضع انقط الصوت فهناك القبلة التي رضيها الله للمسلمين بهذه الارض, ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق ج4 ,ص421

(3) أنور الرفاعي : المرجع السابق , ص 358.

(4) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق , ص 78.

(5) عبد العزيز سالم : المرجع السابق , ص422

(6) فليب حتي و أدوارد جرجي و جبرائيل جبو : تاريخ العرب ج1 , دار الكاشف للنشر والطباعة والتوزيع بيروت ط1965,1, ص 330.

(7) عمر رضا كحالة :المرجع السابق , ص61.

استقرّ بالقيروان علماء كبار من أمثال أبي أيوب سليمان بن يسار من رواة الإمام مالك واستقطبت لغويّين كالطرماح وعياض بن عوانة[1] وفي هذا السياق قال عنها عبد الواحد المراكشي :"وكانت القيروان هذه في قديم الزمان-منذ الفتح إلى أن خربها الأعراب —دار العلم بالمغرب ,إليها ينسب أكابر علمائه , وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم". [2] حيث إلتقت فيها مختلف المذاهب التي وفد أصحابها من المشرق ثم مالبثت أفكارها أن انتشرت في ربوع المغرب والأندلس.لقد كانت القيروان إذا بوابة العلم إلى المغرب كله .

وهناك مدن لاتقلّ أهمية عن القيروان في الإسهام الثقافي والفكري,فمدينة تونس[3] مثلت إحدى قلاع الثقافة الإسلامية في القرن 2هـ /8م فدورها ارتبط من دون شك بجامع الزيتونة أهم مساجد إفريقية, فإلى جانب دوره الأساسي في تعليم ونشر العلوم الشرعية فقد اعتبر أيضا جامعة علمية إذ احتفظ بهذا الدور وبسمعته إلى عصور متأخرة , درّس فيه كبار الفقهاء والعلماء . بناه والي إفريقية عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/732م[4] اختلف في سبب تسميته لكنّ الراجح أن تسميته بجامع الزيتونة تعود بالأساس إلى أنّ الزيتونة شجرةمباركة ذكرت في القرآن الكريم فهي تعبر عن النور ويفهم من دلالة الإسم أنّ هذا الجامع ينير بلاد المغرب بنور وهدي الإسلام.[5]

ومن المدن أيضا طبنة[6] وهي من مدن الزاب يعود تاريخها إلى عهد الروم كان يقطن بها العرب والأفارقة والعجم .اشتهرت بعدد كبير من العلماء والنوابغ في مختلف فروع العلوم لاسيما في الفقه والأدب أكثرهم تخرّجوا على يد سحنون, منهم النعمان بن المنذر من مجانة وعلي بن الصبار قاضي ميلة تلميذ سعيد بن الحداد [7] وإبراهيم الطبني وأحمد بن فروخ الذي عاصر الغزو الشيعي للقيروان [8] وهؤلاء الفقهاء ,وغيرهم ممن احتضنتهم هذه المدينة, قاموا بجهود كبيرة للحفاظ على المذهب المالكي والدفاع عنه .

(1) محمد الطالبي : المرجع السا بق , ص 47.
(2) محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب , المكتبة العصرية,ط 2006,1 , صيدا بيروت , ص 255.
(3) قيل إنها سميت كذلك لجمالها وأنها تؤنس وتبهج من دخلها كانت قبل الفتح الإسلامي قرية صغيرة جنوب قرطاجة تسمى ترشيش ينظر محمد علي دبوز :المرجع السابق , ص 115.
(4) عبد العزيز سالم: المرجع السابق, ص436. عمر كحالة ,المرجع السابق , ص74.
(5) إحسان حقي : المرجع السابق,ص53.
(6) يخلط بعض المؤرخين بين اسم طبنة وطنبذة في بعض الأحداث التي وقعت في إفريقية خاصة في عهد الأغالبة فهم مثلا ينسبون على بن منصور الذي ثار على زيادة الله تارة إلى طبنة وتارة أخرى إلى طنبذة فيقال بن منصور الطنبذي وفي مواضع أخرى الطبني
(7) المهدي بوعبد الله : (مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر) مجلة الأصالة العدد 11 , أفريل 1972, ص40.
(8) محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1983 , ص 88.

ومدينة سوسة هي الأخرى احتوت على معالم دينية فقد بني فيها مسجد يعرف بأبي فتاتة مابين سنتي 223و226هـ/838و841م ومسجدها الجامع سنة 236هـ/850م في عهد الأمير الأغلبي أبي العباس.(1)

وجدير بالذكر أن عملية بناء المساجد لم تكن قاصرة على الدولة فقط ,بل إن إسهامات بعض الأثرياء الصالحين كان لها أثر في انتشار هذه المؤسسات الدينية ,ومن هؤلاء الإمام أبو عبد الله محمد ابن عمر بن خيرون المعافري الأندلسي القيرواني المتوفي سنة306هـ/918م(2) بنى مسجدا بالقيروان سنة252هـ/866م ويعرف بذي الأبواب الثلاث(3) وبنيت مساجد أخرى منها مسجد الحبلى ومسجد أبي ميسرة.(4) وقد ساهمت هي الأخرى في نشر الثقافة الإسلامية كما كان في القيروان مساجد تابعة للصفرية والإباضية .

ولايفهم من التبّعية أنها كانت خاصة بهذه الفرق فقط إنّما المقصود هو أن بناءها تم على أيدي هذه الفئات وهو الراجح في الأمر , إذ لو كان الأمر كذلك فإنه نفي لوجود حوار مذهبي خاصة مع الإباضية الذي هو مذهب يتميز بالاعتدال والتقارب مع المذاهب السنية .

وفي سياق الحديث عن المؤسسات الدينية والثقافية في إفريقية نذكر مؤسسة أخري ذات أهمية كبيرة في هذا المجال وهي بناء الرباطات.والرباط(5)هو عبارة عن ثكنة تتألف من صحن ومن عشرات الغرف المنفردة حوله تنتهي بجامع كبير, وإنشاؤها كان لغرض الدفاع عن الثغور أولا, لكن هناك دور آخر وهو أنه يمثل مدرسة يقيم فيها المرابطون احتسابا للعلم , كما تتم فيه عملية استنساخ المصاحف وكتب الحديث والفقه. وأشهر هذه الرباطات رباط المنستير الذي بناه هرثمة بن أعين سنة 180هـ/796م(6) والذين يقيمون فيه من الفقهاء والمدافيعين عن الثغور يسمون بالمرابطين .

وقريبا من إفريقية تقع صقيليةالتي فتحها الأغالبة وأضحت إحدى أهم مراكز الإشعاع الفكري, فقد عمل المسلمون على نشر الثقافة الإسلامية بها ,ولعل اختيار الفقيه أسد بن الفرات قائدا على

---

(1) عبد العزيز سالم :المرجع السابق, ص 443.
(2) محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقة المالكية , دار الكتاب العربي , بيروت لبنان , بدون تاريخ , ص 81.
(3) المرجع نفسه, ص447.
(4) عمر كحالة : المرجع السابق, ص 58.
(5) المرجع نفسه, ص59,59.
(6) موسى لقبال: (أوضاع ولاية إفريقية ,وبناء القصر الكبير في المنستير 180هـ/796م نتائج وآفاق) , حوليات جامعة الجزائر العدد4 , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 1990 -1989 , ص 17.

رأس الحملة التي فتحتها له دلالته العلمية إذ سرعان ماانتشر فيها الإسلام وبنيت فيها الجوامع ,مثل جامع بالرمو عاصمة صقيلية .[1]

مدينة تاهرت: أسّسها عبد الرحمن بن رستم لما غادر القيروان ملتجئا إلى المغرب الأوسط عقب هزيمة أبي الخطاب في طرابلس على يد محمد بن الأشعث سنة144هـ/ 761م رفقة جمع من الإباضية الذين اتفقوا مع عبد الرحمن على بناء مدينة تجمعهم فنزلوا بموضع تلتقي فيه أنهار ثلاث[2] وتاهرت التي بناها عبد الرحمن بن رستم هي المدينة الحديثة لأنه كانت توجد مدينة قديمة في نفس المنطقة لها نفس الإسم وهذا يدل على أن المنطقة كانت مأهولة من قبل .فقد جاء في بعض المصادر التاريخية أنّ تاهرت هو إسم لمدينتين متقابلتين يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت الحديثة[3] وهي المدينة التي بناها عبد الرحمن بن رستم تقع في سفح جبل يسمّى جزول يلتقي عندها نهران ,أحدهما يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة والآخر يجري من عيون يسمى تاشيش.[4] ولاشك في أن اختيار هذا الموضع مرده إلى توفر الماء.

عرفت هذه المدينة توسعا عمرانيا كبيرا في أيام أفلح بن عبد الوهاب[5] وبذلك أضحت مقصد العلماء والأدباء والفقهاء بمختلف مشاربهم المذهبية, لأنّ موقعها الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها ملتقى تجاريا وعلميا ومذهبيا, فكان شأنها كبيرا بين المدن الإسلامية الأخرى ,لأنّ مقارنتها بحواضر العالم الإسلامي في هذه الفترة دليل على المكانة التي بلغتها سياسيا وثقافيا.مماحمل بعض المؤرخين على تشبيهها بقرطبة ودمشق وبغداد.[6]

ومدينة هذه حالها لابدّ أن يتوافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة,أو ارتحالا لطلب العلم, وفي أغلب الأحيان كانت التجارة وماتوفره من مكاسب عاملا مهما في الإنتقال إليها. وعلى هذا النحو فقد سكن تاهرت أهل المشرق والقيروان ومن الأندلس فضلا عن بعض المسيحيين وحتى اليهود.

---

(1) عمر كحالة : المرجع السابق , ص 80.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق , ص196.

(3) ياقوت الحموي : المصدر السابق ج2 ,ص8 , ابن عذارى : المصدر نفسه , ص 196.

(4) المصدر نفسه ,ص8. جاء في كتاب الإستبصار بإسم نانس , ينظر كاتب مغربي مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار , تعليق سعد زغلول عبد الحميد مطبعة جامعة الإسكندريّة 1958, ص178.

(5) إحسان عباس: (المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين) الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلّد1 ,1977, ص126.

(6) عبد العزيز الدوري : المرجع السابق , ص79.

إن تنوع العلوم الصناعات والحرف بالمدينة عكس بالفعل التنوع القبلي والمذهبي مما يكون له الأثر الإيجابي في معظم الأحيان على النهضة الثقافية والثراء المعرفي في كل صنوف المعرفة تقريبا.

لأن التّسامح[1] الذي عرف به الأئمة الرستميون جعل الفقهاءو العلماء والأدباء وأصحاب الحرف المختلفة يشدّون الرحال إليها فكانت مرسى لأفكارهم وفضاءا واسعا لمواهبهم .

فمدينةتاهرت إذا لم تكن فقط العاصمة السياسية للرستميين بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية

ومن أكبر المؤسسات العلمية والثقافية في تاهرت مسجدها الجامع وهو بمثابة مدرسة إباضية[2] ليس فقط لإباضيي الدولة الرستمية بل استقطب معتنقي هذا المذهب من كل مكان لدوره في انشاء الفقه الإباضي وتطويره وفي هذا السياق يقول ابن الصغير :"...لما وليّ عبد الرحمن بن رستم ماولي من أمور الناس شمر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف ,ولايخاف في الله لومة لائم ,فطارذلك في أطراف الأرض مشارقها ومغاربها حتى اتصل ذلك من إخوانهم من أهل البصرة وغيرها من البلدان " [3] و مكتببة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية وحققت مساعيهم في تحويل حاضرة دولتهم إلى مركز إشعاع فكري يضاهي لابل ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي في زمانها.

لقد زوّد الأئمة الرستميون مكتبتهم بأمهات الكتب ونفائسها لأنها كانت عامرة بمختلف ألوان الأدب وفروع العلم والمعرفة فقيل إنها حوت 300ألف[4] مجلد قبل أن يحرقها الفاطميون على إثر استيلائهم على تاهرت.

وإسم المعصومة ربما يكون قد أطلق عليها لقربها من القصبة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة.[5]

---

(1) التسامح كمايعرفه مارسيل بوازار بمعناه الحديث هوفعل يوافق استعدادا فكريا أو قاعدة سلوك يمتنع المرء معها عن استخدام كل وسيلة قهرية مع الذين لايشاطرونه قناعات مماثلة لقناعته .والتسامح الإسلامي عبارة عن تقدير لغير المسلم وعدل وإرادة إلهية فهو يستلهم احترام الإنسان الذي يعتقد فكرة مخالفة فالإحترام يستهدف الإنسان لارايه , مارسيل بوازار : إنسانية الإسلام ,ترجمة عفيف دمشقية , منشورات دار الآداب ,ط1 , 1981 , بيروت, لبنان ,ص 211.

(2) سليمان داود بن يوسف:(مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلاميةوتركيزها) الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلد1, ص 82 ,83.

(3) ابن الصغير : المصدر السابق , ص 32.

(4) عمر كحالة: المرجع السابق ,ص 60

(5) البكري : المصدر السابق , ص66 , ياقوت الحموي :المصدر السابق ج2 ,ص 8.

إنّ القيروان وتاهرت شكّلتا نموذجين أساسيين لدور المدينة باعتبارها الإطار التنظيمي للمجتمع المغربي وما أنتجه من فكر وثقافة ,وهو مظهر للإسهام الحضاري للمغرب الإسلامي في هذه الفترة وبما أنّ اللغة العربية كانت هي الوسيلة التي مكّنت من فهم ونشر الإسلام وبواسطتها انتشرت ونمت الحضارة الإسلامية في مختلف الأقطار الإسلامية ومنها المغرب الإسلامي , فإنّه لا يخفى الدور الحيوي الذي اضطلعت به المدن في عملية تعريب المغرب في فترات مختلفة انطلاقا من دور العرب الوافدين إلى هذه المدن حيث شكّلوا نسبة كبيرة من سكانها

فأصول الدول التي تأسّست في المغرب كانت عربية إذ كان أمراؤها حريصين على تنشيط حركة التعريب [1] التي تمت على مراحل وقد استكمل أسسه في القرن 4هـ/10م باكتساح الهلاليين لبلاد المغرب عقب انتقال الفاطميين إلى مصر.

إنّ المدن المختلطة[2] التي يسكنها العرب والبربر أسهمت في نشر العربية بشكل واسع,فالبربري المسلم كان يرى لزاما عليه أن يتعلم العربية حتى يفهم دينه ,فالإسلام إذا هو الحافز الذي دفع بالبربر إلى الإقبال على تعلمها فضلا على أنّ اكتساب العلم والثقافة في ذلك العصر يتطلّب معرفة العربية.

مايمكن قوله هوأنّ القيروان وتاهرت وحواضر أخرى مثل مدينة فاس كانت بوتقة انصهرت فيها عناصر الإشعاع الحضاري وهومايعني نهضة [3]

وجدير بالذكر ونحن نتحدث عن التعريب ألا ننسى جهود الفقهاء والجند القادمين من المشرق في تثبت اللّغة العربية في أوساط البربر .فحسان بن النعمان [4] وضع الأسس الأولى للإدارة الإسلامية في المغرب وأولى أهمية كبير ة لتعليم البربر اللغة العربية بالشّكل الذي جعل اللغات التي كانت سائدة قبل الفتح تنسحب وتفقد مكانتها أمام العربية

وقد واكب انتشار اللّغة العربية (التعريب اللغوي) التعريب الجنسي[5] وهو يعني استقرار القبائل العربية في المدن وبناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي والبربري في مجتمع واحد ولاءه

---

(1) عبد العزيز الدوري : التكوين التاريخي للأمة العربية, مركز دراسات الوحدة العربية , ط1 , بيروت , لبنان , 1984 , ص77.
(2) المرجع نفسه, ص 77.
(3) Robert Cornevin : op;cit , p265.
(4) محمد علي دبوز:المرجع السابق , ص118
(5) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول, دار العلم للملايين ,ط5 ,بيروت , لبنان , 1981 , ص 157, 160.

للعقيدة أوالمذهب الديني الذي ينتمي إليه ,كما أنّ ازدهار التجارة في المدن ترتب عنه تحول في البنية الإجتماعية فقد شهد القرنان الثاني والثالث الهجريين [1] إنتقال قبائل بدوية إلى المدن وهوانتقال من البداوة إلى التحضر مايعني زيادة فرص تعلم العربية بين هذه القبائل.

إنّ جهود كل من الأمراء الأغالبة والأئمة الرستميين لايستهان بها في تطوير حقل المعرفة من خلال الإهتمام بالمؤسسات التعليمية على النمط الذي كان سائدا آنذاك .

يذكر أنّ الإمام عبد الوهاب أرسل في طلب الكتب من المشرق ودفع في ذلك ماقيمته ألف دينار ليشتروا له كتبا ,فلما بلغتهم إشتروا ورقا و استنسخوا كتبا وتلك الكتب كانت حمولتها 40جملا[2] فزوّد بها مكتبة المعصومة, وهو مايفسر ضخامة الكتب التي حوتها إذ قيل أنها قدرت ب 300ألف مجلد [3] في شتّى صنوف العلم والأدب خربها الفاطميون بعد دخولهم تاهرت وأخذوا منها كتب الفلك و الطب و الهندسة .

ورغم أنّ هذا الرقم يبدو ضخما بالقياس إلى ذلك العصر ,إلاّ أنّ ذلك يدلّ على أنّ الدولة الرستمية قامت على أسس فكرية حضارية .

بينما في عهد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني (261-289هـ/875-902م) تم بناء دار الحكمة وكان ذلك سنة 265هـ/878م [4] في القيروان كتلك التي أنشئت في بغداد وهي مؤسّسة تدرس مختلف العلوم,فقد استقدم إليها علماء من المشرق[5] وبذلك أسهمت في تخريج طبقة من العلماء وفي ذلك إشارة واضحة إلى محاكاة العباسيين في الإهتمام بالعلم ونشره .

كل هذا كان يوحي بالتفاخر بين الأمراء في هذا الميدان , فكل أمير يعرف بما قام به من إنجازات علمية تضاهي ما أنجزه سلفه أوتتفوق عليها,فيعلو بذلك شأنه بين العامة ,ومن الانجازات التي سخرت لهذا الغرض إنشاء معاهد لتعليم الطب والصيدلة والهندسة والحساب والفلك .

كان للترجمة دور فعال في هذا المجال بين اللغات التي كانت منتشرة في المغرب البربرية اللاتنية والعبرانية [6] وهذه الأخيرة لوجود جالية كبيرة من اليهود امتهنت حرفا متعددة لاسيما التجارة

---

(1) عبد العزيز الدوري: المرجع نفسه , ص 77.

(2) محمد الطمار :المرجع السابق , ص 94.

(3) عثمان سعدي :عروبة الجزائر عبر التاريخ , الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع , الجزائر , ص 86

(4) جوْدت عبد الكريم يوسف :المرجع السابق , ص 110, حسن حسني عبد الوهّاب : المرجع السابق , ص 88.

(5) المرجع نفسه , ص 132.

(6) عمر رضا كحالة :المرجع السابق , ص 61.

والطّب خاصة في تاهرت لأن امتهان العلوم العقلية لم يكن حكرا على المسلمين فقط إنما كان المجال العلمي مفتوحا للجميع بمن فيهم غير المسلمين .[1]

والتقرب إلى العلماء والفقهاء والأدباء كان ميزة تبعث على التفاخر بين الأمراء الأغالبة والأئمة الرستميّين من عاصرهم ,فسعوا بجهودهم إلى توفير السلم والأمن وهومناخ وعامل أساسي في تنشيط الحركة العلمية وسمح بالتبادل الثقافي على أوسع نطاق بين مختف حواضر المغرب الإسلامي.

ثم إنّ التشجيع على انتشار العلم وتيسير سبل طلبه لم تستثن منه المرأة فقد هيئ وفسح المجال أمام النساء لأخذ حظهنّ من العلوم لاسّيما العلوم العقلية فخصّصت لهنّ حلقات وأماكن خاصة وهو ماكان يحدث عند الرستميين إذ تخصص في كل مسجد ناحية لتعليم النساء [2]ونفس الميزة كانت لدى الأغالبة,وهذا الأمر له دلالته الإجتماعية والدينية من حيث حرص الفقهاء والأمراء على نشر التعليم والحث على طلبه وفي هذا السياق عرف عن الفقهاءالمشهورين في القيروان وغيرها المدن المغربية اهتمامهم بتعليم بناقم من أمثال أسد بن الفرات وسحنون , وكذلك أبو مهدي عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي المتوفي سنة290هـــ/902م [3]الذي كان يعلّم ابنته وحفيداته وبنات أخيه القرآن والعلوم المتّصلة به بعد انصراف طلابه.[4]

ثانيا-سياسةعمر بن عبد العزيز وأثرها على المغرب الإسلامي:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أميّة بن عبد شمس .أمّه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.[5] عهد إليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة وهو على فراش الموت بمشورة وتشجيع من رجاء بن حيوة وبويع بالخلافة في يوم الجمعة من شهرصفرمن سنة 99هـ /717م.[6] , وقد دامت خلافته سنتين وخمسة أشهر وقد توفّي في أواخر رجب من سنة 101هـ /720م[7]

وقد شبّ عمر بن عبد العزيز على حب العدل وكره الظلم والجور فكان شديد الكره للحجاج

(1) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , 237.

(2) سليمان داود : المرجع السابق , ص 86.

(3) محمد منصور الزاوي : الحضارة الإسامية بين تخريف أبنائها وتحريف أعدائها ,1990, ص 21.

(4) محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق , ص 73.

(5) ابن سعد: المصدر السابق ,ج5 , ص236.

(6) الطبري : تاريخ الأمم والملوك , القسم 1 ج6 , مكتبة خياط بيروت , لبنان , ص1361

(7) المصدر نفسه , ص1320.

وأمثاله وكثير النّصح للخليفة الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م) وأخيه الخليفة سليمان إبن عبد الملك من بعده (96-99هـ/715-717م).[1]

حدث أنّ الوليد بن عبد الملك عيّنه واليا على الحجاز وأمكّة والمدينة فأبطأ عن الخروج ولمّا سأل عنه الوليد قيل له بأنّ لعمر ثلاثة شروط لقبول الولاية ,وعندما حضر أمامه قال :" إنك استعملت من كان قبلي فأنا لا أحبّ أن تأخذني بعمل أهل العدوان و الظلم و الجور". فقال الوليد: "إعمل وإن لم ترفع إلينا إلاّدرهما واحدا ".[2]

هذه المناقب والخصال الحميدة التي تربّى عليها عمر بن عبد العزيز وهو فتى وسار عليها وهو وال. طبّقها منهجا لسياسته وهو خليفة للمسلمين فكان يجالس العلماء والفقهاء ويأخذ بمشورتهم في أمور الدّين والدّنيا.

كتب إليه الحسن البصري واصفا له الدنيا بقوله:"أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإنّ الدنيا دار ظعن وانتقال وليست بدار إقامة على حال وإنما انزل إليها آدم عقوبة , فآحذرها فإنّ الرّاغب فيها تارك والغنّي فيها فقير والسّعيد من أهلها من لم يتعرّض لها... فكن فيها ياأمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة مايكره طويلا".[3]

و كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الزّاهد في الدّنيا المقبل على الآخرة , يخاف الله في الرّعية في أدقّ الأمور فقد تشبّه بجده عمر بن الخطاب (ض). خطب في الناس يوم وليّ الخلافة وهو كاره لها قائلا:" أيّها الناس إنّي والله ماسألتها الله في سرّ ولا علانية قط فمن كره منكم فأمره إليه.[4]

لقد عرف عمر عبء المسؤوليّة وعظم الأمانة, لذلك كان يختار ولاّة الأقاليم الإسلامية على أساس الصّلاح والتّقوى والتزام العدل بين الرّعية , فقد كتب إلى أحد عمّاله قائلا له:" أمّا بعد فالزم الحق يترلك الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين النّاس إلاّ بالحق وهم لايظلمون".[5]

يقول فلهاوزن في هذا السياق:" لم يكن يكتفي باختيار الرّجال على شاكلته ثم يتركهم بعد ذلك

(1) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق , ص13.

(2) ابن القيم الجوزي: سيرة ومناقب عمربن عبد العزيز , منشورات دار ومكتب الهلال , مصر , 1988 ,ص58.

(3) علي محمد الصلابي: الدولة الأموية تداعيات الإنهيار ج2 ,دار التوزيع والنشر الإسلامية , ط1 , القاهرة , 2006 , ص 35.

(4) ابن القيم الجوزي: المصدر نفسه , 89.

(5) المصدر نفسه ,ص125.

يفعلون مايشاؤون ... بل كان يشعر أنّه مسؤول هو نفسه عمّا يجري في جميع البلاد... وعلى يديه صار للفقهاء وأهل العلم كلمة مسموعة". [1]

هذه الفضائل جعلته الخليفة المميّز في بني أمية فعدّ خامس الخلفاء الرّاشدين ,فقد قال عنه سفيان الثوري المتوفي 161هـ/778م[2]:" الخلفاء خمسة .أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم."[3]

بل إنّ كثيرا من الفقهاء والعلماء يرون بأنّه هو الذي بعث على رأس المائة الثانية ليجدد للأمّة أمر دينها[4] كما جاء في الحديث" إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها". [5]

كان عهد عمر فترة استقرار في أرجاء واسعة من الدّولة الإسلامية. نتيجة لسياسته العادلة التي كانت في الحقيقة تصحيحا لسياسة من سبقوه من خلفاء بني أمية. فالمغرب الإسلامي عرف إقبالا واسعا على الإسلام وهدأت الثّورات التي ترجمت تذمر البربر واستياءهم من عمال ولاية إفريقية .
عيّن عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر واليا جديدا على إفريقية خلفا لمحمد بن يزيد القرشي وكان ذلك سنة100هـ/718م[6] وبعث معه عشرة من الفقهاء العدول يعلمون أهل المغرب أموردينهم ,فقد أدرك عمر أنّ سياسة القوّة التي انتهجها الولاّة السّابقون عمّقت الخلافات وزادت من حدّة الصراعات وبالتّالي لم تعمّق الإسلام في نفوس البربر.

كان اختيار الوالي الجديد على أساس الورع في الدين والحكمة في السّياسة.فسار إسماعيل بن عبد الله سيرة طيبة في أهل المغرب , فصار بسلوكه قدوة لما يجب أن يكون عليه أيّ وال ,فقد حرص على أن يكون أمينا على ما كلّف به.

أرسل الفقهاء العشرة من العلماء التّابعين إلى مختلف أنحاء بلاد المغرب. وقد كانت مهمّتهم الأساسية هي تعليم البربر أمور دينهم بتأسيس المساجد والكتاتيب لأنّ الإسلام في هذه الفترة لم

---

(1) يوليوس فلهاوزن :تاريخ الدولة العربية منظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ,ترجمة محمد عبد الهادي ابوريرة راجع الترمة حسين مؤنس مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر , ط2, 1968 , ص262

(2) أحمد فراج حسين : تاريخ الفقه الإسلامي,الدار الجامعية , القاهرة , 1989 , ص165

(3) ابن القيم الجوزي : المصدر السابق , ص92.

(4) محمد الخضري بك : تاريخ الأمم الإسلامية ج1 ,المكتبة التجارية الكبرى ط 6 ,القاهرة 1376.

(5) رواه أبو داوود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة , ينظر محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير المجلّد 1, ج2, المكتب الإسلامي، بيروت ،ط3، 1979، ص 143.

(6) ابن خلدون :المصدر السابق , ص19 , ابن الأثير: المصدر السابق ج4 , ص160

يتعمّق في نفوسهم بل إنّ كثيرا من الجهات البعيدة عن القروان لم يكن يعرف أهلها من الإسلام إلا الشهادتين.

و هؤلاء الفقهاء هم:

أبو عبد الله بن زيد المعافري الإفريقي الحبلي[1] و إسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله[2] وأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي[3]وأبوسعيد جعيل بن عاهان بن عمير الرعيني الغساني[4]و حبان بن أبي حبلة القرشي[5]وموهب بن جبير المعافري[6] و إسماعيل بن عبد الله الأعور. وطلق بن حابان الفارسي [7] وبكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي .[8] والعالم الفيلسوف أبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبي .[9]

قال حسن حسني عبد الوهاب في ورقاته عن بعثة عمر بن عبد العزيز:"فماكان من هؤلاء المرشدين إلا أن اختط كل واحد منهم دارا لسكناه وبنى بحذائها مسجدا لعبادته ومجالسه واتخذ بقربه كتابا لتحفيظ القرأن وتلقين مبادئ العربية. [10]

كانت ثمرة هذه البعثة تأسيس قاعدة فقهية للإسلام إذ تتلمذ على أيدي هؤلاء الفقهاء طائفة من العلماء والفقهاء والمحدثين من أهل المغرب , ساهموا هم بدورهم في نشر الثقافة الإسلامية وبثّ علومهم في كامل ربوع المغرب لصغار أطفال البلد"[11].

(1) هو الذي ترأس هذه البعثة وسكن القيروان وتوفي بها ينظر , عبد العزيز الثعالبي ,المرجع السابق , ص119.

(2) كان يجعل ثلث كسبه لله يصرفه في وجوه الخير. أقام بالقيروان إلى أن خرج يوما في غزو صقيلية فغرق في البحر وقيل مات وهو معانق للمصحف سنة107هـ/725م, ينظر محمد علي دبوز : المرجع السابق , ص 186.

(3) توفي بالقيروان سنة113هـ/731م. ينظر المرجع نفسه 186.

(4) توفي سنة115هـ/733م , ينظر عبد العرزيز الثعالبي : المرجع السابق , ص 119.

(5) سكن القيروان وتوفي بها سنة 125هـ/742م ينظر محمد علي دبّوز : المرجع نفسه , ص 187.

(6) المرجع نفسه , ص 187.

(7) محمد علي دبوز : المرجع نفسه , ص 187

(8) يكنّى أبا ثمامة وجدّه صحابي كان فقيها كبيرا من التّابعين روي عن جماعةمن الصحابة كعبد الله بن عمر و ابن العاص توفي في إفريقيةفي خلافة سنة128هـ/745م.هشام بن عبد الملك ,ينظر المقري : المصدر السابق , ص 329.

(9) قال عنه الدباغ:" سكن بن مسعود القيروان وبثّ فيها علما كثيرا وكان رجلا صالحا مشهورا بالدين والفضل, قليل الهيبة للملوك لا تأخذه في الله لومة لائم" , محمد عي دبوز : المرجع نفسه , ص190 , وكان يقول:" حب الدنيا رأس كل خطيئة", ينظر رابح بونار : المرجع السابق , ص 64,63.

(10) طه الولي : (.التعليم عند المسلمين في بداياته وتطوراته عبر مراحله ومناهجه ومؤسساته),مجلة الفكر العربي, العدد 20, معهد الانماء العربي ليبيا ,لبنان , مارس وأفريل , 1981 ,ص24.

(11) المرجع نفسه , ص 24.

كما كان للسّياسة المالية في عهد عمر أثرها الإيجابي في توطيد دعائم الإسلام في بلاد المغرب , فقد أثمر العدل إنسجاما إجتماعيا كانت نتيجته الطبيعية الهدوء والاستقرار الذي عمّ في هذه الرّبوع, ذلك أنّ ولاّة إفريقية السّابقين أثقلوا البربر بالضرائب التي لم تكن من الإسلام بل كانت سياسة مالية أموية هدفها ضمان موارد مالية قارة وهو السبب الأساسي في قيام ثورات البربر ضد هؤلاء الولاة . و يستدلّ على الأثر الطيّب لهذه السياسة برواية يحي بن معبد الذي قال :"بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم, فلم نجد بها فقيرا و لم نجد من يأخذها منهم ,فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس, فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم", (1)

إذا عمر بن عبد العزيز بإجراءاته هذه يكون قد عمل على تصحيح سياسة من سبقوه من الخلفاء الأمويين تجاه سكان المغرب ,وهذا دليل يدحض آراء بعض المستشرقين الذين يفسّرون الثّورات التي قامت في المغرب الإسلامي في بداية القرن الثّاني الهجري /الثّامن الميلادي برفض السّكان للإسلام, ومنهم روبر كورنيفان في كتابه "تاريخ إفريقيا " يرى بأن اعتناق البربر للإسلام مردّه إلى خوفهم من أن يتحوّلوا إلى عبيد, بل ويعبّر عن هذه الثورات بأنها مقاومة البربر للإحتلال العربي . (2)

ثالثا- التعدد المذهبي والتبادل الثقافي:

المذهب لغة :هو الطريقة ,يقال ذهب الشّخص مذهبه أي سار في طريقه أمّا اصطلاحا فهو اسنباط واستنتاج الأحكام الفقهيّة تفسيرا لما ورد في القرآن الكريم أوالسنّة النبويّة أو عن طريق الاجتهاد .وهو كذلك مجموعة من الآراء والنظريات العلميّة والفلسفيّة (3).

1-التعدّد المذهبي:

كان المغرب الإسلامي تربة خصبة لاحتضان ونمو الفرق والمذاهب الإسلامية التي نشأت في المشرق فقد تسرّبت إلى هذه المنطقة في فترات مختلفة إما نتيجة صراعات جعلت زعماءها يفرون بأفكارهم لبثها في أوساط البربر ,أونتيجة وفود العلماء والفقهاء القادمين من المشرق في عصر الولاة.

(1) رابح بونار: المرجع السابق , ص28.

(2) Rebert Cornevin : opcit , p 262.

(3) ينظر مجموعة من اللغويّين : المعجم العربي الأساسي , المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم , 1989, ص 488,487.

لكن هل تعدد المذاهب في المغرب الإسلامي في القرنين2و3 هجريين8و9 ملاديين أنتج ثراء ثقافيا وفكريا.؟ أم أن الصّراع السياسي كان دائما النتيجة الحتمية لهذا التعدّد المذهبي.؟
وهل كان هناك صراع أم حوار مذهبي.؟

قبل أن نخوض في هذا الموضوع لابدّ من الوقوف على نشأة المذاهب والفرق الإسلامية التي أثّرت على المغرب الإسلامي سياسيا وثقافيا منذ القرن الثّاني الهجري الثامن الميلادي .

أ- المذاهب السنية:

تكوّنت المذاهب السنيّة في النصف الثاني من القرن الثّاني الهجري وهذه المذاهب هي المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الحنبلي والمذهب الشّافعي ,ولم يتأثّر المغرب الإسلامي إلاّ بالمذهبين : الحنفي والمالكي .

-المذهب الحنفي:

نسبة إلى الإمام أبي حنيفة الذي ولد بالكوفة سنة80هـ/700م وتوفّى بها سنة 150هـ/768م وهو النعمان بن ثابت من أصول فارسية(1) يلقّب بالإمام الأعظم(2) اعتمد في منهجه على القرآن والسنة أولا ثم أقوال الصحابة و القياس والإستحسان أي إعمال الرأي إذا لم يجد نصّا في القرآن والسنة(3) كما اعتمد على الفقه التقديري أو الإفتراضي أي استنباط الحكم لأحداث أو وقائع يحتمل وقوعها في المستقبل. إنتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب في عهد الدولة الأغلبيّة (4) التي كان أمراؤها مرتبطين مذهبيا إسميا ومذهبيا بالعبّاسيّين, لكنّ الرعيّة اعتنقت المذهب المالكي الذي ترسّخ في عهد الفقيه سحنون التنوّخي وهو العامل الذي أدّى إلى تراجع نفوذ المذهب الحنفي في الأوساط المغربية لابل إنّ اتّصال أصحابه بالمعتزلة حسم الموقف لصالح المالكية وجعل الأمراء الأغالبة يخضعون للرأي العام,فيجبرون إلى تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين.(5) وهو ما جعل العلاقة بين الأحناف والمالكية في القيروان تشهد

(1) محمّد إسماعيل إبراهيم : الأئمة الأربعة,دار الفكرالعربي , مصر ,1978 ,ص 45.
(2) أحمد فراج حسين : المرجع السابق , ص168.
(3) مصطفى محمد الشكعة : الأئمة الأربعة ,دار الكتاب المصري ,القاهرة ط3 , ص1661.
(4) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج1 , مكتبة النهضة المصريّة , ط4 , 1966 , ص 293.
(5) شارل أندري جوليان : تاريخ شمال إفريقيا ج2, من الفتح الإسلامي إلى 1830, تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة , ص65.

تنافسا حادا .[1] كما تواجد الأحناف أيضا في تاهرت منذ عهد عبد الرحمن بن رستم وغالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه "مسجد الكوفيين". [2]

دام المذهب الحنفي في المغرب إلى حوالي سنة 400هـ/1009م, وانقطع على يد المعزبن باديس وفقهاء المالكية .[3]

-المذهب المالكي:

نسبة إلى الإمام مالك بن أنس ولد سنة 93هـ/712موتوفي سنة179 هـ/795م[4] ,ويعرف بإمام دار الهجرة اعتمد في أحكامه على الحديث وقليلا من الرأي. و كان حينما لا يجد دليلا من القرآن والسنّة يلجأ إلى تغليب المصلحة العامة وهذا يكون في الأحكام التي تتعلّق بالمعاملات بين الناس وقد سماه المصالح المرسلة. [5]

انتشر مذهبه انتشارا واسعا وقد أخذ به أهل المغرب حتى أصبح مذهبا مميّزا لهم منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا. وانتشار مذهب ملك بالمغرب الإسلامي جاء نتيجة جهود تلاميذته منهم:الليث بن سعد المتوفي 165هـ/783م [6] وعبد الرحمن بن القاسم المتوفي سنة 191هـ/806م[7] وعبد الله بن وهب المتوفي سنة 197هـ/812م[8]وأشهب بن عبدالعزيز القيسي المتوفي سنة204هـ/819م,[9]وكانوا من كبار فقهاء مصر في ذلك العصروكذلك أسد بن الفرات المتوفي

---

(1) رابح بونار : المرجع السابق , ص84.

(2) ابن الصغير : المصدر السابق , ص13.

(3) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 84.

(4) محمد إسماعيل إبراهيم : المرجع السابق , ص67.

(5) الحاج سعيد عيسى: (المذهب الإباضي وعلاقته بالمذاهب الأخرى) محاضرات الملتقى الخامس للفكر الإسلامي, وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية من27 جمادي 1 إلى10جمادي 1391,2 /20جويلية إلى10أوت1971 , ص171.

(6) وهو من أصحاب مالك محدّث استقل بالفتوى في مصر له كتاب "مسائل في الفقه" ينظر ابن سعد المصدر السابق ج 7,ص 517, إبن الجوزي ذكر أنّ وفاته كانت سنة 175هـ وكذلك ابن قنفذ القسنطيني , ينظر ابن الجوزي : صفوةالصفوة ,المجلّد 2 , دار الجيل , ط1 و بيروت لبنان , 1992 ص 458 و ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس بن الخطيب : كتاب الوفيات , تحقيق عادل نويهض , مؤسّسة نويهض الثقافيّة للتّأليف والترجمة , دار النشر , بيروت , لبنان , 1982, ص 139 وكذلك النديم:الفهرست , ضبط وشرح يوسف علي الطويل ,دار الكتب العلمية , بيروت ,لبنان , ط1, 1996 ,ص339.

(7) وهو الذي راجع كتاب المدونة مع قاضي القيروان سحنون بن سعيد التنوخي. أحمد فراج حسين : المرجع السابق, ص194.

(8) محمد مصطفى الشكعة,المرجع السابق, ,ص 138ينظر ابن القيم الجوزي : المصدر السابق 1992 , ص 459, و أيضا ابن قنفذ القسنطيني : المصدر السابق , ص 153.

(9) المرجع نفسه ,ص141. ينظر ابن قنفذ القسنطيني : المصدر نفسه , ص 147.

سنة213هـ/828م في صقلية[1] الذي جمع بين المذهبين الحنفي والمالكي.

ثمّ إنّ إقبال أهل المغرب على هذا المذهب وتجذّره في أوساطهم يعود إلى عدّة عوامل أهما:

-رحلة أهل المغرب في طلب العلم كانت معظمها إلى الحجاز أي المدينة وميلهم إلى الحجاز يفسّره إبن خلدون بكون البداوة كانت غالبة عليهم, والحجاز أنسب لبداوتهم [2] فأخذوا الكثير عن شيوخها وفقهائها.

- البساطة والتشدّد في آن واحد ,أي أنّه لايعطي المجال واسعا للرأي أوالعقل فقد اعتبروا مالكا أقرب الناس إلى فهم الدين الصّحيح كما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلّم والخلفاء الرّاشدين والصّحابة من بعده كما أنّه مذهب ينفر من الجدل[3] فانسجم مع عقلية البربر التي تنفر من التعقيد .ويتّفق مع نظرة المغاربة للأحكام من حيث ابتعادها عن الرّأي مع وجود النص .[4]

ب-مذهبا الخوارج :

الخوارج هم أول فرقة نشأ ت في الإسلام في ظروف احتدم فيها الصّراع حول مسألة الخلافة بين معاوية بن أبي سفيان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما في معركة صفين بالقرب من الفرات بين الرقّة وحلب[5] والتي جرت في سنة37هـ/657م[6] وانقسموا إلى عدّة فرق أشهرها الأزارقة

(1) الدباغ :,المصدر السابق ,ص255 , ابن خلدون : المصدر السابق ج4, ص203.

(2) ابن خلدون : المقدمة , ص 431

(3) محمد قريبيز :(تاريخ دخول التصوف إلى المغرب الإسلامي-النشأة والتطور-) ,منشورات المجلس الإسلامي الأعلى, العدد 1 الموسم الثقافي , 1998- 1999 , المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية ,الجزائر 1999 ,ص 306.

(4) عبد الله شريط : تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب , ص119.

(5) معركة صفين هي التي رفع فيها أتباع معاوية المصاحف على أسنّة الرّماح لتوقيف القتال والاحتكام إلى القرآن الكريم قبل البعض من أصحاب على مبدأ التحكيم حيث قالوا :" مايسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عزّ وجلّ فنأبى أن نقبله ,فلم يجد على بد من التحكيم حقنا للدماء المسلمين إذ قتل في هذه المعركة مايربو عن تسعين ألف من الطرفين وأيضا حتى يحافظ على وحدة وتماسك حيشه, وبعد التحكيم الذي جرى في 17صفر 37هـ/يناير658م في أدرح (في الأردن حاليا) رفضت جماعة من أتباع على قرار التحكيم بحجّة أنّ الإحتكام إلى رأي الحكمين وترك الإحتكام إلى القرآن الكريم الذي فيه الحل هو خطيئة توجب التوبة عنها. وكان شعارهم " لاحكم إلاّ لله " و يرون في الخلافة حق مشاع لكل المسلمين , لافرق بين فرد وآخر إلاّ بالتّقوى مستدلّين بقوله تعالى :" يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم " سورة الحجرات الآية 13 , ينظر الطبري : المصدر السابق, ص3330 و محمد الخضري بك: المرجع السابق ,ص67 و عبد المتعال الصعيدي: القضايا الكبرى في الإسلام ,دار شريفة للنشر والتوزيع, بوزريعة الجزائر , ص175 , و كذلك Amar Dhina : grands tournants del ‘histoire de lislam de la bataille de badr a l‘ attaque d’ Alger par Charles quint ,2eme edition , societe nationale d edition et de diffusion Alger,1982 , p 48 ,50 .

(6) Robert Mantrant : L’Expansion Musulmane VII-XI SIECLE , PRESSES UNEVERSITAIRES DE FRANCE , 1ERE Edition , P116.

والنجدية والصفريةو الاباضية وهاتين الفرقتين انتشرت في المغرب الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري .

-المذهب الصّفري:

ينسب إلى زياد بن الأصفر[1] هم أقرب في تعاليمهم إلى الأزارقة في الغلوّ. لكن خالفوهم في بعض المبادئ ,فهم لم يكفّروا القعدة عن القتال واعتمدوا على مبدإ التّقية والكتمان[2] في حالة الضّعف لمخادعة الحاكم,وعدم جوازقتل أطفال المشركين والحكم بالشّرك على مرتكب الكبيرة. [3]

تسرّب هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي في النّصف الأول من القرن الثاني الهجري عن طريق الدّاعيّة عكرمة حيث اعتنقه البربر لما فيه من مبادئ قائمة على المساواة وبدأت الدّعوة الصّفرية من طرابلس ثمّ تحولت فيما بعد إلى ثورات نجحت في تأسيس إمارات منها إمارة بني قرة اليفرني بتلمسان 122-162هـ/740م-780م وإمارة سجلماسة140-366هـ/757م-976م[4]

-المذهب الإباضي:

لقد وقع جدل تاريخي كبير حول نشأة هذه الفرقة وأصل زعيمها وحول جذورها الفقهية والمذهبية وما إذا كانت خارجية فعلا؟ أم مستقلة بأصولها المذهبية.؟

وأوّل من تزعّم هذه الفرقة هو أبو بلال مرداس بن حدير التميمي , ثم تولّى الزّعامة بعد ذلك عبد الله بن إباض التميمي [5]الذي كان مع نافع بن الأزرق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

---

(1) الشهرستاني : الملل والنحل المجلد الأول,دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان 1980, ص 134, يوجد اختلاف في سبب التسمية فقد قيل أنّهم سموا كذلك بسبب كثرة العبادة التي أنهكت وجوههم فجعلتها مصفرّة ينظر المبرد أبي العباس محمد بن يزيد: الكامل ج3, علّق عليه محمد أبوالفضل إبراهيم , دار نهضة مصر للطّبع والنشر , بدون تاريخ , ص 275

(2) حنا فاخوري وخليل الجرّ : ,تاريخ الفلسفة العربية,ج1, دار الجيل ,بيروت ,ط1,1993,. ص 138.

-LOUIS GARDET : LES HOMMES DE L'ISLAM, edition Hachette, 1971 ,P213.

(3) أحمد توفيق المدني : (مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري الحضاري) ,محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلد الرابع ,ورجلان 17-26صفر1397. /06-15فبراير1977 , ص287.

(4) صالح باجية : الإباضية بالجريد,دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ط1, تونس , ص 30.

(5) تنسب زعامتها إلى عبد الله بن اباض بن عمر بن تميم ابن ثعلبة من بني مرة بن عبيد الذي نشأ في مدينة البصرة وعاصر فتنة افتراق المسلمين في صفين ناظر الخوارج الأزارقة كما اشتهر برسائله الى عبد الملك بن مروان ناصحا إياه ومبينا آراء جماعته وموقفها من انحراف السلطة الأموية عن نهج الخلفاء الراشدين وهو من تلاميذة جابر بن زيد رغم أنّه كان أكبر منه سنا و رضوا بتسمية الاباضية وظهرت في كتاباتهم في نهاية القرن 3هـ /9م.

و ينسب اسمها إلى إباض بن عمر من بني مرة بن عبيد,من تميم توفي 67هـ/687م وهو والد عبد الله الذي يعتبر عند غير الاباضية إمام المذهب فيقال الاباضية نسبة الى عبد الله بن اباض وهي عادة العرب والنسابة في الحاق تسمية المذاهب أو الدول باسم والد المؤسس مثلا الدولة الرستمية نسبة إلى والد عبد الرحمن بن رستم . و اختلف في نطق الاباضية كما اختلف في نطق اباض أهو أباض بفتح الهمزة أم --

وهي من الفرق المسالمة المعتدلة في أرائها ومبادئها وهي أقرب إلى أهل السنة والجماعة. ولكنّ المصادر الاباضيّة تؤكّد أنّ زعامة الفرقة كان على يد جابر بن زيد الأزدي العماني البصري المتوفي سنة93هـ/711م و يعرف بأبي الشعشاء[1] الذي تلقّى علمه على يد عبد الله بن عباس[2] بل كان ومن مؤلّفاته كتاب"ديوان جابر "[3]

اتّخذ جابربن زيد التّقية منهاجا لعمله الدّعوي فلم يكن يعلم بنشاطة إلاّ الخاصة من أتباعه أما عبدالله بن إباض فقد تصدّر الزّعامة السيّاسية وتميّز بقوة الحجّة [4],وقد انتقلت إليه زعامة المذهب بعد موت جابربن زيد فأصبحوا يعرفون بالإباضية وقد أطلقوا على أنفسهم في البداية "أهل الدعوة"[5],وذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنّ الأمويّين هم الذين كانوا ألحقوا هم إسم الغباضيّة حتى لا تستمدّ سمعتها من جابربن زيد وهوما يعني أنّه كان من كبار التّابعين الذين يشهد لهم بغزارة الفقه والعلم .

ولمّا كان الإباضية لايوافقون الأزارقة في دمويّتهم وغلوّهم فإنهم خالفوهم لابل تبرّأوا منهم. فانفصلوا عنهم وكان ذلك في سنة 65هـ/684م[6] في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/675-705م) .

==هو إباض بكسرها فهل هي الإباضية أم الأباضية والرّاجح أنّ النّطقين صحيح حيث يغلب على المشارقة نطقها بالفتحة وعلى المغاربة نطقها بالكسرة , لذلك تفادى القدامى والمحدثون وضع الهمزة اطلاقا حتى لايرجح نطقا على نطق مادام النطقان صحيحين .
والحقيقة أنّ أتباع هذا المذهب اختاروا تسمية غير الاباضية لحركتهم منها " أهل الدعوة والاستقامة " و"جماعة المسلمين "انما مخالفوهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ,ينظر جمعية التراث : المرجع السابق الهجري إلى العصر الحاضر المجلد 2. غرداية,الجزائر ,1999, ص552,551,7,6,5 وينظركذلك المبرد : المصدر السابق , ص297.

(1) هو من التابعين وَلد بقرية فرق بعمان روى الحديث عن كثير من الصحابة أمثال عا ئشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس تعتبره الإباضية إمام المذهب الإباضي , ينظر جمعيّة التراث : المرجع نفسه , ص 118,117, جودت عبد الكريم : المرجع السابق ,ص 40,و يحي محمد بكوش: فقه الإمام جابر بن زيد ج1,الدار العربية , ط2, غرداية ,1988, ص11.

(2) كان عبد الله بن عباس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم وصاحب حجّة وإقناع, وقد روي عن الرسول (صلعم) أنّه دعا له بقوله :" اللهم علّمه الكتاب " ,ينظر البخاري ,أبوعبد الله محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري ج1 , دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع , عين مليلة, 1992 , ص 41.

(3) الحاج سعيد عيسى : المرجع السابق , ص 264.

(4) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج : المرجع السابق ,ص27.

(5) علي يحي معمر: الإباضية مذهب إسلامي معتدل , المطبعة العربية , غرداية , الجزائر , 1994 ,ص9

(6) Louis Gardet : opcit , p213.

وتذكر إحدى الروايات أن عبد الله بن إباض وقد واعد الخوارج بالخروج كان ينتظرهم في مسجد البصرة فكان يسمع تلاوة القرآن ويسمع الأذان فتساءل أين أخرج عن هؤلاء.؟![1]

ويتجلّى موقف عبد الله بن إباض من الخوارج من خلال الرّسالة التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان يعظه فيها ويدعوه إلى الإعتصام بكتاب الله وسنّة رسوله حيث قال :"أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وضيعه وأتباعه,لقد كان خرج إلى الإسلام فيما ظهر لنا ولكنّه أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه,فنبرأ إلى الله منهم"[2]. و هذا القول يحمل دلالة تاريخية وهي أنّ الإباضية فرقة أومذهب إسلامي له مبادئه وأفكاره و يقوم المذهب الإباضي على المبادئ والأفكارالتاليّة :

-في مسألة الخلافة يرون أنها حق لكل المسلمين فمتى توفّرت شروطها في أي مسلم فهو أحقّ بها وهم بذلك ينكرون على من يقول بشرط النسب القرشي أو أن يكون من أل البيت وهم على طرفي نقيض مع الشيعة في هذه المسألة,والإمام يختار بالشورى وباتّفاق أغلبية أهل الحل والعقد.

كما يجوز تعدد الإمامات في الأمّة الإسلامية إذا اتّسعت رقعتها وبعدت أقطارها فيصعب حكمها بنظام واحد.[3]

-تحريم قتل الموحدين واستحلال دمائهم وهو المبدأ الذي عارضوا فيه الأزارقة الذين عرفوا بسفكهم لدماء المسلمين واعتبروا المناطق التي يمارسون فيها سلطتهم دار هجرة وباقي المناطق دار كفر.[4]

-مرتكب الكبيرة ليس مشركا لكنه كافر كفرنعمة أي فاسق تجري عليه أحكام الموحدين .

-الإيمان يكون بتطبيق أركان الإسلام .ومن مات على كبيرة و لم يتب خلّد في النار.

-استحالة رؤية الله لا في الدنيا ولا في الآخرة ,كما جاء في الفصل الثالث من "الرسالة الشافية" لمحمد أطفيش المتوفي سنة 1914.[5]

-الإنكار معلوم من الدين بالضرورة شرك.

-الإتفاق مع المذاهب السنية في أن أفعال الإنسان من خلق الله ولكن للإنسان حرية اكتساب الأفعال .[6]

---

(1) عمر خليفة النامي : تعقيب على مقال إحسان عباس : محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلد 1 ,ص227.

(2) الحاج سعيد عيسى : المرجع السابق ,ص 268., قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج : المرجع السابق ,ص 23.

(3) علي يحي معمر : المرجع السابق ,ص27.

(4) Laoust Henri : les schismes dans l' islam , edition payot , paris , 1965. p45.

(5) Louis gardet opcit , p214.215

(6) الحاج سعيد عيسى : المرجع نفسه, ص 272 ,أحمدتوفيق المدني : المرجع السابق , ص289,290.

-يعتبرون الجوانب المادية والروحية متكاملة لذلك أنكروا التصوف.[1]

وقد تفرعت الاباضيّة إلى عدّة فرق منها الحفصيّة والحارثية واليزيديّة [2]

كيف انتقل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب؟

كان من تلاميذة جابر بن زيد الأزدي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة أقام سردابا في الأرض على شكل مدرسة سرية إتخذها ظاهريا مصنعا للقفاف حتى سمّي القفّاف. [3] كان يحضرها عدد من الطلبة منهم سلامة بن سعد الذي تولى أمر الدعوة في المغرب الإسلامي وهوالذي قال كلمته :" وددت لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أوّل النّهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده "[4] بدأ دعوته في سرت إذ قدم من البصرة رفقة عكرمة مولى بن عباس[5]المتوفي سنة 105هـ/724م الذي كان يدعو إلى الصفرية [6]و استقر في طرابلس لنشر المذهب الإباضي حيث قام بجهود حثيثة لإقرار الدّعوة الإباضية في هذه الديار وكان ذلك في أواخر القرن الأول الهجري .فقد أشرف على بعثة من طلبة المغرب إلى البصرة وكان عددهم خمسة سموا (حملة العلم إلى إفريقية) وهم عبد الرحمن بن رستم وعاصم بن جميل السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي بن السمح المعافري وأبو داوود النفزاوي ثمّ انضمّ إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري .[7]

إنّ تقبّل البربر لأفكار الإباضية والصفرية التي تقوم على المساواة والعدالة في جميع مناحي الحياة لاسيما مايتعلّق بالحكم باعتماد مبدإ الشورى ينمّ عن توافق مع طبيعتهم التوّاقة دوما إلى الحرية ورفض الاستبداد وهي نزعة متأصلة فيهم .

ج-المذاهب الشيعيّة :

الشيعية هي فرقة من أهم الفرق الإسلامية ارتبط ظهورها كبقية الفرق الإسلامية الأخرى بمسألة الخلافة حيث بدأ التشيّع بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلّم إذ رأوا أنّ الخلافة أوالإمامة

(1) الحاج سعيد عيسى : المرجع نفسه , ص 272.

(2) ينظر الشهر ستاني :المصدر السابق , ص 134,135.

(3) عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية.الجامعة الأردنية ,عمان الأردن, بدون تاريخ , ص 53.

(4) الدرجيني : المصدر السابق ,ص 12,11.

(5) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة هو مولى بن عباس دخل المغرب واقام في القيروان لنشر العلم كان قد اشتراه بن عباس ثم اعتقه توفي سنة 105هـ /724م ينظر محمد الطالبي : المرجع السابق , ص50.

(6) صالح باجية: المرجع السابق , ص 25

(7) سليمان داود بن يوسف:(مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلاميّة) ,محاضرات الملتقى الحادي عشرللفكر الإسلامي المجلّد 1, ,ص70.

حق موصى به لآل البيت من قبل الرسول (صلعم) حسب اعتقادهم .,ومن ثم فعلي أحقّ بها حتى أنهم سموه بالوصي[1] وتعدّ الإمامة عند الشّيعة من أصول الدين وليست أمرا خاضعا لانتخاب أو مشورة المسلمين لذلك شايعوا عليا أي أيّدوه في هذه المسألة .

إنقسم الشّيعة إلى عدّة فرق حسب الشهرستاني[2] وكل فرقة تشعّبت إلى العديد من الفرق . من أشهر الفرق التي أدّت دورا كبيرا في مسار تاريخ المغرب الإسلامي :

-الزيدية :

أتباع زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب أجازوا الإمامة في أبناء فاطمة رضي الله عنها و لم يجيزوها في غيرهم وهي أقرب الفرق الشيعية إلى السنة فقد اعترفوا بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بمبدإ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[3] وهوعلي رضي الله عنه.

-الإسماعيلية:

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين الدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ,[4] ويلقّبون بالباطنية.[5]

دخل المذهب الشّيعي إلى المغرب منذ أن فر إدريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى بعد ملاحقته من بني العباس وهو على مذهب الزيدية[6] فأسس الدولة الإدريسيةسنة 172هـ/878م وبنى مدينة فاس عاصمة لملكه, وفي أواخر القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي بدأ ينتشر المذهب الشّيعي الإسماعيلي على يد الدّاعي أبي عبد الله الشّيعي الذي دخل كتامة رفقة حريث الجميلي وموسى بن مكارمة في منتصف ربيع الأول سنة 280هـ /893م حسب ماذكره ابن الأثير.[7]

أسرف الشيعة الإسماعيلية في التضييق على فقهاء المغرب من السنة والإباضية على حد سواء, وأجبروهم على اعتناق مذهبهم بالقوة ,حتى إنهم كانوا يفرضون على النّاس حضور صلاة الجمعة

---

(1) أحمد أمين : فجر الإسلام , دارالكتاب العربي , بيروت , لبنان , ط11 , 1979 ,ص267

(2) الشهرستاني : المصدر السابق ,ص 147.

(3) أحمد أمين : المرجع نفسه ,ص 272.

(4) ابن خلدون : المقدّمة , ص 194.

(5) المصدر نفسه ,ص 194.

(6) المصدر نفسه ,ص 198.

(7) ابن الأثير : المصدر السابق ج6 , ص 127.

ويجبروهم على اعتناق المذهب الشيعي ,والذي يرفض منهم يحبس أو يقتل[1], وأنكروا صلاة التراويح فقد قال أبو عبد الله الشيعي لمن رافقه إلى كتامة عقب دخوله القيروان وكان ذلك في بداية رمضان 296هـ /909م:" إن رمضان قد جاء ومذهبنا أنه لاتصلى التراويح لأنها ليست من سنة النبي (ص) وإنما سنّها عمر ونحن نطوّل القراءة في صلاة العشاء الأخيرة ونقرأ بالسور الطوال فيكون ذلك عوضا عن التراويح "[2] , وهذا يعني غياب مظاهر التّسامح المذهبي الذي كان يقوم على الحجة والإقناع بين الفقهاء في أغلب الأحوال ,هذه الفترة تشهد المغرب بداية اضطهاد مذهبي على يد العبيديّين , فقد نكّلوا بفقهاء السنة ,إذ أنّ تعيين المروزي على رأس القضاء في القيروان زاد من محنتهم ,بل إن عددا من الفقهاء تعرّضوا للقتل أمثال إبراهيم بن محمد الضبي و أبو بكربن هذيل محمد الشذوني وأبو علي حسن بن مفرج وغيرهم كثير [3]

وهكذا يتحوّل المغرب من التعايش المذهبي إلى الصراع المذهبيأو بالأحرى الاضطهاد المذهبي .

د-المعتزلة:

هي أكبر وأشهر مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي[4] وقد اختلف المؤرّخون في سبب هذه التّسمية من حيث دلالتها التاريخية والإصطلاحية ,لأنّ هناك عدة روايات حول أصل التّسمية , ولأن الإعتزال فسّر كذلك على عدّة أوجه منهم من أطلقه على الفئة التي وقفت على الحياد في الفتنة الكبرى سواء في معركة الجمل أو في معركة صفين [5] لكن دلالة الإسم ارتبطت تاريخيا بأبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثغ [6] اعتمادا على القصة الشهيرة التي ترويها المصادر التاريخية وهو أن أحدهم دخل على الحسن البصري فقال له :"يا إمام الدين,لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر, والكبيرة عندهم كفر يخرج من الملة وهم وعيدية الخوارج , وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر, والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ,وهم مرجئة الامة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء:" أنا لا أقول

---

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ج6 , ص 159,158.

(2) ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق , ص 127.

(3) موسى لقبال :دور كتامة في الخلافة الفاطميّة , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1979, ص 419.

(4) حنا الفاخوري و خليل الجر :المرجع السابق , ص140.

(5) أحمد أمين : المرجع السابق ,ص 291

(6) الشهرستاني : للمصدر السابق ,ص46.

إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا,بل هو في منزلة بين المنزلتين :لا مؤمن ولا كافر ثم اعتزل في جانب من المسجد.فقال الحسن البصري اعتزل عنّا واصل" .[1]

وقد أرجعها البغداي في كتابه"الفرق بين الفرق"[2] إلى اعتزال قول الأمّة أي أهل السنة والجماعة إذ اعتبروا أن الفاسق من المسلمين لامؤمن ولاكافر بالقول المنزلة بين المنزلتين .

وحسب ماورد في كتاب الفهرست للنديم فإنّ التّسمية تعود إلى إعتزالهم أقوال الخوارج والمرجئة والإباضية في صفة مرتكب الكبيرة من حيث الشرك والكفرو النفاق والإيمان .بقولهم بأن مرتكب الكبيرة فاسق وهي الصفة التي أجمعت عليها هذه الفرق.[3]

وذهب بعضهم إلى القول بأنّ التّسمية تعني الأخذ بموقف الحياد من الفتنة فهوموقف سياسي عكس حالة دينية. [4] ولكنّ الرأي الغالب هو أن التّسمية أطلقت عليهم بعد اعتزال حلقات الحسن البصري ,كذلك عبّرت هذه الفرقة عن موقف محايد من القضايا السياسية فقد بقيت بعيدة عن الفتن والصراعات. فهي إذا نتاج فكري للأحداث السياسية التي عرفها المسلمون في صدر الإسلام والتي مست جوانب عقدية.كما كان لانتشار تيارات فلسفية ودينية دخيلة عن تعاليم الإسلام تأثير على نضج فكر الإعتزال . وتميّزت هذه الفرقة بالبحث في مسائل تجريدية عقلية بحتة .

وما يمكن قوله هو أنّ إسم المعتزلة أطلقه فقهاء أهل السنة والجماعة على من اشتغل بمسائل الجدل كصفات الله و الوعد والوعيد,الإرادة في أفعال الإنسان فكان ذلك كافيا لاتهامهم بالخروج عن جماعة السنة,إلاّ انهم دافعوا عن نفسهم لا بل افتخروا بهذا الإسم فقد اعتبروا لفظ الإعتزال يعني الإعتزال عن الباطل وليس الخروج عن السنة والجماعة [5] ,لأنهم دافعوا عن الإسلام بحجج عقلية.

نشأت مدرسة الإعتزال في البصرة على يد واصل بن عطاء المتوفي سنة 131هـ/848م وعمرو ابن عبيد المولود سنة 80هـ/699م [6]

(1) المصدر نفسه ,ص 48.

(2) حنا فاخوري وخليل الجر : المرجع السابق , ص 140

(3) النديم : المصدر السابق , ص 282

(4) Dominique Sourdel et jamine Sourdel : la civilisation de l' islam classique ,les editions Arthand , paris 1983, p139 .

(5) على الشابي وحسن أبو لبابة و عبد المجيد النجار : المعتزلة بين الفكر والعمل, الشركة التونسية للتوزيع , ط 1986 ,ص 25.

(6) محمد علي أبو ريان :تاريخ الفكر الفلسفي, دار المعرفة الجامعية ط, 1986,4 . ص267 ,ينظر
Abdurrahman Dadawi :Histoire de la philosophie en islam ,librairie philosophique ,place de la sorbonne ,paris , 1972,p35,36,37.

وهما المؤسسان الحقيقيّان لمذهب الإعتزال ويعدّان من تلاميذة الحسن البصري المتوفي سنة 110هـ/728م[1] ثم انتشرت في كامل العراق فأضحت بغداد المدرسة الثانية للإعتزال[2]. واقتبس المعتزلة الجدل من الفلسفة اليونانية لكنّهم أضفوا عليها الطّابع الإسلامي.وهوماسمح بظهور علم جديد في الإسلام هو علم الكلام.و تعتبر الفترة الممتدة من سنة 100 إلى255هـ/718إلى 869م العصر الذهبي للمعتزلة[3] .

ومن جهابذة الإعتزال في هذه الفترة أبو الهذيل العلاف المتوفي سنة 235هـ/ 849م[4] وقد تلقى على يده الخليفة العباسي المأمون أفكار الإعتزال [5] ,و كان يتميّز بالفصاحة وقوّة الجدل والبراعة في المناظرة مع الزنادقة والمجوس إذ يقال إنه أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل. [6]و تقوم مبادئ وأراء المعتزلة على الأصول الخمسة التالية :

1-التوحيد يعني أن الله واحد لاشريك له , قديم وأن القدم هي الصفة الأخص لذات الله ونفوا الصفات القديمة المستقلة عن ذات الله لأنها لوشاركت الذات في القدم لشاركتها في الألوهية , منها أن كلام الله محدث فقد ذهبوا بالقول أن القرآن مخلوق ونفوا رؤية الله يوم القيامة وهم يتفقون مع الإباضية في هذا المبدإ.

2-العدل يتلخص في القول بأن الإنسان حر في اختيار أفعاله خيرها وشرها فهو يستحق العقاب إن أذنب ويستحق الثواب إن عمل خيرا وهذا التكليف مرتبط بإرادة الإنسان واختياره للأفعال وهو بذلك مرتبط بعدل الله ,فسمّوا أصحاب العدل والتوحيد[7] وهو نفي صفة القدرية عن أفعال الإنسان عكس الجبرية. سمّوا أول الأمر بالقدرية .[8]

(1) المرجع نفسه, ص267.
(2) أحمد أمين : المرجع السابق , ص 299.
(3) أحمد أمين :ضحى الإسلام , ج3 , مكتبة النهضة المصريّة ط 7 , مصر , 1966 , ص 90.
(4) المراجع نفسه , ص 98. ينظر
Adburrahman Badawi:opcit ,p54,55.
(5) الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داوود : الأخبار الطوال , ص 401.
(6) أحمد أمين: المرجع نفسه ,ص99 .
(7) الشهرستاني :المصدر السابق ,ص43.
(8) أول من تكلم في القدرية في الإسلام معبد الجهني وغيلان الدمشقي وبذلك فالقدرية هم أسلاف المعتزلة , ينظر أحمد أمين :فجر الإسلام ,ص 284 ,و عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية, دراسات لكبار المستشرقين ,وكالة المطبوعات دار القلم ,الكويت بيروت , لبنان,ط. 4,1980, ,ص,177 و Laoust Henri: opcit , p 49

3-الوعد والوعيد إنّ الله وعد المطعين بالثواب وتوعّد العصاة بالعقاب وهو لايخلف وعده فمرتكب الكبيرة إذا مات دون توبة يخلد في النار.

4-القول بالمترلة بين المترلتين فالفاسق من المسلمين أي صاحب الكبائر ليس هويمؤمن لأن ليس فيه خصال الخير ولاهو بكافر لأنه يقر بالتوحيد والخير موجود في ذاته.

5 –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هو أمر واجب على كل المسلمين وهو مبدأ عملي عقلي من حيث أن دفع الضرر عن ا لنفس واجب إستنادا إلى الأية﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾.[1]

دخل مذهب الإعتزال إلى بلاد المغرب في أوائل القرن الثّاني الهجري /الثامن الميلادي [2] تزامنا مع المذاهب الأخرى مثل الإباضية والصفرية , إذ تشير بعض المصادر أن جماعة من بربر زناتة كانت قد اعتنقت الواصلية. ذلك أنّ واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث الى المغرب [3] وفي هذا السّياق يذكر ياقوت الحموي أنّ مجمعا للواصلية (أتباع واصل بن العطاء المعتزلي)كان يقيم قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا[4] في عهد الإمام عبد الوهاب الذي كانت له مناظرات معهم حسب مايورده ابن الصغير.[5]

إنّ وجود المعتزلة قريبا من حاضرة الدولة الرستمية تاهرت دليل على وجود أراء مشتركة بين المذهبين : المعتزلة والإباضية منها مثلا مسألة خلق القرآن وهي من بين الواضيع الأساسية في المناضرات التي كانتتقام بين الطرفين . بينما وجودهم في القيروان كان محدودا, إلاّ ما كان من ميل الأمراء الأغالبة إلى فكر المعتزلة منهم زيادة الله(201-223هـ/817م-838م) الذي انتحل هذا المذهب[6],ناهيك عن بعض القضاة الأحناف.

وكان لهم وجود في الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى في عهد إدريس الأول من منطلق أنّ المذهب الزيدي الذي هو مذهب الأدارسة يتقاطع مع المعتزلة في القول بنفي الصفات عن الله وحرية

---

(1) سورة" آل عمران " الأية 110.

(2) محمد منصور الزاوي : المرجع السابق , ص38.

(3) محمد منصور الزاوي : المرجع السابق , ص 38.

(4) ياقوت الحموي : المصدر السابق ج3 , ص 8 , البكري : المصدرالسابق ,ص 67.

(5) ابن الصغير : المصدر السابق .ص94,93.

(6) Abdallah laroui : op;cit ,p110.

الإرادة لدى الإنسان .[1] و يشير عبد الله العروي في كتابه" تاريخ المغرب" بأنّ هناك علاقات ربطت بين زيد بن علي وواصل بن عطاء[2] مما أثمر ترابطا بين المعتزلة والزيدية في المغرب في عهد إدريس الأول وهكذا يتبين لنا أن أفكار المعتزلة انتشرت في كامل المغرب الإسلامي تقريبا .

هـ-المرجئة:

هم فريق اختار البقاء في الحياد من الأحداث التي وقعت للمسلمين عبروا عن موقفهم بقولهم بالإرجاء أي أنهم لم يكفروا أي فريق من المتخاصمين بل يرجؤون أمره إلى يوم القيامة . مبدأهم يتلخص في العبارة التالية "لا تضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة " .[3]

يبدو أنّ المغرب الإسلامي وصلته أفكار المرجئة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ونستشفّ ذلك من سؤال الأمير الأغلبي محمد للفقيه محمد بن سحنون عن موقفه من يزيد بن معاوية فردّ ابن سحنون عليه قائلا : " أصلح الله الأمير لا أقول ما قالت الإباضية ولا ما قالت المرجئة...أتى يزيد عظيما جسيما ,ويفعل الله في خلقه ما أحبّ "[4] فجلب له ردّه هذا اتهاما بالإرج وضيّق عليه ,ولكنّ هذا المذهب لم يكن له أتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى إنّما اقتصر على أفكار فقط. والمرجئة على النّقيض من الخوارج فهم لم يكفّروا أحدا لأنهم يرون أنّ الإيمان هو الإنقياد بالقلب[5] هذه المبادئ جعلتهم يقفون موقف الحياد في الصراعات السياسية لاسيما في ماتعلّق بمسألة الخلافة والحكم .

2-التّبادل الثقافي:

لاشكّ أنّ تعدّد المذاهب في المغرب الإسلامي في القرنين: الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الملاديين لم يكن فقط عاملا للصّراعات والحروب والفتن التي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب والخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية ممثلة في الولاة في بادئ الأمر ثم الأغالبة بعد ذلك وكانت غالبا ذات أسباب سياسية واقتصادية .

---

(1) حنا الفاخوري وخليل الجر : المرجع السابق , ص139.

(2) Abdallah laroui : op ;cit ,p 100.

(3) أحمد أمين :فجر الإسلام , ص 279.

(4) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق , ص109.

(5) الحاج سعيد عيسى : المرجع السابق , ص 269 ,أحمد أمين : المرجع نفسه , ص218.

بل إنّ هذا التعدّد أو بالأحرى الاختلاف المذهبي كان له أثر إيجابي على الحركة الفكرية والثقافية المغربية في هذه الفترة. ذلك أنّ التبادل الثقافي بين الدول المغربية وحتى الأندلس أفضى إلى منافسة علمية,ولعل الميزة البارزة في التبادل الثقافي هوحرية الفكر والتّسامح المذهبي[1] وهما عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية , ولأن ميزة التسامح هي الإنفتاح المفضي دوما إلى تلاقح الأفكار وعيب التّعصب هو الإنغلاق والتحجّر المفضي إلى الجمود الفكري, فإنّ تمسك الرستميّين بالتفتح هو مظهر بارز في تشجيع العلوم بنوعيها النقلية والعقلية وهو أيضا أرضية صلبة في أي نهضة فكرية والدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة تشجيعا للناس على طلب العلم والإقبال عليه في جوّ يسوده التنافس العلمي,والغلبة في هذه المناظرات تكون لصاحب العلم الغزير والحجّة القوية.

كما أنّ القيروان كانت تعجّ بطلبة العلم القادمين من تاهرت وغيرها منهم بكربن حماد التاهرتي الذي ولد ونشأ في تاهرت ثم رحل إلى القيروان ومنها إلى المشرق لطلب العلم 217هـ/832م.[2]

ثم إنّ وجود مذاهب أخرى غير المذهب المالكي في القيروان ومنها المذهب الإباضي لايفسّر فقط بكونه عريق الظهور بها بل أيضا يرجع إلى سياسة الأمراء الأغالبة المعتنقين للمذهب الحنفي في كسب تأييد ودعم كل الشرائح وفئات الشعب لمواجهة فقهاء المالكية .كما أنّ أبا العرب ذكر أحد فقهاء سجلماسة في القيروان يدعى أبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي [3]وهو شيخ صالح اشتغل بالتجارة وقد أخذ عنه من كان ينتسب إلى سحنون وهو مايدل على أنه من فقهاء المالكية.

وهو ما مايعطينا فكرة على أن حواضر ومدن المغرب الإسلامي عرفت تعددا مذهبيا كانت سمته البارزة انتقال العلماء والفقهاء عبر هذه المدن بكل حرية فانتج تواصلا ثقافيا وحضاريا بين الدول والإمارات الإسلامية التي كانت قائمة في هذه الفترة.

خضع التّبادل الثقافي بين الرّستميين في تاهرت والإمارة الأموية في الأندلس لعوامل سياسية وجغرافية لأنّ موقع تاهرت الوسطي سهّل انتقال العلماء وطلبة العلم بين حواضر المغرب إلى الأندلس ,إذ يذكر أنّ عبد الرحمن الداخل اتخذ طريقه إلى الأندلس عبر تاهرت متخفيا عن عيون

---

(1) التسامح بمعناه الحديث هو استعداد فكري او قعدة سلوك يمتنع المرء معها عن استخدام كل وسيلة قهريةمع الذين لا يشاطرونه قناعات مماثلة لقناعته والتسامح الإسلامي هوتقدير لغير المسلم وعدل وإرادة إلهية فهو يستلهم احترام الإنسان الذي يعتقد فكرة مخالفة ,فالإحترام يستهدف الإنسان لارايه ,ينظر مارسيل بوازار ,إنسانية الإسلام ,ترجمة دعفيف دمشقية , منشورات دار الآداب ,طو1980,1, بيروت و ص 211.

(2) جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق , ص112.

(3) جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق , ص 224.

العباسيين التي كانت ترصده[1] وهذا دليل على أنّ العلاقات بينهما كانت حسنة رغم ماكان من عداء بين الإباضيين والدولة الأموية في المشرق , ولكنّ المصالح تكون أحيانا أقوى من المبادئ, فكلا الطرفين كان يتهدّدهما خطر واحد وهو الدولة العباسية العدو المشترك لهما .

اتّسمت العلاقات الثقافية بين الطرفين بالتأثير والتأثّر ,إذ سمح الأمويون بتواجد المذهب الإباضي إلاّ أن تأثيره كان محدودا ,فيذكر أن قرية بلفين في المرية[2] عرفت شيئا من الإباضية فكان التّشدد في الأحكام الفقهية يؤخذ على أنّه تأثّر بالإباضية وهذا شئ طبيعي إذ كان هناك احتكاك بين المذاهب ,فقد روي أنه كان في قرطبة معلم لابناء الوزير هشام بن عبد العزيز هوجابربن غيث اللبلي كان في تشدّده يحاكي تشدّد الاباضية .[3]

وتسرّب المذهب الحنفي مع بعض أفكارالمعتزلة إلى الأندلس عبر تاهرت نتيجة رحلة علماء الحنفيّة إلى هناك [4] إلاّ أنّ حظّهما في كسب قاعدة شعبيّة كان ضعيفا جدا لأنّ المذهب المالكي كان قد انتشر في هذه الربوع, فتمسّك به الأمراء والعامة بما لم يسمح للمذاهب الأخرى بمنافسته.

يظهر إذا التّأثير والتأثّر في العلاقات الثّقافية بين الدولة الرستمية والأندلس في كون الرستميّون أفادوا كثيرا الإمارة الأندلسية , فقد اعتبرت تاهرت بمثابة الوسيط الثقافي بين المشرق والأندلس في الإطلاع على التيارات الثقافية والفكرية في المشرق من خلال المؤلفات والمخطوطات, ومن جهة أخرى فإنّ الزخم أو الثراء المعرفي الذي ميّز الأندلس بازدهار العلوم بمختلف أنواعها نتيجة اتصال علمائها وفقهائها بالمشرق قد أفاد الرستميين الذين عملوا على نقل هذه العلوم إلى تاهرت .

أما التّقارب الثقافي بين الأدارسة والرستميين فيعزى إلى وجود مساحة مشتركة في التفاهم بين المذهبين الإباضي والزيدي من ذلك أنّهم لايقولون بعصمة الإمام ويرون الخروج على الإمام الجائر وأنّه إذا انهزم أهل البغي فلا تحلّ أموالهم ولاساحهم[5] . ومن جهة أخرى فإنّ السلم في العلاقات بين الأدارسة والرستميّين لابدّ أنّه عامل في التواصل الثقافي بين الطرفين .

---

(1) ماريا خيسوس فيغيرا: (محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة) الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلّد 1,ص288.

(2) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , ص 221.

(3) المرجع نفسه , ص 221.

(4) جودت عبد الكريم : المرجع السابق ,ص170,171.

(5) المرجع نفسه , ص 193.

إنّ الإختلاف السياسي وكذا المذهبي بين القيروان وتاهرت- باعتبار أن الأولى ذات غالبية مالكية والثانية ذات غالبية إباضية – لم يكن حائلا دون إقامة جسر من التواصل الفكري و الثقافي بين الحاضرتين لوجود مساحة ثقافية مشتركة صنعها العلماء والتّجار في حركة انتقالهم بين المدينتين. فإذاكانت هناك حدود سياسية بين الدولتين بالمعنى المتعارف عليه في العصرالوسيط بين الإمارات الإسلامية, فإن فضاء الفكر والثقافة كان واسعا

كان للرّحلة العلمية دوربارز في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والثقافية وفي مد أواصر التّواصل أو التّبادل الثقافي بين القيروان و تاهرت و فاس والأندلس والمشرق , فكان الهدف من تنقّل العلماء والفقهاء بين هذه الحواضر هو الإستزادة من الفقه والعلوم الأخرى أو لنشر علمهم ,فالعلماء وطلاب العلم دأبوا على الإنتقال من مدينة إلى أخرى ومن قطر إلى آخر بغية التّحصيل العلمي, فقد استمرت رحلة العلماء وطلبة العلم بين القيروان وتاهرت ,و كانت تشدّ الرّحال إلى المشرق قصد الحصول على العلم والفقه من منابعه الأصلية وممن صاحب الأئمة الكبار وكانت العراق والحجاز بحواضرها منتهى من يرغب في التحصيل العلمي والتفقه من أهل المغرب كل على متحمس لمذهبه فالقيروان وتاهرت هي المحطة الأولى لتلقّي المراحل الأولى من العلم ثم تكون وجهته إلى المشر ق وغالبا ماتكون مناسبة الحج فرصة للتزود بالعلم (الحج العلمي) [1]

يقول ابن خلدون في أهميّة وفائدة الرّحلة :"... فلقاء أهل العلم ,وتعدّد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات ,بما يراه من اختلاف طرقهم فيها , فيجرّد العلم عنها ويعلم أنّها أ نحاء تعليم وطرق توصيل ...فالرّحلة لابد منها في طلب العلم ,لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال."[2]

ولايخفى دور الورّاقين والنسّاخ في عملية انتشار العلوم و تنشيط التّبادل الثقافي , فقد كانوا يتنقّلون بين الأقاليم الإسلامية شرقها وغربها بحريّة تامة , وكانوا يحظون بالمكانة المرموقة والتّقدير لدى الأمراء والعلماء[3] مما أدى إلى انتشار الكتب التي كان يتهافت طلاب العلم على شرائها حتى ولو اقتضى ذلك السّفر إلى مدن بعيدة للحصول عليها شراء أواستنساخا .

(1) عمر رضا كحالة: المرجع السابق ص 59.

(2) ابن خلدون : المقدّمة , ص 560,559.

(3) محمد الفاضل بن عاشور : المرجع السابق , ص 8.

وانتقال صناعة الورق والكاغد وكذا الحبر من بغداد إلى القيروان [1] هي أهم الوسائل التي ساهمت في تيسير العلم وانتشاره .

رابعا-التبادل التجاري ودوره في الإثراء الفكري والثقافي:

للتّجارة دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية أو الثقافية في أي بلد وفي أي عصر ومن هذا المنطلق فإنّ التبادلات التجارية التي عرفها المغرب الإسلامي في القرنيين و3هجريين/8و9ملاديين ,سواء تلك التي كانت تتمّ بين الدول المستقلّة أو التي كانت خارج الإطار المغربي , قد أسهمت بالفعل في ثراء ثقافي وفكري, لأنّ الحركة التجارية والحركة الفكريةأو الثّقافية تجمعهما علاقة تكاملية مبنية على التّأثير والتأثر .فتطور التّجارة يسهم في تطور الفكر والعكس صحيح.

إنّ المدن الرستمية والأغلبية كان لها دور مهم في التنمية التجارية باعتبارها مراكز تجارية ونخصّ بالذّكر تاهرت والقيروان وكان من الطّبيعي أن ينعكس ذلك بشكل إيجابي على إنتاجهما العلمي.

فتاهرت ذات الموقع الوسطي كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية على مستوى أوسع فقد كانت معبرا لتجار قادمين بقوافلهم من أماكن بعيدة كبلاد فارس[2] والعراق ومصر والقيروان, وحتى التجار المسيحيين .[3]

وفي المقابل نجد تجارا من تاهرت يستقدمون بضائعهم من أماكن بعيدةكالشام والحجاز و يتاجرون مع السّودان الغربي.يتفق هذا مع قول ابن الصغير :"واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ".[4] هذه العبارة تعطي صورة عن اتّساع دائرة المبادلات التجارية للدولة الرّستمية بالقدر الذي سمح للتجار أو الذين كانوا يرافقونهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق من مختلف أنواع العلوم لتزويد مكتبة تاهرت وعلى هذا الأساس كان للتجارة دور في تبادل السلع و الأفكار.

وانطلاقا من هذه الأهميّة فقد اعتنى الرستميّون كثيرا بطرق التجارة وتأمين القوافل عبر استخدام حاميات لهذا الغرض, فبقدر ما كانت الطرق والمسالك التجارية آمنة زاد نشاط التجارة بين عواصم ومدن المغرب الإسلامي. وكانت المسالك البرية أكثر استعمالا كالمسلك الذي يربط القيروان

---

(1) عمر رضا كحالة : المرجع نفسه , ص 62

(2) إيف لاكوست , المرجع السابق , ص94

(3) Abdallah laroui : op ;cit ,p104.

(4) ابن الصغير: المصدر السابق , ص 36 .

من تاهرت إلى تلمسان ومن تلمسان إلى سجلماسة وطريق آخر يربط تاهرت بفاس وطنجة حيث تتم التجارة مع الأندلس من خلال عدة موانئ أهمّها ميناء فروخ وهوالمنفذ البحريالرئيس للرستميين.[1] إضافة إلى موانيء تنس ومستغانم ووهران التي قامت بواسطتها العلاقة التجارية بين الطرفين [2] ما يدل على كثافة المبادلات التجارية بين الدولة الرّستميّة و الأندلس.

إنّ العلاقة التجارية بين الدولة الرستمية والأندلس هي انعكاس لطبيعة العلاقة السياسية بين الطرفين إذ شير المصادر والمراجع إلى أن هذه العلاقة وصلت إلى حد أن بعض الأمراء من البيت الرستمي كان لهم حظوة في البلاط الأموي في قرطبة من ذلك أنّ الأمير عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ/821-852م) استقبل في بلاطه أبناء الإمام عبد الوهاب عبد الغني , دحيون و هرام[3] في جو يدل على العلاقات الودية ,كما أن عبد الرحمن بن الحكم الأموي جعل محمدبن سعيد أحد أحفاد عبد الرحمن بن رستم حاجبا ووزيرا [4] وقائدا للجيش وكان له شأن في الأدب لكن ماهي العوامل التي تحكمت في طبيعة هذه العلاقة .؟

لاشكّ أنّ المصلحة كان لها دور فعّال في نسج هذه العلاقة المتميزة ,فالدولة الرستمية كانت محاطة بالأغالبة من الشرق والأدارسة من الغرب وهما لايخفيان عداءهما لها وأطماعهما فيها, والأمويون في الأندلس لاحليف لهم,فكانت الحكمة تقتضي أن تقام بين الإمارة الأمويّة والدولة الرّستميّة علاقات وديّة ترجمتها العلاقات التجارية بين الطرفين مما يكون له الأثر الإيجابي على النواحي الفكرية والثقافية .

وهذه العلاقة التّجارية قامت على مساهمة تاهرت في تزويد الأندلس بسلع من السودان الغربي فضلا على جلب العبيد من هناك بل إن بعض أمراء الأندلس إستعانوا بالزنوج كمرتزقة في الجند خاصة في عهد عبد الرحمن الداخل.[5]

وكان للجالية اليهودية دور في النشاط التجاري فقد وجد عدد من التجار اليهود في تاهرت[6] عملوا على تنشيط الحركة التجارية بين تاهرت والأندلس وقد ساعدهم في ذلك حسن معاملة

---

(1) يقع هذا الميناء بين مستغانم وأرزيو , يعرف حاليا بمرسى الحجاج , ينظر عبد العزيز الفيلالي : المرجع السابق ,ص 100.

(2) عبد العزيز سالم: المرجع السابق , ص577.

(3) عبد العزيز الفيلالي : المرجع نفسه , ص 98.

(4) ماريّاخيسوس فيغيرا : المرجع السابق , ص 277, ينظر جمعية التراث : المرجع السابق , ص 792.

(5) جودت عبد الكريم يوسف : المرجع نفسه , ص166.

(6) المرجع نفسه ,ص 160.

المسلمين لهم في إطار التسامح الديني.لقد تمكّن الرستميون من بسط نفوذهم التجاري على المغرب الأوسط حتى تخوم الصحراء, بل امتدت الحركة التجارية حتى سجلماسة وجنوب المغرب الأقصى إلى شواطئ المحيط الأطلسي(1)

وازدهار التجارة في تاهرت جعلها تستقبل عددا من العلماء والفقهاء من المشرق حاملين معهم مذاهبهم المختلفة .

إنّ سيطرة الرستميين على جزء كبير من المغرب الأوسط جعل نشاطهم التجاري يتوغل إلى السودان الغربي بواسطة القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء. عبرمنفذين رئيسيين هما:ورقلة وسجلماسة (2) إذ يمكن اعتبار ذلك احتكار للتجارة في هذه المنطقة عبر طرق ومسالك معلومة . فقد اتصل الرستمييون بممالك السودان الغربي عبر جبل نفوسة, منها مملكة كانم التي تقع بالقرب من بحيرة تشاد (3) كما اتصف التجار الرستميون بالحذق والبراعة والأمانة في المعاملات التجارية(4), وهو ما يمكن تسميته بالتعبير الإسلامي التاجر القدوة ,وهي صفات كان لها الفضل في غالب الأحيان في اقبال الناس على الدخول إلى الإسلام لما يلمسونه من أخلاق حميدة في التاجر المسلم.

لم يكن من الغريب والحالة هذه أن يستعين الفقهاء على التجارة في تحقيق أهداف دينية ذلك أنّ الطرق والمسالك التجارية كانت أيضا مسارا للعلماء والرحالة المسلمين وقد سمح ذلك بنشر الإسلام في السودان الغربي إذ أن التاجر غالبا مايكون من العلماء (5)فهو لاينقل تجارته فحسب بل ينقل ثقافته وأفكاره الدينية وهذا أعطى بعدا كبيرا للتجارة فغدت وسيلة فعالة لنشر الإسلام وثقافته فضلا عن أهمّيّتها الاقتصادية طبعا .وانطلاق التجار من تاهرت لا يعني أنهم كانوا كلهم إباضيين , بل كان منهم التاجر القيرواني السني والتاجر السجلماسي الصفري.

وعلى هذا الأساس فإنّ التجارة كان لها أثر طيب على نشر الإسلام في السودان الغربي في وقت مبكر ولو بشكل محدود ميّزه نشاط تجاري فردي افتقد في معظم الأحيان إلى التنظيم .(6) وهو ما يدل على أن تاهرت كانت مركزا تجاريا مهما في المغرب الأوسط تمتعت بتفتح اقتصادي.

---

(1) موريس لومبار : المرجع السابق , ص 323.322.

(2) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق ,ص248

(3) البكري : المصدر السابق ,ص11.

(4)موريس لومبار : المرجع نفسه , ص 324.

(5) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه ,ص 282.

(6) المرجع نفسه ,ص 285 .

يتبيّن من كل هذا أنّ الدولة الرستمية استمدّت قوتها في الحقيقة من عنصرين أساسيين هما التجارة والعلم في حين كان افتقادها إلى القوة العسكرية من أهم العوامل التي أدت إلى سقوطها على يد الفاطميّين , وتفسير ذلك أنّ السياسة الخارجية للرستميّين كانت في معظم الأوقات مبنية على المسالمة وحسن الجوار لضمان علاقات تجارية واسعة وناجحة .

وللقيروان نفس الأهمية من حيث أنها مثّلت مركزا تجارياحيويا ,فتوسّعها العمراني ارتبط بازدهار التجارة بها وقد عكس ذلك مظاهر الثّراء خاصة في عهد الأغالبة الذين اهتمّوا هم أيضا بطرق المواصلات البرية والبحرية,اذ عرفوا بأسطولهم البحري القوي الذي كان يجوب سواحل البحر المتوسط .وتوسّع النشاط التجاري من خلال القوافل ليشمل مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية فضلا عن السّودان الغربي, ومن العوامل التي ساعدت على هذه الحيوية التجارية ازدهار النشاط الزراعيي, فتنوعت المحاصيل الزراعية مثل الزيتون والقمح و كان لصناعة النّسيج والزجاج والذهب[1] شأن كبير في التطور الاقتصادي ,وهذه المنتوجات كانت بلاشكّ مواد للتبادل التجاري مع المناطق المجاورة .

وهكذا يتبين لنا أنّ التجارة قد أدّت دورا هامّا في اثراء الثقافة والفكر في المغرب الإسلامي وقد ساعد في ذلك انتشارونماء المدن إذ مثلت مراكز تجارية هامة ارتبطت بشبكةمن طرق التجارة عبر المغرب وساهمت في الازدهار الإقتصادي والتقدم الإجتماعي والرقي الحضاري بكل مكوناته الفكرية والثقافية والعمرانية.لأن التطور الحضاري يقوم على التكامل والتفاعل بين ثلاثة عناصر أساسية هي : العمران و التجارة والعلوم .

وخلاصة القول هو أنّ العلاقات التّجارية بين عواصم الإمارات الإسلامية لاسيّما بين تاهرت والقيروان ساهمت في التقارب الثقافي بين المالكية والإباضية و الذي يخل من مظاهر التآلف الإجتماعي رغم الإختلاف المذهبي والصراع السياسي بين الأمراء الأغالبة والأئمّة الرّستميّين ,فقد ذكر الونشريسي في المعيارالمغرب أن رجلا من الإباضية الوهبية تزوج إمرأة مالكية لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السنة. [2]

---

(1) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق , ص 115.

(2) الونشريسي أحمد بن يحي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب , الجزء 2 ,دار الغرب الإسلامي ,1981 , بيروت , ص 446.

الفصل الثالث:

الإنتاج الفكري عند الرستميين

أولا-العلوم النقلية :

ثانيا-العلوم العقلية :

أولا: العلوم النقلية :

لا شك أنّ الأوضاع السّياسية وتواجد عدّة مذاهب في المغرب الإسلامي لاسيما في الدولة الرستمية وتحديدا حاضرتهم تاهرت وجهود الأئمة الرستميين بدءا من مؤسّس الدولة عبد الرحمن إبن رستم كانت عوامل بالغة الأثر في جعل العلوم العقلية من حديث وفقه وتفسير تحظى بالنصيب الأوفر من التطوروالعناية والإهتمام مقابل العلوم الأخرى ,فقد كانت هذه المدينة عامرة بحفاظ الحديث وثقات المحدثين. [1]

امتازت الدولة الرستمية بغزارة الإنتاج في العلوم الشرعية والسبب الرئيس في ذلك هو الإهتمام الكبير لأئمتها فأغلبهم كان قائما بالعلم والتفقه في الدين ساهرا على رعايته ونشره بين رعيته حريصا على طلبه من مصادره غير مضيقين على من خالفهم في الفكر والمذهب ,وينطبق هذا الوصف على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي جمع بين الفقه والشعر فكانت له حلقات لتدريس الفقه والاصول وعلم الكلام واللغة وتتلمذ على يديه جمع من العلماء منهم إبناه أبو اليقظان وأبو بكر .[2]

لقد كثر الإنتاج الفقهي في هذا العهد نتيجة تعدد المذاهب منها المذهب المالكي الذي انتقل إلى تاهرت عن طريق التجارة والحج,[3] بل كانت الحرية في الدفاع عن المذهب مكفولة للجميع . إذ على الفقيه أو العالم أن يكون متفقها في العلوم الشرعية فضلا عن العربية وسير الصحابة.

كانت المناظرات [4] من أهم مظاهر التطور الفكري والعلمي في المغرب في هذا العهد من حيث أنّها تمثّل مجالا رحبا يتاح فيه للعلماء أو الفقهاء ابراز إمكانياتهم الفقهية والعلمية في الدفاع عن آراء فقهية أو أفكار مذهبيّة, ولاشك أنّ تعدد المذاهب في تاهرت والقيروان كان عاملا أساسيا في تنشيط هذه المناظرات .

---

(1) ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 2 ,ص 8.

(2) جمعية التراث: المرجع السابق ج1 , ص 120

(3) جودت عبد الكريم : المرجع السابق , ص 98.

(4) المناظرة في اللّغة مشتقّة من فعل ناظر , يقال ناظر فلان أي صار نظيرا له , ناظره في الوظيفة ,بمعنى باحثه وجادله , أما من حيث الاصطلاح فهي شكل من أشكال الحوارالعلمي ينبني على الجدل , يقول أبو حامد الغزالي :" الرخصة في المناظرة هي ترغيب الناس في طلب العلم"--

وهذا النوع من السّجال العلمي كان الهدف منه استجلاء الحقائق , فكل عالم أو فقيه يدافع عن مذهبه أو مبدئه بالحجة والبرهان ولكي يكون أهلا للمناظرة لابد أن يتصف بزاد معرفي كبير يمكّنه من التغلّب على خصمه وإقناعه, فيظهرتفوقه الفقهي.

إن التّسامح المذهبي الذي عرف به الأئمة الرستميون بنى قاعدة أساسية لحرية الفكر وهو ما شجّع الحركة العلمية , فتعددت حلقات المناظرة وانبرى كل عالم أوفقيه يدافع عن رأيه .

فكانت أهم وأشهر المناظرات التي احتضنتها تاهرت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة. إذ تذكر المصادر والمراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بوادي مينة[1] في حلقات مناظرة تدورحول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام واللغة.

لاشك أن هذه المناظرات كان لها محاسن وآثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهورمؤلفات أظهرت جهود العلماء والفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية وأدبية للؤسسات العلمية في هذا العصر .

1-التفسير:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين وفي بيانه وبلاغته اعجاز للعرب ولفصاحنهم وبلاغتهم ولذلك كان فهم معاني القرآن من ضرورات فهم الدين وأحكامه , فأقبل العلماء المسلمون في العصور الأولى على تفسيره لأن نزوله بلغة العرب لايعني أن كل العرب يفقهون احكامه ومعانيه ولأن فهم اي كتاب لايتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة الكتاب في رقيه,[2] فما بالك بكتاب الله المعجز

كما كانت بعض ألفاظ العرب يختلف معناها من منطقة إلى أخرى.

ثم إنّ اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أقوام أعجمية في الإسلام هي عوامل أخرى تطلّبت تفسير القرآن الكريم,ففي المغرب الاسلامي الذي عرف تاسيس الدول المستقلة منها الدولة الرستمية التي كانت تضم مجتمعا هو بالأساس مجتمع بربري جعل الأئمة الرستميّين يهتمّن بهذا المجال لتيسير

== ينظر أبو حامد الغزالي : المصدر السابق المجلد 1 , ص 63 , وابن منظور : المصدر السابق المجلد 3 , ص 656 ,و كذلك جماعة من اللّغويّين العرب : المعجم العربي الأساسي , المنظّمة العربية للتّربيّة والثقافة والعلوم , 1989,ص 1205 .

(1) ان الصغير : المصدر السابق , ص 94.

(2) أحمد أمين :فجر الإسلام ,ص 196.

وتسهيل فهم ماجاء في القرآن الكريم , ولآداء الفروض الدينية بشكلها الصحيح استنادا غلى أحكام القرآن الكريم .

تذكرالمصادر والمراجع الإباضيّة أنّ عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة ألّف كتابا في التّفسير [1]ولكنّه فقد ولم يصلنا منه شيئ. وقد نبغ في هذا الفرع من فروع الشريعة عدد من العلماء في الدولة الرستمية وتحديدا في جبل نفوسة وتاهرت أشهرهم :

-محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بأبن أبي المنيب عاش بين(200-250هـ/815-864م[2]وهوأحد أعلام نفوسة أرسلته قبيلة فوسة بطلب من الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن ليناظر المعتزلة الواصلية بتاهرت لأنه عرف بمعرفته العميقة لمعاني القرآن الكريم

-لواب بن سلام التوزري المزاتي : توفي بعد 273هـ/887م من علماء قبيلة مزاتة أصله من أغرميمان من جبل نفوسة كان شيخا واماما عالما بالأصول والفروع [3]وقد قام بتفسير جزء من سورة الشورى في كتاب "شرائع الدين"[4]

-هود بن محكم الهوّاري الأوراسي كان أبوه محكم الهوّاري قاضي تاهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م)[5] وهو أشهر مفسّر عرف في الدولة الرستمية تداولته المصادر والمراجع الإباضيّة وغير الاباضيّة.

تلقّى هود بن محكم تعليمه في تاهرت وكان يفسّر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال وقد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكّي والمدنيّ, الناسخ والمنسوخ ,التقديم والتأخير , المقطوع والموصول والخاص والعام والإضمار واللّغة العربية [6]. ألف كتابا في التفسيرفيه 4أجزاء.[7]

---

(1) محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريّون عبر التاريخ ج1 ,دحلب للنشر , الجزائر ص 36,34, , بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 300 .

(2) جمعية التراث : المرجع السابق ج4 , ص828,ينظر بحاز ابرهيم , المرجع نفسه , ص 299.

(3) جمعية التراث: المرجع نفسه ,ص 733.

(4) معروف بلحاج : (الإنتاج الفكري الجزائري في عهد الدولة الرستمية) مجلة الفضاء المغاربي العدد2, مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي, جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان , أفريل 2004, ص 243 , بحاز إبراهيم :المرجع نفسه , ص 299.

(5) محمد مختار إسكندر : المرجع نفسه , ص 40, موسى لقبال : دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية , ص 77.

(6) محمد مختار إسكندر : المرجع نفسه , ص 41.

(7) هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز 4أجزاء , تحقيق شريفي بلحاج , دار الغرب الإسلامي , ط1 , بيروت , لبنان .

2- الفقه:

لايمكن الحديث عن الفقه في الدولة الرستمية دون التطرق إلى واضعي أسس هذا العلم في هذه الدولة وفي المغرب الإسلامي بشكل عام ونعني بهم حملة العلم الخمسة [1] فضلا عن الذين اختارهم الإمام عبد الرحمن بن رستم قبل وفاته لخلافته .لقد قام هؤلاء بجهود كبيرة لترسيخ المذهب الإباضي ومن ثم إيجاد إطار سياسي يحميه ويضمن استمراريته وهو الدولة الرستمية.

إنّ حرية الفكر وإفساح المجال أمام المذاهب الأخرى غير الإباضية أفضى إلى نتيجة إيجابية وهي ازدهار الفقه, لأنّ التّنافس بين الفقهاء على اختلاف لمذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف, فكثرت بذلك المدونات الفقهية.

ولا أدلّ على ذلك ماقاله بن الصغير :"...ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيّين والمدنيّين –أي المالكيّة– لم يطلب بعضهم بعضا,ولايسعى بعضهم ببعض...إلاأنّ الفقهاء تباحثت المسائل فيمابينها , وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتهافيها صاحبتها ...".[2]

وجدير بالذّكر أنّ الحلقات العلمية والمناظرات التيّ كانت تقام في تاهرت بإشراف الأئمة الرستميين عليها في بعض الأحيان كان لها دورفعال في اثراء الفقه كانت حلقات الجدل والمناظرة تعقد بين فقهاء المالكية والاباضيّة يورد بحاز إبراهيم جانبا من مناضرة فقهيه بين ابن الصغير المالكي وأبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية ﴿**واللائي يأسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدّتهنّ ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ ومن يتّق الله يجعل لّه من أمره يسرا** ﴾[3], فابن الصغير فسّر"لم" بأنها لاتعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لم يبلغن سن الحيض ,بينما أبو الربيع فسّرها على أنها تعني النساء المسنات. [4]

(1) هم إسماعيل بن درار الغدامسي حي سنة211هـ/826م و أبو داود القبلي النفزاوي حي في سنة 140هـ /757م و عاصم السدراتي المتوفي سنة 141هـ/ 758 م و عبد الرحمن بن رستم المتوفي سنة171هـ/ 777م وهو مؤسس الدولة وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري المتوفي 144هـ/761م وهو من اليمن وقد إلتحق بهؤلاء الأربعة حينما كانوا في البصرة يتلقون العلم على أيدي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وكان ذلك بين 135هـ إلى 140هـ , ينظر جمعية التراث: المرجع السابق , 515,505 , 499 , 285,109 .

(2) ابن الصغير : المصدر السابق , ص 117.

(3) "سورة الطلاق" الآية 5.

(4) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 300, ينظر ابن الصغير: المصدر نفسه , ص 119,118,117.

كذلك الأمر بين فقهاء الحنفيية والاباضيية ,حيث يتفق المذهب الإباضي والمذهب الحنفي على الكتاب والسنة والقياس والاجماع و الاختلاف هوأن الاباضيين يأخذون بفتاوى الصحابة والتابعين أما الأ حناف فلا يأخذون إلا بفتاوى الصحابة. [1]

كما أنّ الفقه الإباضي[2] تميّز بالتّمسك بالمبادئ الباضية وهو ماكان عليه شيوخ المذهب الأوائل, والدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأجر والحيطة من الوقوع في الحرام , إذ يذكر أن أبا مرداس رأى على غير قصد إمرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك. [3]

أ-الفقهاء الإباضييون:

لقد كان الأئمّة الرستميّون أنفسهم علماء وفقهاء حيث أنّ الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ألّف كتابا سمّاه " مسائل نفوسة"يجيب فيه على أسئلة النفوسيين التي جاءت في حوالي 300 سؤال[4] وقد نحا نحوه ابنه الإمام أفلح بن عبد الوهاب فألّف كتابا سمّاه"جوابات الإمام أفلح " من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في ازدهار الحياة الفكرية في تاهرت والدولة الرستمية بشكل عام نذكر:

-أبان بن وسيم أبي يونس بن نصر الوغويوي النفوسي(أبو ذر): 200-250هـ/815-864م [5]

من علماء الدولة الرستمية تلقى العلم على الشيخ أبي خليل صال الدركلي اشتغل بالزراعة ثم ولاه الامام أفلح بن عبد الوهاب (208- 258هـ/823-837م) [6]على جبل نفوسة بعد وفاة أفلح بن عباس كان فقيها مفتيا ثقة فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الفقه والتاريخ والسير الإباضية من آرائه وفتاويه فتح مترله مدرسة للنساء يقصدنها للتفقه في الدين وكانت زوجه يالوت قريناله في الخير.

---

(1) عبد الكريم جودت : المرجع السابق , ص96.

(2) للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم ,ينظر محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد ج1 , دار الفكر العربي , ص 85.

(3) صالح باجية : المرجع السابق , ص 66.

(4) معروف بلحاج : المرجع السابق , ص 244 , ينظر ابن الصغير , المصدرالسابق , ص 45.

(5) جمعية التراث : المرجع السابق ج2 , ص 8.

(6) المرجع نفسه , ص 9, ينظر سليمان الباروني :المرجع السابق , ص 289,288.

-أبو عبيدة بن الأعرج:

عاش في القرن 3هـ/9م في عهد الامام أبي اليقظان كان من العلماء البارزين في ميدان الفقه [1] والعلوم الأخرى لاسيما علم الكلام واللغة والنحو, ومما يذكر عن خصاله قلة تردده, على الأمراء وحسن أدبه [2] , وبن الصغير كان أحد تلامذته كان مشهودا له بالورع حتى أن اباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها حيث يشاء[3] ولقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكانة الفقهية من أمثال عبد العزيز بن الأوز الذي ذكر سابقا وأبو ميمون الجيلاطي وعبد الله بن الخير هذا الأخير تتلمذ على يد أبّان بن وسيم , ولغزارة فقهه برز في الافتاء [4] وغيرهم كثير .

لم تكن تاهرت وحدها حاضرة ومركزا للحركة الفقهية الإباضية فجبل نفوسة أيضا كان له نفس الأهمية, لأن انتشارالمدارس وحلقات العلم جعلت منه مركز اشعاع فكري لابل مستودعا للفقهاء والعلماء ورجال الفكر, وهذا ما يفسر لنا استعانة الأئمة الرستميّين بهم في المناظرات .

ومن أشهر العلماء الذين كانت لهم مترلة رفيعة في جبل نفوسة في هذا العهد:

-أبوزكرياء التوكيتي :

كان من جهابذة الفقه الاباضي حتى قال عنه الدرجيني في طبقاته وكذلك أبو زكرياء يحي في سير الأئمة "الجبل هوأبو زكرياء وأبو زكرياء هو الجبل" [5] ,عاصر هذا الفقيه أبا مرداس مهاصر السدراتي.[6]

- أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني :

عيّنه الإمام عبد الوهّاب عاملا على طرابلس ,لكنّ أبا عبيدة استعفاه من هذه المهمة لضعفه عن آدائها كتب إليه الامام بقوله :"إن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين يقويك وإن كنت ضعيفا البدن فالحق يقوّيك , وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء اللاّلوتي فاستعن

(1) وداد القاضي:(إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية) محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المجلّد1, ص233, .ينظر سليمان البّاروني: المرجع نفسه , ص 89,88.

(2) محمد بلقراد :المرجع السابق , ص116,115.

(3) جمعية التراث: المرجع السابق ج3, ,ص596.

(4) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 319,318.

(5) أبو زكريا ء يحي : المصدر السابق , ص 83.

(6) معروف بلحاج : المرجع السابق ,ص 245.

به في مايستقبل من أمورك "[1] توفي بعد سنة 211 هـ/826م في معركة ضد خلف بن السّمح. [2]

-أبو الحسن الأبدلاني:

فقيه من أبديلان[3] بجبل نفوسة له دراية بعلم الكلام كان من بين علماء نفوسة الذين استعان بهم الإمام عبد الوهاب في مناظرة الواصلية .

- إدريس الفزاني:

عالم من علماء فزان (ليبيا)[4] عاش في القرن 3هـ /9م عاصر الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وهذا له دلالته من حيث تفسير انتشار نفوذ الفكر الإباضي في العهد الرستمي.

-ماطوس بن هارون: المتوفّى سنة 283هـ /896م

عالم من مدينة شروس بجبل نفوسة عاصر الوالي الرستمي أبا منصور الياس والقاضي عمروس بن فتح له كتاب يسمى "كتاب ماطوس "[5] ومن خطباء وفقهاء تاهرت نذكر أيضا أحمد التيه الذي برع في فن المناظرات و بن أبي إدريس وعثمان بن الصفار و أبو العباس بن فتحون وأحمد بن منصور وقد عاصروا الإمام أباحاتم يوسف بن أبي اليقظان . [6]

-أبو حسان عامر بن عاصم السدراتي:

عاش في القرن 3هـ /9م من ذرية عاصم السدراتي كان حيا بعد 283هـ/896م كان يعقد مجلسين مجلسا للضعفاء يفقههم في دينهم وآخر للنساء يعلمهن احكام النساء . [7]

-أفلح بن عباس بن أيوب 250-300هـ/864-912م[8] :

شيخ من شيوخ جبل نفوسة كان له حظوة عند الامام أبي اليقظان محمد بن أفلح(261-281هـ/874-894م) ولاّه على جبل نفوسة بعد وفاة واليها أبي منصور الياس.

---

(1) يوجد اختلاف بين الدرجيني وأبي زكرياء فبينما الأول يكره باسم زكرياء اللاّلوتي فإن الثاني يذكره بإسم زكرياء يصلتين التوكيتي ,ينظر الدرجيني : المصدر السابق , ص 71, وأيضا أبو زكرياء يحي: المصدر السابق , ص 82.

(2) جمعية التراث: المرجع السابق ج3 , ص 510.

(3) جمعية التراث: المرجع نفسه ج2 , ص245 , ينظر سليمان الباروني: المرجع السابق , ص 158,157.

(4) المرجع نفسه ج1 , ص105.

(5) المرجع نفسه ج4 , ص738.

(6) بحاز إبراهيم :المرجع السابق , ص 266

(7) جمعية التراث: المرجع نفسه ج2 , ص245,244.

(8) المرجع نفسه ج1 , ص 118,117.

-إبن أبي عياض اللواتي :

عاش في القرن 3هـ توسّط بين أبي حاتم يوسف ويعقوب بن أفلح الذي توفّى سنة310هـ /922م حيث أنه اقنع يعقوب بن أفلح بالتنازل واخمدت الفتنة. (1)

-سدرات بن الحسن البغطوري (أبو القاسم):

أدرك بداية القرن 4هـ/10م حيث توفّى سنة 313هـ /925م من أهل ميري أو تيري من جبل نفوسة نجا من موقعة مانو 283هـ /896م فكان مرجع الفتوى في الجبل.(2)

-أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي:

درس بسجلماسة على الشيخ بن الجمعي وفي توزر رجع إلى مسقط رأسه في قرية تابديوت بجبل نفوسة اشتغل بالتدريس في الفقه واللّغة.(3)

إنّ هؤلاء الفقهاء كانت لهم مكانة كبيرة عند الأئمة الرستميّين لذلك نجد أن عددا كبيرا منهم مارس مهنة القضاء فضلا على مهنة التفقيه والإفتاء , لأن تعيين الفقيه في منصب القضاء كان يتم طبعا بناء على كفاءة الفقيه وسعة علمه ومترلته بين الفقهاء, وهذا يعني أن القضاء باعتباره جهازا إداريا, إرتبط ارتباطاوثيقا بالفقه, لأن اصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية انطلاقا من الفتوى الفقهية , وفي معظم الأحيان كان تقدم أو بالأحرى تقبل هؤلاء الفقهاء للقضاء يتم عن غير رضا منهم بل بإصرارالأئمة, فالفقيه لايقبل تولي هذه المهمة إلا بشروط تجعلة مستقلا في أحكامه ومن أشهر القضاة في العهد الرستمي نذكر :

- **محكم الهواري** :حي بين 208-258هـ /823-871م (4)

فقيه وقاض من جبل الأوراس عينه الامام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تاهرت قيل في سيرته إنه كان شديدا في الحق فلم يكن عنده فرق بين أمير ومأمور ولابين حاكم ورعية ولهذه الخصال ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل(5). فقد حدث أن تخاصم عنده ابن الإمام عبد

(1) جمعية التراث : المرجع السابق ج3 , ص675.

(2) المرجع نفسه ج3 ,ص 351,350

(3) يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ج1 ديوان المطبوعات الجامعية ط2 , 1995, , ص 121.

(4) جمعية التراث : المرجع نفسه ج4, ص746,745.

(5) ابن الصغير: المصدر السابق ص60,59,58,57.

. الوهاب- أبو العباس- وصهر الامام أفلح حول أرض فلم يقرب إليه بن الإمام عبد الوهاب لكونه بن أمير إنما ساوا بين الخصمين في المجلس[1] وهو تصرف ينم عن تجسيد العدل والحرص على تطبيقه.

-عمروس بن فتح المساكني النفوسي (أبوحفص):

يعد من أبرز فقهاء جبل نفوسة, تولى القضاء بجبل نفوسة في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح له الفضل في انقاذ مدونة أبي غانم حيث قام باستنساخها .[2] وأهميتها عند اباضية تضاهي أهمية مدونة سحنون عند المالكية في المغرب.

إذ يذكر في هذا السياق أنّ أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق المغرب متوجها إلى قاصدا الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومعه مدوّنته وأثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمروس بن فتح الذي عكف هو وأخته على استنساخها. [3] وهو من بين الفقهاء الذين قتلوا على إثر موقعة مانو سنة 283هـ /896م حيث أخذ أسيرا إلى الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة. [4]

-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ:

فقيه من تاهرت عاصرالإمامين أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م)و أبي حاتم يوسف(281-294هـ/894-1003م) هذا الأخيرعينه قاضيا وقد كان متضلعا في الفقه وكذلك بنه أبو محمد عبد الله . [5]

ومن الفقهاء من حظي بمنزلة كبيرة عند الأئمّة الرستميّن فكان له شأن في البيت الرستمي نذكرمنهم:

-محمود بن بكر و عيسى بن فرناس:

استعان بهما الإمام أبو اليقظان لإستشارة في أمور الدين و السياسة . [6]

---

(1) جودت عبد الكريم : المرجع السابق ,ص54.

(2) جمعية التراث:المرجع السابق ج3 , ص 671. ينظر سليمان الباروني : المرجع السابق ,ص 335,334,333,332 .

(3) الحبيب الجنحاني :دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي , دار الطليعة , بيروت , لبنان , 1990, ص 105.

(4) الدرجيني : المصدر السابق , ص 89.

(5) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق ص 178 , ينظر سليمان الباروني :المرجع نفسه ,ص86 , ابن الصغير : المصدر السابق , ص89.

(6) يحي بوعزيز : المرجع السابق , ص 120 , ينظر ابن الصغير: الصدر نفسه , ص 93.

-أبو مرداس مهاصر السدراتي التبرسيتي :

عاصر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ/787-823م) وكان رفيقه, عرف بغزارة علمه عرف بالصلاح, فكان ينصح الأمراء متّبعا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[1]

إنّ تقرّب الأئمة الرستميّين من هؤلاء الفقهاء والعلماء لاسيما الذين كانوا يتمتّعون بسمعة طيبة في أوساط العامة كان يهدف بالدّرجة الأولى إلى البحث عن الشّرعية الدينية المذهبية تحديدا وحشد التأّييد من العامة خاصة في أوقات الفتن والإضطرابات التي عصفت بتاهرت كما سبق الحديث عنها.

ب-العالمات الإباضيات:

ومن جهة أخرى فإنّ اهتمام الرستميّين بنشر العلم والتشجيع على طلبه لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء إنما كان المجال مفتوحا أمام المرأة , فكثيرا من النساء بلغن مترلة كبيرة في العلم وفي الفقه بوجه خاص حيث اكتسبن سمعة طيبة بين الفقهاء بل إن منهنّ من كانت في نفس مكانة الرجال في التضلّع في الفقه والعلوم الشرعيّة الأخرى نذكرمنهن:

-العالمة زورغ الأرجانية:

من تلاميذة أبان بن وسيم النفوسي التي قيل عنها "معها ثلث علم أهل الجبل"وهو مايدل على غزارة علمها .[2]

- العالمة النفوسية تكسليت أم يحي:

كانت على قيد الحياة سنة283هـ/896م اشتهرت بقوة الحفظ قيل إنها حين سافرت إلى الحج كانت بجانب رجل أندلسي أنشد 80بيتا حفظنها مرة واحدة .[3]

- أم الربيع الوريورية : 250هـ/912م[4] .

امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم والكرم ,ماجعل المشايخ يلجأون إليها للمشاورة والمناقشة العلمية.

---

(1) بحاز إبراهيم :المرجع السابق , ص 317.
(2) المرجع نفسه , ص 337.
(3) جمعية التراث: المرجع السابق ,ص 21.
(4) المرجع نفسه ج2, 307.

-أخت عمروس بن فتح :

عاشت في أواخر القرن 3هـ/9م لم تذكر المصادر اسمها , ساعدت أخاها عمروس على استنساخ مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني. [1]

ج-الفقهاء غير الإباضيّين :

لم يقتصر الإنتاج الفقهي على المذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية مما مكّن من وجود تعايش مذهبي جعل من تاهرت رمزا لمايمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا " إلاماكان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية والمعتزلة الواصلية وأسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية [2] فقد فتحت هذه المدينة أبوابها أمام الوافدين إليها دون تضييق أو تعصب إنما في سعة من الأمر وتسامح جعل من التنافس العلمي هو المحك الذي يبرز تفوق الفقهاء , لذلك كان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين منهم على وجه التحديد فقهاء المالكية نذكر منهم:

أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي المتوفي ستة 309هـ/921م [3] وإبراهيم بن عبد الرحمن التنسي سمع من أبي علي القالي توفي 307هـ-919م. [4] وكذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ-931م كان له باع كبير في الفقه من تآليفه "جامع المسائل الموازنة والمستخرجة . [5] وأيضا قاسم بن عبد الرحمن وزكريا بن بكر والمؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير.[6]كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تاهرت بدليل وجود مسجد خاص بهم وكان يطلق عليهم تسميّة الكوفيّين[7] ومنهم أبو مسعود وأبو دنون الكوفيين.[8]

إنّ احتضان الدّولة الرستميّة لعدد كبير من الفقهاء يفسّر بتوفر المناخ العلمي الذي أعطى ثمارا جيدة من حيث المساهمة في غزارة الإنتاج الفقهي . وإن كنّا قد اكتفينا بذكرجملة من الفقهاء فهذا

---

(1) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 323.

(2) محمد عيسى الحريري : المرجع ,السابق , ص 120.

(3) معروف بلحاج : المرجع السابق , 246.

(4) رابح بونار : المرجع السابق , ص 92.

(5) المرجع نفسه ,ص93.

(6) محمد عيسى الحريري : المرجع نفسه , ص 237.

(7) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق , ص 95 , ينظر ابن الصغير : المصدر السابق , ص 36.

(8) المرجع نفسه , ص 95.

لايعني أننا أحطنا بمعرفة كل الفقهاء الذين ساهموا في تنشيط الحركة الفقهية في هذه الدولة, لأن المجال لايسمح لنا بأن نستوفي ذكرهم جميعا.إنما هي إشارة لجانب مهم من العلوم النقلية في هذا العهد ولما قدمته هذه الدولة من إسهامات في التراث الفقهي .

3- الحديث:

لم يول الرستميّون اهتماما كبيرا للحديث عكس ما كان عليه الفقه إذ تكاد تخلو المصادر والمراجع الإباضية من هذا الباب, فتراجم وسير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا,ولعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تاهرت جعل الفقه يحظى بالاهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية والكلامية . ومع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ)له روايات في الحديث .[1]

لقد ذكر الشماخي في سيره بعض أسماء رواة الحديث منهم محمد بن يانس المعروف بابي المنيب [2] أمّا رواة الحديث من غير الاباضية فنذكر المصادر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن إسماعيل المتوفي 296هـ/909م[3] هو سني مالكي المذهب [4] ويعدّ من ثقات المحدثين المأمونين وقد مكنته رحلته إلى المشرق سنة 217هـ/ 832م من أن يسمع من ابن مسدّد بن مسرهد وعمر بن مرزوق وبشر بن حجر ومن الفقيه علامة المذهب المالكي سحنون في القيروان[5] التي قضى فيها فترة طويلة طالبا للعلم ومدرّسا للحديث, فتخرج على يديه بعض المحدّثين منهم ولده عبد الرحمن[6] وقاسم بن اصبع الذي نقل مسند بن مسدّد إلى الأندلس وهو في عشرة أجزاء[7]

وأبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي وقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي التميمي, ومن المحدثين أيضا أبو سعيد بحيج بن خداش توزري توفي بنفزاوة سنة

---

(1) معروف بلحاج : المرجع السابق , ص 242.

(2) المرجع نفسه ,ص 243

(3) ذكره الدباغ بإسم بن سمك وبن عذارى بإسم بن سمر , ينظر الدباغ : المصدر السابق , ص 281 , ابن عذارى : المصدر السابق , ص103.

(4) رابح بونار : المرجع السابق , ص 122.

(5) سليمان الباروني : المرجع السابق ,ص33.

(6) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 309, .

(7) جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق , ص 174.

296هـ/909م وقد روى الحديث عن محمد بن سحنون[1] ويظهر أنّ معظم هؤلاء المحدّثين تلقوا كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها .

والمؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلاّ ماكان قد استعين به في التفسير وهي طريقة هود بن محكم [2] السّالف الذكر ويذكر أنّ نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابربن زيد الأزدي من بغداد وهومؤلّف يعتقد أنه في الحديث[3] لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس .

يذكر الدرجيني أنّ مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث [4]

هناك ملاحظة مهمّة تستوقفنا وهي أنّ الإنتاج الفكري الاباضي لاسيما الفقه منه لم ينته بانتهاء دولتهم أي الدولة الرستمية بل استمر في واحات ورجلان (ورقلة حاليا) وسدراتة وجربة ,إذ نزح يعقوب بن أفلح إلى ورجلان عقب مقتل يوسف أبي اليقضان. [5] هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تاهرت فقد أنجبت هذه المدن علماء وفقهاء مثّلوا استمرارية فكرية ومذهبية للدولة الرستمية وعرفوا بقوة الإستماتة في الدفاع عن مذهبهم ,فلم ينضب معينهم إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع والخامس الهجريين حتى يومنا هذا ومن هؤلاء الفقهاء نذكر:

-سعيد بن زنغيل (أبو نوح):

أوائل القرن 4هـ /10م[6] نشأ بالجريد ثم استوطن ورجلان برع في علوم الفصاحة والبيان وفنون الجدل وكان يدعو الى مذهب الاباضية الوهبية , كانت له مناظرات مشهورة خص بها علماء المعتزلة والنكار منهم يكما الأعرج النكّاري وهو من كبار شيوخ النكار في هذا العهد. [7]

كان أبو نوح من جملة الاباضيّين الذين أمّنهم الخليفة الفاطمي المعزّ بعد أن شفع له بن بلكين بن زيري.[8]

---

(1) معروف بلحاج : المرجع السابق , ص 244.

(2) بحاز إبراهيم :المرجع السابق , ص301.

(3) المرجع نفسه , ص 306,305.

(4) الدرجيني : المصدر السابق , ص 10.

(5) سليمان داود : المرجع السابق , ص 86.

(6) جمعية التراث: المرجع السابق ج3 , ص 365,364.

(7) الدرجيني : المصدر نفسه , ص 148.

(8) المصدر نفسه , ص 135.

-أبو عبد الله محمد بن بكر:

تتلمذ على يد أبي نوح سعيد بن زنغيل وقد أشاد بنبوغه في الفقه رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية [1], قال عنه الدرجيني في طبقاته :" كان أبو عبد الله من أكثر الناس علما وورعا في أنواع كثيرة من الفضائل وهو أول من ألهم سلوك الطريقة التي حفظ الله بها هذا المذهب , فرسم المهمل وقيد الشارد ."[2]

- **أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهرساني** : المتوفي سنة 471هـ/1078م ,[3]

وهو من أهم مؤرخي الدولة الرستميّة إذ يعد كتابه "سير الأئمة وأخبارهم " أهم مصدر تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي

- **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي** المتوفي سنة 570هـ/1174م[4]

له تفسيرللقرآن الكريم في سبعين جزءا.[5]

إنّ جهود هؤلاء العلماء والفقهاء في الحفاظ على المذهب الاباضي عملت على التواصل الفكري عبر العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الإعتدال التي لزمت هذا المذهب منذ نشأته وهي في الحقيقة من عناصر قوته وعوامل انتشاره وبقائه, لأنّ نجاح أي فكرة أومذهب مرهون بمدى الاقتناع بها وتقبلها وليس بالقوة التي تفرض بها ولاأدلّ على ذلك المذاهب التي ظهرت في هذا العهد ثم اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة والإكراه ونقصد ما ظهر منها في المغرب الإسلامي .

---

(1) أبو زكرياء يحي: المصدر السابق , ص 173.
(2) الدرجيني : المصدر السابق , ص 167.
(3) جمعية التراث: المرجع السابق , ص 948.
(4) يحي بوعزيز : المرجع السابق , ص127.
(5) سليمان داود : المرجع السابق , ص 85.

ثانيا -العلوم العقلية :

تنوّعت العلوم العقلية من أدب وما يتّصل به من فنون مثل الشعر والنثر واللّغة وقواعدها , ومن رياضيات وفلك وغيرذلك .وتذكر المصادر والمراجع أنّ الإمام أفلح بن عبد الوهاب و أخته كانا عالمين بالحساب والفلك والتنجيم [1] وكان الإمام أبوبكر بن أفلح شغوفا باللغة والأدب [2]

إنّ الحلقات التي كان يقيمها حملة العلم العائدين من المشرق كانت بمثابة مدرسة لتلقين الأتباع علم الأصول والفروع والسّير والتوحيد وأراء الفرق وعلوم اللغة والفلك والرياضيات وبالتّالي فهي كانت عبارة عن مراكز نشيطة في مجال تعريب البربر ,ولقد شملت العلوم العقلية فروعا شتى من من فلسفة ومنطق وشعر وغيرها لكن حرق مكتبة المعصومة بعد دخول العبيديّين إلى تاهرت يجعل من الصعوبة بمكان الوصول إلى ماكانت عليه العلوم العقلية الأخرى لأنّ المؤلّفات التي تعنى بهذه العلوم قد فقدت لاسيما عند سقوط تاهرت واستيلاء الفاطميّين عل مكتبتها [3]

1-الأدب:

لقد ازدهر الأدب بكل ألوانه وخاصة منها الشعر والميزة الأساسية في البيئة الأدبية للرستميين أنّ أئمتهم كانوا أدباء, وعليه كان حرصهم كبير في نشر اللغة العربية التي أضحت اللغة الرسمية للدولة , [4] فالرسائل الديوانية كانت تحرر بالعربية ,كتلك الرسائل التي كان يبعث بها الأئمة إلى ولاتهم أو إلى رعيتهم لحثهم على الطاعة والتمسك بالدين أولتحذير المنشقين عنهم والخارجين عن طاعتهم .

أ-الشعر:

إزدهر هذا اللون من الأدب لماكان من نبوغ الأئمة الرستميين فيه, ومن ذلك نجد أنّ الإمام أفلح بن عبد الوهاب كانت له قصيدة طويلة يشيد فيها بفضائل العلم ومنها الأبيات التالية :

العلـــم بـــنى لأهل العلـــم آثارا وليلهم بشمـــوس العلـــم قد نارا

---

(1) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , ص 238.

(2) جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق , ص 107.

(3) عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1982 , ص86.

(4) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديثا ج2 , تقديم وتصحيح محمد الميلي , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر و دارالغرب الإسلامي لبنان ,ص 77.

حي وإن مات ذو علـــم وذ وورع إن كان في منهج الأبـــرار ماماراً.
وذو حياة علـــى جهـــل ومنـــقصة ولا يبالي أخـــيرا نـــال أم عـــارا .
حياتـــه عـــدم في طـــول مدتـــه كميّت قد ثوى في الرمس أعصارا.
لله عصبة أهـــل العلـــم إن لهـــم في كـــل أفـــق من الآفـــاق أنوارا .
نالوا الأمـــاني بـــه طرّا وبان لهـــم فضل على الناس غيابا وحضّـــارا.
العلم علم كـــفى بالعلـــم مكرمة ومن يرد غير خير العلم ما اختـــارا.
كـــم جاهل بأمور الديـــن مختبـــط والجهل جهل كفى بالجهل ادبـــارا.
العلـــم عند إسمه أكرم بـــه شـــرفا للمرء إذ يكتسي بالعلـــم اطمـــارا.
مااللفتى غـــير نـــور العلم من رتب والجهل عند اسمه أعظـــم به عـــارا.
يشرف العلـــم للإنســـان منزلـــة ويجتـــبي من جـــناه العذب أثمـــارا.
العلـــم فخر علا عن كل مرتـــبة ويرفـــع العلـــم للإنسان أقـــدارا. [1]

ومن أشهر الشعراء في العهد الرستمي بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل التاهرتي الزناتي الذي ولد في تاهرت سنة 200هـ/815م .و ارتحل إلى المشرق سنة 217هـ/832م [2] حيث تنقّل بين البصرة والكوفة وبغداد [3] فالتقى بفطاحل الشعر أمثال أبي تمام ودعبل الخزاعي شاعر الهجاء* .

عاد إلى القيروان من المشرق سنة 239هـ/853م .وتفرّغ للتّدريس في جامع القيروان سنة 274هـ/887م. [4] لكن سوء علاقاته مع الامير الأغلبي إبراهيم بن أحمد جعلته يخرج هاربا من القيروان يريد تاهرت سنة 295هـ/ 907م. [5] فاعترض سبيله قطاع الطرق بالقرب من تاهرت, فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بكر في بطنه ولعل الجراح التي أصيب بها في الحادث المذكور. [6]

---

(1) سليمان الباروني : المرجع السابق , ص 249,248,247.
(2) يحي بوعزيز : المرجع السابق ص 122, ينظر الدباغ , المصدر السابق , ص 282.
* أبو تمّام حبيب بن أوس المعروف بأبي القاسم المتوفّي سنة 228هـ/843م نشأ في دمشق و كان معضم شعره في المدح , أمّا دعبل المتوفّي سنة 246هـ/860م فقد ولد بالكوفة فهو عكس أبي تمّام اشتهر بالهجاء وقتل بسبب حدّة لسانه في الهجاء , ينظر حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي _الأدب القديم -, دار الجيل , ط2 , بيروت , لبنان , 1995, ص 738,731,729.
(3) المرجع نفسه , ص122.
(4) المرجع نفسه , ص 123.
(5) المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ج2 , حققه بشير البكوش راجعه محمد العروسي المطوي , دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر 1981 بيروت لبنان , ص21.
(6) يحي بوعزيز: المرجع نفسه, ص124.

كانت سبب وفاته في قلعة بقلعة بن حمّة بالقرب من تاهرت على ما ذكر ابن عذارى في البيان وكان ذلك في شوال سنة 296هـ/جويلية 909م .[1] لقد طرق هذا الشاعر كل ألوان الشعر لكن ميله إلى الزهد والتامل في هموم الحياة كان الميزة الطاغية على شعره , له قصيد يرثي فيها ولده يقول فيها:

بكيت علــى الأحبّة إذ تولــوا ولو أني هلكت بك،وا عليــا.

فــيا نسلي بقاؤك كان ذخــرا و فقدك قد كوى الأكباد كيّا.

كفــى حزنا بأنّي منــك خلو وأنــّك ميت وبقيت حيّـــا.

ولــم أك آسيا فيئست لــما رميت الترب فوقك من يديا.

فليت الخلق إذ خلقوا أطاعــوا وليتك لم تكــن يابكر شــيا .

تســر بأشهر تمضــي سراعــا وتطــوى في لياليهــن طــيا .

فلا تفــرح بدنــيا ليس تبقــى ولا تأســف عليــها يا بنــيا

فقد قطــع البقــاء غروب شمس و مطلــعا عليــا يا أخــيا .

وليــس الهــم يجلــوه نهــار تدور لــه الفراقــد و الثريــا.[2]

وللزهد مساحة واسعة في شعره تمثّل في قصيدة يقول فيها :

زرنــا منازل قــوم لن يزورونا إنا لــفي غفلة عــما يقاسونا.

لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم حال الرحيل فما يرجو المقيمونا .

الموت اجحف بالدنيا فخربــها وفعلــنا فعل قــوم لا يمــوتونا .

فالآن فابكوا فقدحق البكاءلكم فالحاملون لعــرش الله باكونــا.

ماذا عسى تنفع الدنــيا بمجمعها لو كان جمع فيــها كنز قارونــا.[3]

وفي نفس الغرض الشعري يقول :

لقد جمعت نفسي فصدّت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقــها.

فيا أسفي من جنح ليــل يقــودها وضوء نــهار لايــزال يسوقــها .

إلــى مشهــد لابدّ من شــهوده ومن جزع للموت سوف أذوقها.

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق , ص 153.

(2) سليمان الباروني : المرجع السابق , ص92.

(3) المرجع نفسه , ص 94.

ستأكلـــها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنـــها طيبها وخلوقـــها.
سحاب المنـــايا كـــل يوم يظلـــه فقد هطلت حـــولي ولاح بروقها .
وللنفس حاجات تروح وتغتـــدي ولكن حدثان الزمـــان يعوقـــها .
تجهمت خمســا بعد سبعين حجة ودام غروب الشمس لي وشروقها .
وأيدي المنـــايا كـــل يـــوم وليلة إذا فتقت لايستطـــاع رتوقـــها
يصبح أقـــوام علـــى حين غفلة وياتيك في حين البيات طروقـــها .[1]

وفي موضع آخر يقول :

كيف البقاء وهذا الموت يطلبنا هيهات ,هيهات يا بكر بن حماد.
بينا ترى المرء في لهو وفي لعب حتى تراه علـــى نعش وأعـــواد.[2]

كما أنّه ولج أيضا باب المدح الذي يعدّ من أهم فنون الشعر حينما نظم قصيدة يرد فيها على دعبل الخزاعي الذي هجا الخليفة العباسي المعتصم هذه بعض أبياتها :

أ يهجو أمير المؤمنـــين ورهطنـــه ويمشي على الأرض العريضة دعبل.
أما والـــذي أرسى ثبـــيرا مكانـــه لقـــد كادت الدنـــيا لذلك تزلزل .
ولكـــن أمـــير المؤمـــنين بفضـــله يهـــم فيعـــفو أو يقـــول فيفعـــل .
وعاتبني فـــيه حبيـــب وقـــال لي لسانك محـــذور وسمـــك يقتـــل .
وإنّي وإن صرفت في الشعر منطقي لأنصـــف فيـــما قلت وأعـــدل .[3]

ومدح أيضا أحمد بن القاسم أمير كرت فاس بالمغرب قال فيه :

إن السماحة والمروءة والندى جمعوا لأحمد من بني القاســـم.
وإذا تفاخرت القبائل وانتمت فافخر بفضل محمد وبفاطـــم.
وبجعفر الطيارفي درج العلـــى وعلي العضب الحسام الصارم .
إنـــي مشـــتاق إليك وإنـــما يسمو العقاب إذا سما بقوادم.
وأعلم بأنـــك لن تنـــال محبة إلا ببعض ملابس ودراهـــم .[4]

(1) عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي ,المؤسسة الوطنيّة للكتاب , ط2 , 1985 ,ص84
(2) المالكي: المصدر السابق , ص25 , الدباغ: المصدر السابق , ص 284.
(3) يحي بوعزيز : المرجع السابق , ص122.
(4) ابن عذارى :المصدر السابق , ص 236.

عارض عمران بن حطان[1] الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله لعلي بن أبي طالب (ض)بقصيدة جاء فيها :

قل لابن ملجم والأقدار غالبـــة ... هدمت ويلك للإسلام أركانـــا.

قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول النـــاس إسلاما وإيمـــانا.

وأعلـــم النـــاس بالقرآن ثم بما ... سنّ الرسول لنـــا شرعا وتبيانا.

صهر النـــبي ومولاه وناصـــره ... أضحت مناقبـــه نـــورا وبرهانا .[2]

وله قصيدة في التأمل في حياة الناس في يسرها وعسرها وهي أشبه بالتأمل الفلسفي حيث يقول:

تبـــارك من ساس الأمور بعلمه ... وذلّ له أهـــل السماوات والأرض .

ومن قسم الأرزاق بين عبـــده ... وفضّل فيها بعض الناس على بعض .

فمن ظنّ أنّ الحرص فيها يزيده ... فقولوا له يزداد في الطّول والعرض .[3]

مايمكن أن يقال على شعر حماد بن بكر هو أنه يمتاز بالبساطة وقلّة الصّور البيانية و الألفاظ السهلة فهو شعر واضح غلب عليه طابع الزهد والسبب في ذلك ثقافته الدينية فقد تعلم على يد سحنون وعليه فإننا نلمس تأ ثره واقتباسه من معاني القرآن الكريم حين يقول :

ومن قســـم الأرزاق بين عباده ... وفضّل فيها بعض الناس على بعض.

وكأنّ الشاعر في هذا البيت يقتبس من الآية القرآنية ﴿ **والله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون**﴾. [4]

وهو بذلك يعكس بشعره أيضا الحالة التي كانت سائدة في عصره من حيث تأثرالعلوم العقلية من أدب وفلسفة بالعلوم النقلية.

إنّ التكوين الديني والأدبي الذي ميّز بكرا جعل منه موسوعة أدبية وفقهية,و انتقاله بين حواضر المغرب والأندلس لاسيما القيروان وتاهرت هي عوامل ساهمت في إبرازه شاعرا وفقيها أيضا مثل

---

(1) عمران بن حطّان السدوسي الشيباني المتوفّي سنة89هــ/707م , نشأ في البصرة وكان مناصرا للخوارج من خلال شعره , وقد اعتبره الصفرية في مابعد إمامهم , ينظر حنا الفاخوري : المرجع السابق , ص457, وكذلك Laoust Henri : op;cit , p 37

(2) محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1984 , ص34.

(3) رابح بونار : المرجع السابق , ص 130.

(4) "سورة النحل" الآية 71.

التواصل الفكري والثقافي بين تاهرت والقيروان وبقية المراكز الثقافيةفي المغرب الإسلامي, لذلك اعتبر من أشهر شعراء هذه الفترة ليس في تاهرت وحدها بل وصل صيته إلى الأندلس, إذ انتقل علمه وأدبه إليها عن طريق تلاميذته أو الأندلسيّين الذين سمعوا منه أثناء وجوده بالقيروان [1]

ومهما يكن من أمر فإنّ بكرا بن حمّاد جسّد بالفعل التفاعل الثقاقي والفكري من حيث التأثير والتأثّر في بيئة مغربية سادها التّنوع المذهبي فلا مناص من أن يكون هذا الشاعر من أشهر شعراء هذا العصر في بلاد المغرب . ونذكر أيضا من شعراء هذه الفترة سعيد بن واشكل التيهرتي عاش في القرن 3هـ /9م بتاهرت و انتقل في آخر حياته إلى تنس له قصيدة يقول فيها:

نأى النوم عنيّ واضمحلّت عرى الصبر وأصبحت عن دار الأحبّة في أسر.

وأصبحت مـــن تاهرت في دار معزل وأسلمني مرّ القضـــاء من القدر . [2]

ومن شعراء هذه الفترة أيضا أحمد بن فتح بن الخزاز التاهرتي الذي زارمدينة البصرة بفاس ففتن بجمال نسائها , فقال في إحدى نسائها شعرا جاء فيه :

قبـــّح الله الدّهـــر إلا قيـــنة بصرية فـــي حمـــرة وبيـــاض .

الخمر في لحظتـــها والورد في وجناتـــها والكشح غير نغاض.

في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفـــاف سني وسمت إبـــاض.

تيـــهرت أنت خلـــية وبرقـــة عوضت عنك ببصرة فاعتاض.

لاعذر للحمراء في كلفي بـــها أو تستفيض بأبحر وحياض. [3]

ب-النثر :

برز بشكل واضح في الخطب والوصايا التي تتضمّن الوعظ والرسائل الرسمية الديوانية التي تدل على تطور هذا اللون من الأدب ونستشف ذلك من نصوص للإمامين ؛ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وابنه أفلح .

ومن نماذج هذا النثر نذكر الرسالة التي أرسلها الامام عبد الوهاب إلى أهل نفوسة قائلا :

(بسم الله الرحمن الرحيم ,وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ,من أمير المؤمنين

(1) جودت عبد الكريم : المرجع السابق , ص 174.

(2) معروف بلحاج :المرجع السابق , ص 248.

(3) سليمان الباروني:المرجع السابق , ص 101.

عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بطرابلس .أما بعد,فإني آمركم بتقوى الله والاتباع لما آمركم به , والانتهاء عما نهاكم عنه, فقد بلغني ما كاتبتموني به من وفاة السمح , واستخلاف البعض خلفا ,ورد أهل الخير ذلك , فإن من ولى خلفا بغير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين ومن أبى من توليته فقد اصاب ,فاذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلاّخلف بن السمح فحتى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربّكم لعلّكم تفلحون).[1]

أمّا رسالة أفلح بن عبد الوهاب التي ينصح فيها الرعية بالتقوى والصلاح هذا بعض ماجاء فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم . من أفلح بن عبد الوهاب , إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين أمّا بعد , فالحمد لله الذي هدانا للإسلام , وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام وابقانا بعد تناسخ الأمم , حتى أخرجنا في الأمة المكرّمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيئها بالتبلّيغ ومصدّقة لجميع الأنبياء , وشاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء ...فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه , وتقرّبوا إلى الله بالقيم بطاعته ,وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به عباده من جزيل الثواب وكرم المآب ...) [2]

وهناك رسالة من أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن نصر يتوعّده فيها بعواقب صنيعة في شق عصا الطاعة وقد جاء فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم و صلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم ؛من أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن نصر , أمّا بعد : فالحمد لله المنعم علينا والمحسن إلينا الذي بنعمته تتم الصالحات ,ولا يهتدي مهتد إلاّ بعونه وتوفيقه فله المنّة علينا, ولامنّةلنا عليه , وهو المحسن إلينا إذهدانا لدينه , وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين , وأئمّتنا المهتدين , الذين في اتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى المهلكة ولن يهتدي من خالف العدل ولن ينجو من اتبع غير الحق لأنّ تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار ...).[3]

(1) وُرد اختلاف في بعض العبارات بين ابي زكريا يحي والدرجيني وهي (بتقوى الله), (الانتهاء عما نهاكم عنه) و (توبوا إلى ربّكم لعلّكم تفلحون) وردت عند أبي زكريا بالشكل التالي: (بتقوى الله العظيم) ,(الانتهاء كما نهاكم عنه) (وراجعوالتّوبة لعلّكم تفلحون) , ينظر أبي زكرياء : المصدر السابق , ص 80 , والدرجيني : المصدر السابق, ص 69.

(2) سليمان الباروني :المرجع السابق , ص 282,281.

(3) المرجع نفسه , ص 267.

هذه القطع النثرية على بساطة أسلوبها ووضوح عباراتها, تدل على عمق معانيها وبلاغتها والثقافة الدينية الواسعة للأئمة الرستميّين التي هي نموذج لما كان عليه النثر في هذا العصر , يماثلها في البلاغة رد والي نفوسة أبي منصور إلياس على العباس بن طولون حينما كان يحاصر طرابلس سنة267هـ/880م حيث قال:"قل لهذا الغلام إنك أقرب الكفار مني وأحقّهم بمجاهدتي ,فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلّف عن جهادك , وأنا على أثر رسالتي إليك". [1]

وللفقهاء أيضا بصمات في مجال النثر وستشفّ ذلك من خلال الوصايا المتضمّنة للنّصح والوعظ أمثال أبي يعقوب يوسف بن سيلوس السدراتي,كان شيخا عالما قال لابنه وهو يعظه ويرشده لعمل الخير :"لايكن ندبك الناس للخير أوكد من ندبك نفسك , ولا يكن غيرك أسبق إلى الخير منك , وكن للنّاس كالميزان وكالسّيل للأدران وكالسماء للماء ". [2]

ج-اللغة والنحو:

بدأ علم النحو في البصرة والكوفة في القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع قواعد اللغة العربية ويقال إنّه تلقّى أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب (ض)[3] والدوافع التي اقتضت الاهتمام بهذا الجانب هي أن كثيرا من الموالي الفرس كانوا يختلطون بالعرب فتعرضت العبارات العربية إلى اللّحن في النطق , وحتى لايتعرض القرآن الكريم للتّحريف كان لابدّ من تقويم اللّسان العربي بوضع قواعد تحفظ سلامة النطق .

احتضنت تاهرت أقواما عديدة وبذلك تعددّت فيها اللّغات إلاّ أن ّاللّغة العربية كانت هي اللّغة الرسمية للدّولة , لأنّ الرستميّين عملوا مافي وسعهم لنشرها في أوساط البربر. كما أنّ اللغة البربرية عاشت بل تعايشت مع اللّغة العربية فقد كان يستعملها الفقهاء في خطبهم لأنها كانت لغة العامّة.

ولّما كان فهم الدين الإسلامي والقرآن الكريم تحديدا يتطلب معرفة اللغة العربية لآداء العبادات وفهمها بشكل صحيح, فإنّ تعلم قواعد اللغة العربية كانت ضرورة لغوية فضلا على أنها ضرورة دينية ,ونستشف أهمية هذه العلاقة من قول أحد شيوخ الاباضية هو أبو عمران موسى بن زكرياء :" إن تعلّم حرف من العربية كتعلّم ثمانين مسألة من الفقه وتعلّم مسألة من الفقه كعبادة

---

(1) سليمان الباروني : المرجع السابق, ص 340.

(2) رابح بونار : المرجع السابق ,ص91.

(3) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق , ص 277.

ستين سنة ".[1] وتعلم اللغة العربية كان له أهمية كبيرة في المناظرات نظرا لما يتطلّبه الجدل من بيان وفصاحة ومعرفة بمفردات اللغة باختلاف معانيها ودلالاتها ,وهي أدوات لغوية ضرورية للمتناظرين في الفقه أو علم الكلام.

هذه العوامل دفعت الرستميين إلى الاهتمام بهذا المجال وهودليل على رغبتهم في ارساء اللّغة العربية وتثبيتها في أوساط البربر ,فقد أنتجت البيئة الرستمية لغويّين أشهرهم :

- يهود بن قريش التاهرتي :

كان لغويا بارزا فقد كان يتقن عدّة لغات : العربية و البزابرية و العبرانية و الفارسية والأرامية وهو ما مكّنه من البحث في هذه اللغات على أساس المقارنة اللغوية في النحو التنظيري .[2] وقد أثبت أن أصل العربية العبرية والبربرية واحد. [3] ترك كتابا نفيسا في هذا الباب يعد مرجعا مهما في علوم اللّغة. [4]

- الشيخ أبو سهل الفارسي النفوسي:

عاش في القرن 3هـ/9م كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري والعربي, فأما اللسان البربري فله فيه تآليف ضاعت في بعض الفتن وقد تولى الترجمة للإمامين أفلح بن عبد الوهاب وأبي حاتم يوسف.[5]

-أبوعبيدة الأعرج:

كان له المام كبير باللّغة والنحو إلى جانب الفقه وعلم الكلام وقد سبقت الإشارة إلى ذلك[6]

-أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي:

المتوفي 308هـ/920م كان بارعا بعلوم اللغة وله مؤلفات في اللغة وكتاب في العروض . [7]

---

(1) بحاز إبراهيم : المرجع السابق ,ص348 , ينظر جمعية التراث: المرجع السابق ج4 ,ص 897,896.

(2) رابح بونار : المرجع السابق , ص 91.

(3) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر ,ص 80.

(4) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 355.

(5) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 91. ينظر أيضا جمعية التراث: المرجع السابق ج 3 , ص452.

(6) ابن الصغير: المصدر السابق , ص 96.

(7) بحاز إبراهيم : المرجع نفسه , ص 353.

2- التاريخ:

نشطت حركة التدوين التاريخي في عهد الدولة الرستمية وكان في بداية الأمر يتعلّق بمعرفة الأنساب إذ نجد الكثير ممن كان له اطلاع كبير في هذا المجال.و أقدم مؤرخ رستمي هو لواب بن سلام بن عمرو سكن تاهرت سنة 240هـ/854م[1] هو صاحب كتاب " شرائع الدين " الذي ضمّنه سيرة الخلفاء الراشدين وأئمة الإباضية الأوائل في المغرب ومعركة صفين. [2] وقد تناول في كتابه تاريخ دخول الإسلام إلى جبل نفوسة ويذكر تاريخ الأئمة الرستميين وقد استقى معلوماته عن أبي صالح النفوسي الذي لقيه في توزر بتونس . [3]

وإذ نتحدث عن التاريخ فلابد من ذكر مؤرخ هذه الدولة وهو ابن الصغير الذي عايش المراحل الأخيرة من الدولة إذ عاصر فترة حكم أبي اليقضان بن أفلح (261-281هـ /874-894م)[4] وأبي حاتم ,وهو على أرجح الروايات ولد في تاهرت بين سنتي 265-270هـ [5] لم يشهد تاريخ نهاية الدولة الرستمية استقى أخباره من معارفه أمثال أحمد بن بشير الذي عاش في أواخر القرن 3هـ/4م[6] كانت أسرته مقرّبة الى الامام ابي اليقظان بن أفلح فكان ذلك دافعا قويا في اعتماد روايته الشفوية في تدوين أخبار الأئمة الرستميين انطلاقا من ثقته في رواياته لكون معلوماته مستقات من مصادر صنع القرار بالدولة الرستمية. [7]

يمتاز تدوينه التاريخي بالبساطة في عرض الحوادث التاريخية والموضوعية فقد أشاد بالأئمة الرستميين رغم اختلاف مذهبه . عمل في التجارة وفي نفس الوقت كان يتلقى الفقه وعلم اللغة من فقهاء تاهرت منهم أبو عبيد بن الأعرج , الأمر الذي مكّنه من أن يحصل على زاد معرفي كبير سواء في الفقه أو في العلوم الأخرى فكان قادرا على الولوج في العديد من المناظرات بكل ثقله المعرفي .

---

(1) إبراهيم بحاز : المرجع السابق , ص 368,367

(2) محمد بلقراد : لمرجع السابق , 119.

(3) وداد القاضي: المرجع السابق ,232.

(4) محمد بلقراد: المرجع نفسه ,ص 119.

(5) المرجع نفسه , ص 120.

(6) جمعية التراث : المرجع السابق , ص 83,82.

(7) جمعيّة التراث : المرجع نفسه ج2 ,ص 83.

وتشير معظم المصادر التاريخية أنّ ابن الصغير كان مالكيا في مذهبه [1] ولكن لم يمنعه ذلك من أن يكون لديه معرفة بالمذهب الإباضي.ألّف كتابه "أخبار الأئمة الرستميين " حيث سجل مختلف الأحداث التي وقعت في الدولة الرستمية منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حتى ولاية أبي حاتم يوسف بن محمد بن أبي اليقضان بن أفلح [2] , ورغم ذلك يبقى من أهم المصادر التاريخية التي تؤرّخ للدّولة الرستميّة ومن ثم لايمكن الإستغناء عنه من حيث أنه يرصد حياة الأئمة الرستميّين منذ نشأءة الدولة .

والتاريخ عند الدولة الرستميّة كان منصباّ في مجمله دراسة سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة الاباضية أي دراسة تاريخ المذهب الاباضي, وهذا الاهتمام ندركه في حرص أفلح بن عبد الوهاب على دراسة سيرة أئمة المذهب الأوائل في قوله :"عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لاسيما كتب أبي سفيان ",[3]وكان الإمام أبو بكر بن أفلح قد أولى اهتماما كبيرا بالتاريخ [4] وفي ذلك يقول عنه بن الصغير "...ويحب الآداب والأشعار و أخبار الماضين ".[5]

3-علم الكلام:

يعرّفه ابن خلدون بقوله :"هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة" [6] فهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة والإقناع , أي الغوص في مسائل فلسفية بحتة.

وكانت أهم مسألة بحثها علم الكلام هي خلق القرآن , ونستشف رواج هذا العلم في تاهرت من خلال رسالة الإمام محمد بن أفلح في مسألة خلق القرآن بقوله :" اجتمعت الأمة على أنّ القرآن

(1) وداد القاضي : المرجع السابق , ص 233.

(2) المرجع نفسه , ص 234.

(3) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 296 , أبو سفيان هو قنبر البصري المعروف بأبي سفيان تتلمذ على يد جابر بن زيد وقد عاصر عمر بن عبد العزيز , ينظر جمعية التراث: المرجع السابق , ص 728,728.

(4) بحاز إبراهيم : المرجع نفسه , ص 296.

(5) ابن الصغير : المصدر السابق , ص 71.

(6) ابن خلدون : المقدمة , ص 440.

كلام الله ولا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئا أو ليس بشيئ يختلف فيه المخالفون وينازع فيه ولو صحّ أنّه ليس بشيئ لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيئ". [1]

هذه المسألة أثارت جدلا وجدالا في هذا العهد مما يجعلها موضوعا لمختلف المناظرات الفقهية والكلامية من الجوانب الرئيسية التي تعرض لها علم الكلام مسألة خلق القرآن التي قال بها حتى الأئمّة الرستميين ,فالإمام أبو اليقضان كان يقول :" إذا قلنا أن نعترف أن القرآن هو الله لزم حينئذ أن نعترف له بنفس صفات الأبدية والقدرة والخلق ...وبالتالي يجب أن يعبد وذلك مستحيل .. إذا قلنا أنّ القرآن هوجزء من الله يصير الله تعالى حينئذ ممكن الانقسام إلى أجزاء وذلك مستحيل إذن القرآن ليس هو عين الله أوجزء من الله بل هو منفصل عنه فليس أمامنا حينئذ إلاّ حالتان إما أن يكون قديما فهو إذا سرمدي مثل الله . وإما أن يكون مخلوقا , فإذا استحال أن يكون سرمديا من غير أن يكون جزءا من الخالق فلا يكون إلا حقيقة غير الله ويكون الله هو الذي خلقها" .[2]

أشهرعلماء الكلام في العهد الرستمي هو مهدي النفوسي الوغيوي المتوفي سنة 196هـ/811م[3] عاش في عهد الإمام عبد الوهاب وهو من جبل نفوسة [4].كان متمكنا في الإستدلال والبرهان[5] لذلك عرف ببراعته في فن المناظرة , الأمر الذي جعل الإمام عبد الوهاب يستعين به في مناظرة المعتزلة كتلك التي جمعته مع أحدهم حيث تحوّلت بعد انتصار مهدي النفّوسي الى مبارزة أفضت إلى مقتل المعتزلي[6] ,قال عنه الدرجيني : " هو المقوم في علم الجدال ,الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال وهو المحتج على إمكان الممكن واستحالة المحال , وعلى الفرق بين الحرام والحلال ...الرادع لقيام أهل البدع والضلال ."[7] ويشير الدرجيني كذلك إلى أنّ مهدي استطاع أن يقنع سبعين عالما ممن سمّاهم بأهل الخلاف إلى مذهب الاباضية [8]

---

(1) صالح باجية : المرجع السابق , ص 215.
(2) محمد بلقراد : المرجع السابق , ص 112.
(3) جمعية التراث : المرجع السابق , ص892.
(4) المرجع نفسه ,ص 113.
(5) يحي بوعزيز : المرجع السابق , ص 119.
(6) محمد بلقراد : المرجع نفسه , ص 114, ينظر , الدرجيني : المصدر السابق ,ص57إلى 63.
(7) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 336.
(8) الدرجيني : المصدر نفسه , ص 60.

متكلّم آخر برع في المناظرات الكلامية هو عبد الله بن اللمطي الهواري عاش في أواخر القرن3هـ/9م [1] من علماء تاهرت كان معاصرا للامام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م) اشتهر في الجدل والمناظرةوالتأليف له باع كبير في علم الكلام وكان يناظر المعتزلة الواصلية ونظرا لمكانته في الجدل ورسوخ قدمه في الحجة والبرهان اختاره الامام يعقوب بن افلح للتحكيم في الفتنة التي جرت بينه وبين ابن أخيه أبي حاتم يوسف. [2]

ونذكر أيضا محمودا بن بكر[3] الذي عاصر هو الآخر أبا اليقظان محمدا بن أفلح تميز بشدة استماتته في الدفاع عن المذهب بالتصدي للفرق والرد عليهم في مقالته وكتبه ومن المتكلمين أيضا عبد الله بن

يزيد الفزاري عاش في القرن 3هـ/9م له كتاب في علم الكلام عنوانه " الردّ على الروافض". [4]

كانت المناظرات تتم في جو يسوده الملاطفة, إلاّ حينما كانت تتم مع المعتزلة الواصليّة في أمور عقدية. وهؤلاء عظم نفوذهم في تاهرت وما جاورها من مناطق وكان يستعان في مناظرتهم بفطاحل الفقه وعلم الكلام من النفوسيّين وكانت المسائل المحورية في هذه الناظرات تدور حول خلق القرآن و التأويل المجازي مثل الميزان من الصراط والاستواء على العرش. [5]

وكان ممن يتواجدون في تاهرت عدد من اليهود الذين عرفوا باشتغالهم بعلم الكلام إذ كانت لهم علاقة بالأوساط العبرية البابلية. [6]

4-العلوم التطبيقية :

الحقيقة التي يجمع عليها المؤرخون ونستقيها من المصادر أنّ عناية الرّستميّين كانت شاملة لكل العلوم بما فيها العلوم التطبيقية منها ومايشير إلى هذه العناية أمثلة عديدةأهمها:

-ارسال الإمام عبد الوهاب ألف دينار إلى البصرة لاقتناء الكتب وقد أرسلت إليه في شكل كتب منسوخة على أربعين حملا مما يدل على أن الكتب كانت لعلوم متنوعة .

---

(1) جودت عبد الكريم : المرجع السابق , ص 55 , ينظر ابن الصغير , المصدر السابق , ص 94,93.

(2) سليمان الباروني :المرجع السابق , ص 362 , ينظر ابن الصغير , المصدر نفسه , ص 113.

(3) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق ,ص 236.

(4) جمعية التراث : المرجع السابق , ص589.

(5) صالح باجية : المرجع السابق , ص 50.

(6) محمد بلقراد : المرجع السابق , ص 121.

-مكتبة المعصومة بتاهرت كانت عامرة بالكتب مايربو عن ثلاثمائة ألف كتاب وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ,و تدلّ ضخامة هذا العدد على أنّ المعصومة بالاضافة إلى محتوياتها من كتب في العلوم الشرعية والأدبية احتوت كتبا في العلوم التطبيقية .

-حرق هذه المكتبةمن قبل الفاطميّين الذين استولوا على كتب في الطب والفلك والهندسة والرياضيات بعد سقوط تاهرت سنة296هـ /909م "[1] ووجدت مكتبة أخرى في جبل نفوسة عرفت بخزانة نفوسة كانت عامرة أيضا بمختلف أنواع الكتب[2] وقد تحدّثت المصادر عن كتب الطب .

أ-الطب :

إنّ المصادر والمراجع التاريخية لا تعطينا إلاّ معلومات قليلة جدا عن الطب والأطبّاء في الدّولة الرّستميّة إلاّما يمكن استنتاجه من بعضها ولمّا كانت هذه المهنة ضرورية في أي مجتمع فلاشك أنّ الرّستميّين اهتموا بهذا العلم ادراكا منهم بأهميته ولماعرف عنهم من تشجيع لكل العلوم ونقلها إلى بلادهم .

يقول ابن خلدون في هذا السياق:"هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحّة للأصحّاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة ".[3]

لقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن أكثر من مارس الطب هم اليهود والنصارى لاسيما اليهود منهم الذين كانت مهنتهم الأساسية هي التجارة والطب, علما بأنّ عددا من النصارى واليهود استوطنوا تاهرت وكان لهم فيها دور عبادة حيث أقام النصارى كنيسة لهم في تاهرت[4] .

هذه المؤشرات تدلّ على وجود أطباء من الجالية المذكورة أومن الرّستميّين أنفسهم الذين يكونون قد تعلّموا هذه المهنة منهم إذ يذكر أنّ أحد أحفاد عبد الرحمن بن رستم وهو محمد بن سعيد[5] قد زاول مهنة الطب لكنّه كان مقيما في الأندلس .

(1) عثمان سعدي : المرجع السابق , ص 86.

(2) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق , ص 237.

(3) ابن خلدون : المقدّمة , ص 395.

(4) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , 373.

(5) بحاز إبراهيم : المرجع السابق , ص 374.

ب- الحساب

كان علم الحساب من العلوم التي كان لها شأن كبير في الدّولة الرّستميّة, فالإمام أفلح بن عبد الوهاب وأخته كان لهما معرفة واسعة بالحساب والفلك و الاهتمام بها مرتبط بعدّة عوامل أهمها:

- النشاط التجاري الذي تميّز بربط علاقات تجارية مع الدّول المجاورة وحتى البعيدة عنها فرض عملية العد وماتتطلبه من أرقام في المعاملات التجاريّة .

-علاقة الحساب أو العد بالفروض الدينية خاصة ما تعلّق منها بالمواريث وفي ذلك يقول بن خلدون :"وهي صناعة حسابيّة في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعدّدت, وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كلّه ".[1]

-عملية تنظيم بيت المال من حيث حساب نفقات الدولة على القائمين بأمورها من قضاة وأصحاب الشرطة وغيرهم وكذلك الحاجة إلى احصاء الفقراء والمساكين وتحديد متطلباتهم من الطعام والصدقات .[2]

هذا العلم سميّ حساب الغبار نسبة إلى الأرقام الغباريّة وسمّيت كذلك لأنّ الناس في الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا ويبسطونه على لوح من خشب أوغيره ويرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياتهم الحسابيّة وهي الأرقام المستعملة في المغرب العربي اليوم.[3]

ج- علم الفلك (التنجيم):

يعرف عند علماء المسلمين بعلم الهيئة ,حيث يعرّفه بن خلدون بقوله :"وهوعلم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحرّكة والمتحيّرة ويستدلّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ".[4]

إنّ اهتمام الرّستميّين بالفلك كان بنفس مستوى الاهتمام بالحساب لارتباط أحدهما بالآخر وللاهتمام بهذا العلم عوامل هي:

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق , ص 481.

(2) ابن الصغير : المصدر السابق , ص 42,41.

(3) بحاز إبراهيم : المرجع نفسه , ص 374.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق , 484.

-العلاقات التجاريّة مرتبطة بالمسالك والطرق ورصد مواقع النجوم يسهّل عملية الإهتداء إلى الطرق خاصة لتلك القوافل التي تسير ليلا . قال الله تعالى :(وعلامات وبالنّجم هم يهتدون) . [1]

- الفروض الدّينية المتعلّقة برؤية القمرمصداقا لقوله تعالى:﴿**هو الذّي جعل الشّمس ضياء والقمر** نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصّل الأيات لقوم **يعلمون**﴾. [2]

وفي هذا قال أحد الرّستميّين :"معاذ الله أن تكون عندنا أمة لاتعرف مترلة القمر."[3]

وعلاوة على ذلك فإن أهمية علم الفلك من رصد لحركة القمر والنجوم والكواكب هوتدبر وتأمل في خلق الله وفي ذلك عبادة.

---

(1) "سورة النحل" الآية 16.

(2)"سورة يونس" الآية 5.

(3) الدرجيني : المصدر السابق ,ص 56.

الفصل الرابع:

الإنتاج الفكري عند الأغالبة

أولا - العلوم النقلية

ثانيا - العلوم العقلية :

أولا -العلوم النقلية :

لقد ورث الأغالبة رصيدا كبيرا من العلوم الدينية التي جاءت نتيجة لجهود علماء وفقهاء وأدباء بثوا علومهم في القيروان منذ الفتح الإسلامي إلى غاية تأسيس الدولة الأغلبية,كما أنهم عملوا على تنشئة جيل من العلماء من أهل البلد ,فكانت نتيجة هذه الجهود المتواصلة ازدهار العلوم النقلية على النحوالتالي :

1-الفقه :

لقد كان الصحابة والتّابعون يستنبطون الأحكام مباشرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى أن أثمرت اجتهادات العلماء منذ القرن الثاني الهجري أراء فقهية ,فتأسّست بذلك المذاهب أو المدارس الفقهية السنية, فصار كل يتبع مذهبا معينا,وأول المذاهب هومذهب أبي حنيفة ثم مذهب مالك ومذهب احمد بن حنبل ومذهب الشافعي و يعد مذهب أبي حنيفة أول المذاهب السنية التي وفدت إلى المغرب ,ثم كان اعتناق المغاربة لمذهب مالك الذي أصبح أكثر رسوخا في هذه الديار فكان من الطبيعي أن تحتضن الدولة الأغلبية هذه المذاهب .

اعتمد المغاربة في البداية على المؤلفات الفقهيّة المشرقيّة , ثم استقلّوا بإنتاجهم الفقهي ويظهر ذلك من خلال التآليف والمصنّفات المغربية, وبلاشك فإنّ تزاحم المذاهب وتنافس فقهائها كان عاملا مهمّا في إثراء الإنتاج الفقهي.

لقد أضحت القيروان مركزا ثقافيا يعج بمختلف الأفكار المذهبية ففتحت حلقات الدرس في مساجدها للسنة والإباضية والمعتزلة وتعددت المذاهب السنية من مالكية وحنفيةوحتى أوزاعية وشافعية حسب ماذكره موسى لقبال [1],فقد سمح الأغالبة بتواجد مذاهب مختلفة في القيروان منها المذهب الاباضي فكانت تعقد حلقات المناظرة لاسيما بين فقهاء الإباضية والحنفية الى أن جاء سحنون ففرّق هذه الحلقات. [2]

أبرز مظاهر تطوّر العلوم الدينية وخاصة الفقه هو أنّ إفريقية وبلاد المغرب بشكل عام أصبح لديها استقلالية في هذا المجال ونعني بذلك ظهور كتب وتصانيف في العلوم الشرعيّة من تأليف

(1) موسى لقبال: المغرب الإسلامي , ص 134.

(2) جودت عبد الكريم : المرجع السابق , ص 9

المغاربة أنفسهم و تعدّ المدوّنة الكبرى للفقيه سحنون من أهم تلك المؤلّفات , إلى جانب تفسير ابنه محمد . ومن الفقهاء الأوائل الذين أسهموا في تنشيط الحركة الفقهية ,ووضعوا قاعدة فقهية مستقلة في إفريقية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

-أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي:

من أئمة العلم بإفريقية رحل إلى المشرق فلقي مالكا وأبا حنيفة وسفيان الثوري [1] أراد روح بن حاتم والي إفريقية (171-174هـ/787-791م) أن يولّيه القضاء فأبى. كان يراسل مالكا في شأن المسائل التي استحدثها المعتزلة والخوارج فيرد عليه بضرورة مقارعتهم بسعة العلم وقوة الحجة توفي سنة176هـ ودفن بالمقطم في مصر.[2] قال ابن فروخ : قلت يوما لأبي حنيفة :" ما منعك أن تولّي القضاء .؟ فقال لي :"يا ابن فروخ القضاء ثلاثة :رجل يحسن العوم أخذ البحر طولا فما عسى أن يعوم يوشك أن يكلّ فيغرق ,ورجل لا بأس بعومه فعام يسيرا فغرق,ورجل لايحسن العوم فألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته فهذا منعني من الدخول في القضاء." [3]

-أبومحمد عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القيرواني:

ولّي القضاء في رجب من سنة 171هـ/787م في عهد روح بن حاتم عاصر الأغالبةوكانت له رحلة إلى المشرق وتوفّى في ربيع الأول من سنة 179هـ/795م [4]

-عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري:

ولد ببرقة سنة 74هـ/693م , وهو من المحدّثين كان يروي عن عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعن سفيان الثوري وتولّى قضاء القيروان لكنّ والي إفريقيّة يزيد بن حاتم(155-171هـ/772م-788م) عزله بسبب حكم أصدره في قضيّة و لم يرق للوالي [5] من أقواله :"لكل شيء آفة تستعبده وآفة العبادة الرياء , وآفة الحلم الذل, وآفة الحياء الغضب وآفة اللب الإعجاب

(1) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني :طبقات علماء إفريقية وتونس ,تقديم وتحقيق علي الشابي ,نعيم حسن اليافي , الدار التونسية للنشر ,1968,ص 107 .

(2) المصدر نفسه , ص 109.

(3) الرقيق القيرواني:المصدر السابق , ص 179.

(4) المالقي أبوالحسن بن عبد الله : تاريخ قضاة الأندلس , تحقيق لجنة احياء التراث العربي , دار الآفاق الجديدة , ط5 , بيروت , لبنان , 1983 ص 26,25.

(5) أبو العرب : المصدرنفسه , ص 99.

وآفة الظّرف الصلف وآفة العلم النسيان , وآفة الجود السرف"[1] , وتوفّى سنة 161هـ /778م و يقال إنّ سبب وفاته هو أنّه أكل حيتانا ثم شرب لبنا على مائدة الوالي يزيد بن حاتم.[2]

- البهلول بن راشد أبو عمر القيرواني :

ولد سنة 128هـ/745م وتوفّى سنة 183م/799م[3] تلقى العلم والفقه عن الإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وفقيه مصر الليث بن سعد عرف بورعه واجتهاده. وأعجب مالك بعلمه وقدرته على استنباط الأحكام فقد نظر إليه يوما وقال"هذا عابد بلده". [4]

- علي بن زياد أبو الحسن العبسي:

إمام إفريقية في الفقه تلقّى على يديه جملة من فقهاء المغرب منهم الفقيه سحنون وأسد بن الفرات والبهلول بن راشد وكان الفقهاء إذا اختلفوا في مسألة استصوبوها عنده وهو أول من أدخل الموطأ* وجامع سفيان إلى المغرب . [5]

هذه ثلة من العلماء تتلمذ على أيديهم الكثير من فقهاء وعلماء المغرب في هذه المرحلة ,عملوا على نشر المذهب المالكي في إفريقية التي كانت قاعدة لانطلاق هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي في العصور التاليةومن هؤلاء نذكر :

- أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس:

سمع من مالك وعبد الرحمن بن أنعم وعبد الله بن فروخ كان فصيح اللسان ولّي القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة 191هـ/807م[6] على كره منه إذ قال للأمير ابراهيم بن الأغلب عندما أراد توليته هذا المنصب:" لست أصلح لهذا ولا أطيقه" , فردّ عليه إبراهيم بن الأغلب :"لوكان الأغلب ابن سالم ويزيد بن حاتم باقيين لم أكن أميرا ,ولو كان عبد الله بن غانم و ابن فروخ باقيين لم تكن أنت قاضيا ولكلّ زمان رجال و على الأمير الاختيار".[7] وكان يميل إلى التروّي في إصدار

---

(1) الرقيق القيرواني : المصدر نفسه , 116.

(2) أبو العرب : المصدر نفسه , ص 99.

(3) قاسم علي سعد :تراجم جمهرة الفقهاء المالكيّة , ج1 , دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث , ط1 , 2002 , ص 357.

(4) المرجع نفسه , ص 357.

* الموطأ يعني الممهّد الميسر أوالمعبد وهوكتاب جمع فيه مالك الفقه والحديث , ينظر مصطفى محمد الشكعة ,المرجع السابق , ص 124.

(5) قاسم علي سعد : المرجع نفسه ج2 , ص 851.

(6) الدباغ :المصدر السابق , ص 29.

(7) محمد بن محمد خلف : المصدر السابق , ص 119.

أحكامه وكان الغالب على أبي محرز مذهب أبي حنيفة توفّى سنة 214هـ/829م[1]

-أسد بن الفرات بن سنان:

من أهل نيسابور ولد بحران سنة 142هـ/759م[2] يكنّى بأبي عبد الله قدم أبيه ضمن جيش محمد بن الأشعث الخزاعي سنة 144هـ/761م حيث كان يبلغ من العمر أنذاك سنتين.[3] أخذ الفقه من علي بن زياد .وقد ارتحل إلى الحجاز سنة 172هـ/788م[4] وسمع من مالك ثم ذهب إلى العراق فسمع من محمد بن الحسن الشيباني و أبي يوسف[5] وهما من أكبر وأفقه تلاميذة الإمام أبي حنيفة الأمر الذي يمكنه من التأثر بالمذهب الحنفي ثم انتقل إلى مصر حيث صاحب جماعة من أعلام فقه مالك أمثال عبد الرحمن بن القاسم .و ألّف كتابه "الأسدية " [6]وهي جملة من المسائل التي عرضها على الفقهاء وعرضت عليه في رحلاته وقد ولّي القضاء سنة 204هـ/819م [7]توفّى في حصار سرقوسطة أثناء فتح صقيلية سنة 213هـ/828م كما ذكر سابقا .

-أبو سعيد سحنون[8] بن سعيد بن حبيب التنوخي :

أصله من حمص ولد سنة 160هـ /777م عرف واشتهر باسم عبد السلام و سمّي سحنون لحدة نظره في المسائل الفقهية[9] . تلقّى العلم والفقه في إفريقية على كثير من الفقهاء منهم البهلول بن راشد التميمي المتوفي سنة 183هـ/799 م[10] الذي كان من أعلم فقهاء القيروان وعلي بن زياد المتوفي سنة183هـ/799م وكذلك عبد الله بن غانم ومعاوية الصمادحي والعباس بن أشرس .[11]رحل إلى المشرق سنة 188هـ/804م حيث سمع في مصر من أئمّة الفقه المالكي من

(1) المصدر نفسه ,ص 38.

(2) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ,ص81,80.

(3) محمد عبد الله عنان : تراجم إسلاميّة شرقية وغربية مكتبة الخانجي ,ط2 , القاهرة ,1972 , ص 154.

(4) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع نفسه , ص 82.

(5) محمد بن الحسن الشيباني من تلاميذ الإمام أبي حنيفة ولد بمدينة واسط بالعراق سنة 131هـ/748م نشأ بالكوفة وتلقّى العلم بها وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم من أشهر تلاميذة أبي حنيفة ويقال إنّه كان كثير الجدال في حلقات الإمام أبي حنيفة وقد عاصر الخليفة هارون الرشيد , ينظر مصطفى محمد الشكعة : المرجع السابق , ص 214,205., 223,219 .

(6) أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقيلية وجنوب إيطاليا , المؤسسة الوطنية للكتاب ط2, الجزائر , 1985, ص 59.

(7) المرجع نفسه ,ص 60

(8) تذكر كلمة سحنون في بعض المراجع بضم حرف السين , ينظر أحمد أمين : ظهر الإسلام ج1 , ص 299,298.

(9) الدباغ : المصدر السابق ,ص 77.

(10) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق , ص86.

(11) الدباغ : المصدر نفسه , ص 78.

أمثال عبد الرحمن بن القاسم وابن وهب , وتلقّى كثيرا من العلم في المدينة على أيدي فقهاء من أمثال أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيزبن الماجشون القرشي المتوفي سنة 212هـ /827م.(1)

هذه الرّحلة العلمية مكّنته من أن ينهل من فقه مالك لابل ويتفوّق فيه حتى قيل عنه بأنه فاق في براعته الفقهية أصحاب مالك أنفسهم فكان أفقه منهم في مذهب مالك ,ثم عاد إلى القيروان سنة 191هـ/807م(2) وقد عاصر مالكا لكنه لم يلتق به.(3) وقد تميّز بغزارة فقهه و التقوى والحزم في الحق ,فلم يكن يخاف في الحق لومة لائم, وقد قال عنه البهلول بن راشد :"إن سحنون بن سعيد ممن يطلب العلم لله عزّ وجل". (4)

ولّما أراد محمد بن الأغلب تولية الفقيه سحنون القضاء جمع الفقهاء للمشورة فأشار عليه سحنون بسليمان بن عمران فرفض المنصب تقديرا له قائلا :" ماضننت أنه يشاورني في سحنون, وحججت فرأيت أهل مصر يتمنّون أن يكون بين أظهرهم ,وما يستحق أحد القضاء وسحنون حي ."(5) قبل ولاية القضاء سنة 234هـ/ 848م بعد إلحاح شديد من أبي العباس محمد ابن الأغلب و اشترط عليه أن يكون حرّا في أحكامه و أن يبدأ بأهل بيته وخاصته, ويوم ولّي القضاء دخل على بنته فقال لها:"اليوم ذبح أبوك بغير سكين"(6) وهو مايعني أنّ قبوله لهذا المنصب لم يكن بالأمر السّهل,فكثيرمن الفقهاء كانوا يرفضونه, لأنهم يعتبرونه سيف الحق مسلّط على رقابهم متى أخطأوا في تطبيق الأحكام. ومن أقواله في الفتوى :"أجرء الناس على الفتيا أقلّهم علما, يكون عند الرجل باب واحد من العلم يظن أنّ العلم كله فيه"(7).ولذلك فقد كان يتحرّى في فتاويه قبل أن يصدر أي رأي أو حكم شرعي في مسألة ما, وفي ذلك اقتداء بالإمام مالك. ومن أقواله في العلم:" مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض الخصبة ,يزرع صاحبها زرعا

---

(1) محمدبن محمد مخلوف : المصدر السابق , ص 56, ينظر الدباغ: المصدر السابق , ص ص78.

(2) الدباغ : المصدر نفسه ,ص 78.

(3) ذكر بنه محمد أنّ رحلة قام بها 177ه أي قبل وفاة مالك ولنه توقف في مصر و لم يكمل رحلته بسبب نقص المال , ينظر الدباغ :المصدر نفسه ,ص 79.

(4) االدباغ: المصدر نفسه , ص 80.

(5) المصدر نفسه ص 86.

(6) المالقي أبو الحسن بن عبد الله : المصدر السابق , ص28 , وينظر أيضا الدباغ : المصدر نفسه , ص 86.

(7) الدباغ : المصدر نفسه , ص96.

فينتفع به ,ومثل العلم الكثير في الرّجل الغيرصالح مثل العين الخرّارة في الأرض السّبخة تهدر الليل والنهار ولاينتفع بها". [1] يعدّ أول من نظم الحسبة,ثم إنّه كان شديدا على من يخوض في الجدل ففرّق حلقات المعتزلة والإباضية والصفرية من جامع القيروان.[2]

ومن أشهر مؤلفات سحنون "المدوّنة الكبرى "[3] والمدوّنة في الأصل هي أسدية ابن الفرات ذلك أنّ سحنون لم يقتنع ببعض المسائل التي تضمنتها ذلك أنّه رأى فيها اختلافات عن ما سمعه من الفقيه علي بن زياد فانتقل بها إلى عبد الرحمن بن القاسم في مصر حيث راجعها معه فهذّبها وكاتب ابن القاسم أسد بن الفرات بأن يراجع كتبه وفقا لكتب سحنون فأعرض عن ذلك, [4] وبذلك يكون هذا المنتوج الفقهي الكبير خلاصة لجهود أربعة فقهاء هم : عبد الرحمن بن القاسم في مصر وعلي بن زياد في تونس وأسد بن الفرات وسحنون في القيروان هذا الأخير الذي رسّخ المذهب المالكي في إفريقيّة ولانكون مغالين إذا قلنا بأنّ انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي كان نتيجة جهوده في اثراء الفقه المالكي وفي الدّفاع عنه , ومن كتبه أيضا "مختصر المناسك ".[5] توفي سحنون في رجب من سنة 240هـ /854م وصلّى عليه الأمير محمد بن الأغلب, [6]وقد عمّ يوم وفاته الحزن أرجاء القيروان كما حضر جمع من أهل الأندلس . لقبّ بسراج القيروان لعدله وعلمه .[7]

-أبوعبد الله محمد بن سحنون التنوخي:

ولد سنة 202هـ/817م تلقى العلم والفقه على يد والده سحنون وعلى كثير من أهل العلم أمثال عبد العزيز بن يحي المدني,وموسى بن معاوية الصمادحي رحل إلى المشرق سنة 235هـ/848م,[8] فكان صورة من أبيه في النبوغ والتفقه في الدين و ألّف كتبا كثيرة منها المسند في الحديث و الجامع في الفقه,وأدب المعلمين وآداب المتناظرين والحجّة على القدرية[9] .

---

(1) أبو العرب: المصدر السابق , ص 186.
(2) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ,ص93
(3) مصطفى محمد الشكعة : المرجع السابق ,,ص 150.
(4) ابن خلدون : المقدمة ,ص 432.
(5) قاسم علي سعد: المرجع السابق ج1, ص 504.
(6) المرجع نفسه ,ص 506.
(7) حسن حسني : المرجع السابق ,ص 86,86.
(8) الدباغ : المصدر السابق , ص122
(9) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع نفسه , ص108

توفّى سنة 256هـ / 769-870م. [1] قاوم فكرة المعتزلة في القول خلق القرآن .حدثت بينه وبين ابن عبدوس وغيره من الفقهاء والقضاة الحنفيين خصومات فكرية سببها هو موقفه من فكرة الإيمان حينما ردّ على أسئلة كان الأمير الأغلبي محمد قد سألها إيّاه فكان مختصر إجابته "أنا مؤمن عند الله "[2]فنسبوا هذا القول إلى المرجئة , واقمم بأنه على مذهبهم .

- **أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي:**

كان من الذين يشهد لهم في العلم وقد سمع من مالك بن أنس وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم كان سحنون يأخذ عنه بعض المسائل .

وله جرأة في قول الحق بالحجة والمناظرة فقد حدث ذات يوم أنه دخل على زيادة الله الاول وفي مجلسه النبيذ فسأله عن رايه فيه فقال:" أصلح الله الأمير كم ديّة العقل ؟" ,فقال الأمير :"وماذا مما نحن فيه ؟" ,قال جوابكم ينبئكم سؤالي " ,قال الأمير :" ديّة العقل ألف دينار " ,فردّ عليه:" أصلح الله الأمير يعمد الرجل إلى ما فيه ألف دينار فيبيعه بزجيجة تسوى نصف درهم ؟" فقال الأمير :" ياأبامحمد إنه يذهب ويعود " فقال أبو حسان :" بعد ماذا أصلحك الله ؟ بعد إن قاء ما في بطنه , وكشف سوءته ,وقتل هذا وضرب هذا ؟ " فرد عليه الأمير :"صدقت والله ,صدقت والله صدقت والله" [3] . كانت وفاته سنة226هـ/841م وقد بلغ من من العمر 87سنة. [4]

-محمد بن ابراهيم بن عبدوس :

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبدوس ولدسنة 202هـ /817م وتوفي سنة 261 هـ/874م له كتاب في الفقه سماه "المجموعة في فقه مالك وأصحابه"[5] جرى بينه وبين محمد بن سحنون منافسة وجدال علمي حتى انقسم أتباعهما الى فريقين سحنونيين وعبدوسيين . [6]

-أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي :

من الأغالبة تفقّه على يد سحنون رحل إلى مصر ثم رجع وتولّى قضاء القيروان بين سنتي257-

---

(1) الدباغ : المصدر السابق ,ص 134.

(2) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ,ص 109.

(3) الدباغ :المصدر نفسه ,ص, 61 ,62 , ابن عذارى ,المصدر السابق , ص108.

(4) الداغ :المصدرنفسه , ص 62.

(5) رابح بونار : المرجع السابق , ص 81.

(6) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق , ص 109.

267 هـ/871-880م. [1] له كتاب "الرّد على من خالف مالكا ".[2] كان حريصا على مناظرة المخالفين أعاب على إبراهيم بن الأغلب فسوقه واستطالته على الناس فسجن حتى مات وقيل سمم وكان ذلك سنة 275هـ/888م [3]

-أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الاندلسي القيرواني :

فقيه بارز له مجموعة من المؤلّفات منها كتاب "الصراط" وكتاب "الميزان" وكتاب "النظر إلى الله" وكتاب ردّ فيه على الشافعي كتاب "اختصار المستخرجة " المسمى المنتخبة وله أيضا كتاب "اختلاف بن القاسم وأشهب "[4] توفّى بسوسة سنة 289هـ/901م وعمره 76سنة حسب ما يذكره الدباغ [5] اتهم بالإرجاء فانكر التهمة عنه وكان يقول ببدعتها .[6]

-أبوعثمان سعيد بن محمد الغساني (إبن الحداد):

ولد سنة 219هـ/834م وتوفّى سنة 302 هـ/914م [7] سمع من سحنون لكن كان يخالفه في أمور مما أوقع الخصومة بينه وبين أصحاب سحنون لأنه مال إلى مذهب الشافعي . [8] عرف بالجدل والمناظرة وقوة الحجّة , له مناظرات مع المبتدعين حتّى مثّله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنته ولماّ دخل العبيديون القيروان واضطهدوا أهل السنة من الفقهاء طلب منه التّقية فرفض قائلا :"قد أربيت على التسعين وما لي في العيش من حاجة ,وقتيل الخوارج[9] خير قتيل ولابدّ لي من المناظرة والمناضلة عن الدين".[10]

ناظر عبد الله بن عمر المروزي في قيام رمضان الذي قال له :"ألستم تعلمون وتروون أنّ النّبي (ص) لم يقم إلاليلة ثم قطع ,وأن عمر بن الخطاب هو الذي استن القيام وقد جاء في الحديث الذي تروونه (أنّ كل محدثة بدعة , وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) فقال ابن الحداد هذه البدع

---

(1) رابح بونار : المرجع السابق , ص 81.
(2) المرجع نفسه ,ص 82 ,ينظر الدباغ :المصدر السابق , ص 162.
(3) الدباغ : المصدر السابق , ص 173.
(4) المصدر نفسه , ص 243.
(5) المصدر نفسه , ص 244.
(6) رابح بونار : المرجع نفسه , ص67.
(7) الدباغ : المصدر نفسه , ص 315.
(8) المصدر نفسه ص 295.
(9) يعني الصحابي الجليل عبد الله بن خباب الذي قتله الخوارج رفقة زوجته ينظر ابن الأثير : المصدر السابق ج 3 , ص 172.
(10) الدباغ : المصدر نفسه , ص 298.

من البدع التي يرضاها الله عزّ وجل ويذمّ من تركها , فقال المروزي "وأين تجد في كتاب الله عز وجل؟ ,قال : "في قوله (ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) فقال المروزي :"من صلى القيام ضربت عنقه " .[1]

-أحمد بن أحمد بن زياد أبو جعفر الفارسي(المتوفّى سنة 319هـ/931م): [2]

وهو فقيه شاعر صحب ابن عباس وابن سلام قال عنه أبو العرب كان عالما بالوثائق له كتاب في أحكام القرآن في عشرة أجزاء وله كتاب في مواقيت الصلاة وكان قد أخذ بناصية الأدب لغة وشعرا .

هؤلاء الفقهاء شكّلوا قوة سياسية[3] وكانوا كثيرا ما ينتقدون سياسة الأمراء الأغالبة خاصة في ما تعلّق بالمال وترتّب عن ذلك مضايقات عديدة.

عرفت الدّولة الأغلبية عددا من الفقهاء الحنفيين وهذا أمر طبيعي باعتبار أنّ الأمراء الأغالبة كانوا على مذهب أبي حنيفة , وقد تولّى العديد منهم القضاء في القيروان .منهم من كان على علاقة طيبة مع الفقهاء المالكية ,وبعضهم قاموا بتجاوزات في حق الفقهاء المالكيين الذين كرهوا منهم الأخذ بقول المعتزلة في خلق القرآن , مما أنتج خصومات فقهية تطوّرت في بعض الأحيان إلى مضايقات حقيقة لأنّ الخلاف في الرأي أو الأحكام كان يتحوّل إلى صراع مذهبي . ومن أشهر فقهاء المذهب الحنفي في هذا العهد أشهرهم :

- أبو العباس بن عبدون:

ولاّه الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني (261-289هـ/876-902م) القضاء في القيروان عرف بتعصّبه للمذهب الحنفي , لذلك لم يكن من الغريب أن تكون له خصومات مع فقهاء المالكية وصلت إلى حد الاضطهاد [4]أمثال ابن معتّب المتوفي سنة 277هـ/890-891م. [5]

---

(1) الدباغ : المصدر السابق ,ص 302,301,300.

(2) قاسم علي سعد: المصدر السابق ج1, ص 187.

(3) Abdallah laroui : op;cit ,p109 .

(4 رابح بونار : المرجع السابق , , ص 84.

(5) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 343,338,298.

- **أبو الربيع سليمان بن عمران :**

فقيه حنفي لا يقول بخلق القرآن ولد سنة183هـ/799م وتوفّى سنة 270هـ/883م[1] عرف عنه نفاذ البصيرة والكفاءة في القضاء حتى أنه كان يقول :" لو شئت أن أقضي بين الخصمين دون بيّنة لفعلت والله ما يقعد بين يدي الخصمان ويتناظران إلاّ وأعرف من له الحق منهما " [2] ولعلّ هذه الميزات التي دفعت بالفقيه سحنون إلى توليته قضاء باجة فلم يرض به أهلها بحجة أنه على مذهب أبي حنيفة, فقال لهم سحنون :"ماقدمته عليكم إلاّ وأنا أعلم أنّه يحكم بمذهبه ". [3]

2-الحديث :

في حقيقة الأمر لا يمكن فصل الحديث عن الفقه لما لهما من علاقة وطيدة ,ذلك أنّ الفقيه يستند في اصدار الفتوى على النصوص القرآنية والحديث .

احتضنت إفريقية منذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثّاني الهجري عددا كبيرا من الفقهاء كانوا رواة للحديث وقد سمعوا من كبار المحدّثين في المشرق بالشكل الذي سمح بتطور علم الحديث في عهد الدولة الأغلبية ,ومن أكبر المحدّثين في هذا العصر :

-علي بن زياد:

يقال بأنّه أول من أدخل موطأ مالك إلى إفريقية ,والموطأ هوكتاب جامع للحديث والفقه توخى فيه الصّحيح من حديث أهل الحجاز و مزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين[4] وهو أقدم مصنف في الحديث وقد جمع فيه ماصح من الحديث وتفسير وفقه وتاريخ أي السير [5] فلم يأخذ إلا عن الثقاة فاعتمد على عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس [6] لأنّه كان أكثر الناس تمسكا بماثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم -وقد قال في ذلك :"لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم ولايؤخذ من سفيه , ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة , ولامن كذاب يكذب في أحاديث

(1) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 84.
(2) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق , ص 71.
(3) الدباغ : المصدر السابق , ص 152.
(4) عمر سليمان الأشقر : تاريخ الفقه الإسلامي , قصر الكتاب , البليدة , الجزائر , 1990, ص 90.
(5) المرجع نفسه , ص 93.
(6) المرجع نفسه , ص 94.

الناس وإذا كان لايتّهم على حديث رسول الله (ص) , ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحمل ويحدّث به ."[1]

-القاضي بن فروخ :

كان من الفقهاء المحدّثين قال :"كنت يوما عند بن أبي جمعة فسقطت آجرة من أعلى داره على رأسي ,فأدمتني , فقال لي :اختر إن شئت أرش الجرح وإن شئت ثلاثمائة حديث ,قلت : الحديث فحدّثني ثلاثمائة حديث "[2]

-عبد الرحمن بن زياد بن أنعم :

المتوفّى 161 سنة هـ/816م يعدّ من كبار المحدثين في إفريقية .ذلك لأنّه لقي أبا حنيفة ومالكا ابن أنس وسفيان الثوري في أثناء رحلته إلى المشرق [3]وروى الحديث عن هؤلاء الأئمّة الفقهاء فكان من المحدّثين الثقاة .

واحتضنت القيروان ومدن أغلبية أخرى العديد من الفقهاء المحدّثين أمثال أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي الإمام الثقة الأمين الفقيه المحدّث توفّى سنة 220هـ/835م [4]وأبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي الإمام الثقة الأمين العالم بالحديث والفقه ,وقد سمع من أبيه توفّى سنة 225هـ/839م سمع من أبيه ووكيع بن الجراح والفضيل بن عياض [5] وعون بن يوسف الخزاعي الفقيه المحدّث اخذ عن بن وهب ولدسنة 150هـ /767م وتوفّى سنة 239هـ/853م[6] ومحمد بن سحنون ألّف كتاب " المسند في الحديث" [7] فكثرت المؤلفات والمصنفات التي تعنى بهذا الباب .

---

(1) مصطفى محمد الشكعة :المرجع السابق , ص 125.
(2) الرقيق القيرواني: المصدر السابق , ص179.
(3) أبو العرب المصدر السابق , ص 107.
(4) محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ,ص63.
(5) المرجع نفسه , ص 69 .
(6) المرجع نفسه ,ص 69 .
(7) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق , ص 108.

ثانيا-العلوم العقلية:

تزامن تأسيس الدولة الأغلبية مع العصر الذّهبي للدولة العباسية ,فكان من الطّبيعي أن تواكب الإزدهار والتطور العلمي الذي كان يحصل في بغداد والمشرق عموما ,فاستفادت من تشجيع الخلفاء لمختلف صنوف الآداب والعلوم لاسيما في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل أمثال هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) و ابنه المأمون (198-218هـ /813م-833م) الذي طور حركة الترجمة فنقل علوم وتراث اليونان وآداب الفرس والهند .وقد أنشأ لهذا الغرض بيت الحكمة في بغداد سنة 215هـ/830م[1] وهو في الأصل معهد للترجمة فكان طبيعيا أن ينهل بنو الأغلب من هذه المعارف وينقلوها إلى المغرب ,فتعكس بذلك ماكان يحدث في المشرق .

1-الأدب:

بعد انتشارالعربية في أوساط البربر واحتكاك العرب بهم أخذ الأدب ينمو شيئا فشيئا وكان حظ الشعر أوفر وقد شهدت الدولة الأغلبية نهضة أدبية كبيرة ,ومن العوامل الأساسية في هذه النهضة أنّ الأمراء الأغالبة كان لهم مجال واسع في الاهتمام بالأدب ورعاية أهله,وعلى غرار الرستميّين فقد كان البيت الأغلبي بيت علم وأدب بدءا من جدهم الأغلب بن سالم ثم مؤسس الدولة ابراهيم بن الأغلب وزيادة الله الأول هذا الذي كان شاعرا ويحرص على التقرب إلى الشعراء والأدباء فقد كان كالخليفة العباسي المأمون في حرصه على العلم .

أ-الشعر:

كان الشعر هو اللّون الأدبي الغالب إذ أن المصادر والمراجع التي تؤرخ للأدب تنقل لنا كثيرا *من الشعراء* الذين اشتهروا في هذه الفترة وفي طليعتهم الأمراء ,فمؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب هوسليل بيت شعر لأنّ أباه الأغلب بن سالم كان شاعرا كما سبقت الإشارة إلى ذلك هذا الأخير نظم قصيدة شعريّة أرسلها إلى الحسن بن حرب الذي تمرّد عليه يتوعّده فيها وهذه بعض أبياتها :

ألا من مبلّغ عنّي مقالا يسير إلى الحسين بن حرب .

---

(1) مجموعة من المؤلّفين :دراسة في تاريخ العلوم عند العرب , وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ,مركز احياء التراث العلمي العربي -جامعة بغداد , العراق ,1986, ص 87.

بأنّ البغـــي أبعـــده وبـــالا عليـــك وقربه لك شـــر قرب .

وإن لم تدعني لتنـــال سلمي وعفوي فادن من طعن وضرب. [1]

لقد نظم الأمير إبراهيم بن الأغلب قصيدة وهو قاصد إفريقية تاركا أهله بمصر جاء فيها :

ماسرت ميلا ولاجاوزت مرحلة إلاّ وذكرك يلـــوي دائما عنقي .

ولا ذكرتـــك إلا كنت مرتقـــبا أرعى النجوم كأن الليث معتنقي . [2]

و له أيضا شعر في الفخر حيث نظم قصيدة يشيد فيه بانتصاره في إحدى المعارك وهذه بعض أبياتها : ماسار عزمي إلى قوم وإن كثروا إلا رمى شعبهم بالحزم فانصدعا.

ولا أقـــول إذا ما الأمر نازلـــتني ياليته كان مصروفا وقد وقعـــا .

حـــتى أجلـــيه قهـــرا بمعـــتزم * كما يجلى الدجى بدر إذا طلـــعا. [4]

والأمير الأغلبي أبي العباس محمد الأول(226-242هـ/841-856م) قصيدة يفتخر فيها بنفسه حيث يقول :

أنا الملك الذي أسمو بنفسي فأبلغ بالسمو بهـــا السحابا

أنا بن الحرب ربتـــني وليدا إلى أن صرت ممتلئا شبابـــا

لعمر أبيك ماإن عبت قومي وما أخشى بقومي أن أعابا

بنيت لهم مكـــارم باقيـــات إذا ما صارت الدنيـــاحرابا. [5]

الميزة الأساسية للشعر في هذه الفترة هي ارتباطه أكثر بالجانب الديني مثلما كان الحال عند الرستميين ذلك أنّ الظروف السياسية والدينية فرضت هذا النّوع من الشعر لأنه ارتبط بالجهاد, فكان من الطبيعي والحالة هذه أن نجد فقهاء نظموا الشعر بل حتى أجادوا فيه فقلما تجدشاعرا ليس فقيها. لكن هذا لايعني أنّ الشعر توقف عند هذا اللون فقط بل تعدّدت الأغراض الشعرية من فخر ومدح ووصف ورثاء وحتى الهجاء. ولعلّ في ذلك مجاراة لشعراء بني أميّة وبني العبّاس.

---

(1) رابح بونار : المرجع السابق , ص 57.

(2) الرقيق القيرواني : المصدر السابق , ص213 , ابن عذارى ذكرها مغتبقي , ينظر بن عذارى , المصدر السابق , ص 92.

* المعتزم هو الفرس الجامح , ينظر ابن منظور : المصدر السابق المجلد 2, ص 769.

(4) أحمد أمين :ظهر الإسلام ج1 ,مكتبة النهضة المصرية ,ط2 , 1966 , ص302.

(5) رابح بونار :المرجع نفسه , ص 105.

هذه العوامل ساعدت في نبوع عددكبير من الشعراء أثروا بانتاجهم الشعري الحركة الأدبية في الدولة الأغلبية نذكر منهم :

-أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان الصواف (المتوفّى سنة291هـ/904م): [1]

هو أبو جعفر أحمد بن داود الربعي المدعو الصواف القيرواني من تلاميذ سحنون كان له ذوق أدبي في نظم الشعر فضلا على كونه فقيها ومن أشعاره الأبيات التاليّة :

سألبس للصبرثوبا جميلا وأفتل للصبر حبلا طويلا .

أصبر بالرغم لا بالرضى وأخلص نفسي قليلا قليلا .[2]

ولا ما فجا عمري ثمانين حجة وأيقنت أني قد قربت من المدى

تركت تكاليف الحيا لأهلها وجافيتها طوعا فجانبني الردى .

-مجبر بن سفيان (المتوفي سنة 285 هـ/898):

ينتمي إلى أسرة بني الأغلب الحاكمة , وقد سقط أسيرا في أحدى غزواته من قبل الروم وحمل الى القسطنطينية [3] وأرسل من السجن قصيدة جاء فيها :

ألا ليت شعري ماالذي فعل الدهر بإخواننا ياقيروان وياقصر.

ونحن فإنّا طحطحتنا يد النوى فلم يجتمع شمل لدينا ولاوفر.

رأينا وجوه الدهر وهي عوابس بأعين خطب في ملاحظها شزر .[4]

- أبو عبد الله محمد بن زرزر(المتوفّى سنة 291هـ903م) : [5]

هو أحد طلبة سحنون كان من الشعراء الزهاد عرف بقوة الحفظ وجودة شعره الذي سخّره للدفاع عن العقيدة بالرد على الزنادقة والملحدين وفي هذا الشأن يقول في إحدى قصائده :

هتك الستر عن ذي الغي والفند وحصحص الحق بعد البغي واللدد.

وأيقن المشرك الداعي له ولدا بأنّ الله لم يولد ولم يلد.

لاموت يدركه, لاشيء شبهه يبلى الآباد ولايبلى على الأبد.

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 82.

(2) المرجع نفسه ,ص 112.

(3) محمد الطالبي : المرجع نفسه , ص 547.

(4) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 119.

(5) الدباغ : المصدر السابق , ص 249.

ويح ابن آدم من عاص لخالقه ومن مصرّ على الآثام معتقد.
وفي الخلود نعيم غير منصرم باق بقدرته , باق بلا أمـــد. [1]

-عيسى بن مسكين(المتوفّى سنة 290هـ /902م):

كان فقيها وشاعرا أيضا له قصائد في أغراض مختلفة من الشعر منها مثلا أبيات يصف فيها عجزه بعد أن أصبح وافتقد إلى فتوة الشباب حيث يقول :

لمـــا كـــبرت أتتني كـــل داهـــيّة وكل ما كان زائدا مـــني نقصـــا
أصافح الأرض إن رمت القيام وإن مشيت ففـــي ذات اليمين عصـــا. [2]

-عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (المتوفّى سنة 227هـ /841م):

وهو الفقيه الشاعر نظم قصيدة عقب ثورة الجند سنة 213هـ/828م في عهد زيادة الله الأول هذه بعض أبياتها :

أباح طغـــام الجند جهلا حريمنا وشقّوا عصا الإسلام من كل جانب .
وعانوا وجاروا في البلاد سفاهة وظنـــوا بأنّ الله غـــير معـــاقب .
ولو أنهم عرب كـــرام لدافعت نفـــوس كرام عن حريم الأعارب .
ولكنّهم أوبـــاش كـــلّ قبيـــلة وقبط و أغـــنام لئـــام المنـــاسب .[3]

-سعدون الورجيني:

عاش في أواخر العصر الأغلبي والفترة التي أعقبت فترة سقوط الدولة الأغلبية على أيدي أبي عبد الله الشيعي ,وعرف بمدحه للأمراء فلم يكن غريبا أن يتحول إلى مدح عبيد الله المهدي بعد دخوله رقادة وقد أظهر له التشيع إذ قال فيه :

هذا الإمام الفاطمي ومن به أمّنت مغاربهـــا من المحـــذور .
والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جيشه المنصور .
حتى يفوز بالخلافـــة بالمنى ويفاز منـــه بعدلـــه المنشور . [4]

---

(1) الدباغ : المصدر السابق , ص 248.
(2) رابح بونار : المرجع السابق ,ص114.
(3) محمد الطالبي : المرجع السابق , 230.
(4) موسى لقبال :دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية , ص 230.

ب-النثر :

تعددّت مجالاته فهو يتضمّن الوصايا والرسائل الديوانية والخطب التي كان يلقيها الفقهاء , وكان يطغى عليها الاهتمام بالمعنى على حساب البيان والجمالية في الأسلوب والتعابيرلأنّ الهدف منها هو الوعظ والارشاد ولأنها موجهة للعامة .

-عبد الملك بن قطن المهري (المتوفّى سنة 255هـ/869م) :

اشتهر بقوة البيان ومحاكاته لأسلوب الجاحظ نستشف ذلك من خلال ماقاله لعبد الله بن غانم قاضي افريقيا وهو مريض :"رفع الله ضجعك من هذه العلة ,إلى إفاقة وراحة ,وأعاد عليك ماعودك من الصحة والسلامة ,فطالما صححت وعوفيت أصلحك الله فاصبرلحكم ربك , فإنّ الله عزّ وجلّ يجب أن يصبر على بلواه , كما يجب أن يشكر على نعماه ".[1] ومن هذه القطعة الأدبية تظهر قوة البيان. وقال في الشعر أيضا لمارثى سحنون بعد وفاته

-أبو العباس محمد بن حيون المعروف بالبريدي(المتوفّى سنة 276هـ/889-890م):

يعدّ أبرز شخصية أدبية في النثر و كان أحد كتّاب الدولة الأغلبية وأحسن ظرفائها كتب إلى الأمير إبراهيم الثاني رسالة يعتذر له فيها من السجن بعد أن سخط عليه ابراهيم قال :" من كرم العفو وعلو قدره وجليل خطره ,تسمى الله عز وجل به فسمى نفسه العفو الغفور ,والطبع البشري مركب على النقص ,مقرون بالزلل ,إلا ماخص الله به الأنبياء وأودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاق .ونزاهة النفس ,ولست ,أيد الله الامير ممن يدعي العصمة والبراءة من الهفوة ,ولست أمت إليك إلا بفضلك علي , وإحسانك إلى ,ولاأعرف ك بل أذكرك إن من غرس غرسا فواجب أن لايجتثه وإن أبطأ بسوقه,بل يمده بمد موارده العذب, حتى تمتد حيطانه وتورق أغصانه . أعاذك الله بما أودعك من معالي الأخلاق ,من ترك العفو عن مقر معترف لا يعرف إلا فضلك ولا يرجو إلا عدلك ..."[2] , وقد ختم رسالته بأبيات من الشعر لعلّها تجد وقعا في نفس الأمير ومنها البيت التالي :

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر إنّ الملوك إذا ما استرحموا رحموا .[3]

(1) رابح بونار : المرجع السابق , ,ص 103.
(2) المرجع نفسه : ص 105,104.
(3) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 310.

رسالته قائلا : "إنّ الملوك إذا ما استرحموا قتلوا " . وقتل سنة 276هـ/889-890م.[1] لكنّ هذا الاسترحام و الاستعطاف لم يشفع له عند الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني الذي ردّ على

ج–اللغة والنحو :

و من أشهر اللّغويين عند الأغالبة هم :

–أبان بن الصمصامة بن الطرماح:

قدم من العراق في أواخر القرن 2 هـ/8م [2] اشتهر بتفقهه في علوم اللغةوكلام العرب ونظمه للشعر وله معرفة بأنساب العرب .

–عبد الله بن أبي حسان اليحصبي(المتوفّى سنة 226هـ841م) :

ينحدر نسبه من أشراف العرب الوافدين إلى إفريقية [3] كان عالما لغويا سكن حارة يحصب في القيروان فنسب إليها تلقى النحو من سبويه المتوفي سنة 180هـ/796موالكسائي المتوفي سنة 189هـ/804م [4]

– إبراهيم بن قطن المهري:

عاش في القرن 3هـ /4م[5]عالم اباضي من علماء افريقية الاغلبية تلقّى علمه في القيروان وقد استقر هناك و كان نحويا بارزا ومن تلاميذته اخوه عبد الملك بن قطن المهري السالف الذكر الذي كان له حظ كبير في اللغة العربية والنحو والرواية .

–مهرية بنت الحسن بن غليون :

نشأت برقادة أواسط القرن 3هـ /4م أتقنت النحو والصرف. فضلا عن الشعر. [6]

2- علم الكلام :

ارتبط علم الكلام بمسالة شغلت علماء وفقهاء المسلمين مدة طويلة وهي مسألة خلق القرآن والتي مفادها أنّ القرآن مخلوق , و انتقلت هذه الفكرة من بغداد إلى سائر البلاد الإسلامية ومنها

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 311.
(2) رابح بونار : المرجع السابق , ص 106.
(3) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق , ص 63.
(4) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 106.
(5) جمعية التراث : المرجع السابق , ص 59.
(6) رابح بونار : المرجع نفسه , ص 117.

إفريقية أيام الدولة الأغلبية , فلقد أخذ بعض الأمرا الأغالبة بها وهي فكرة المعتزلة كما أشرنا إلى ذلك سابقا ,وكان ذلك أمرا مستساغا لأنّ الدولة الأغلبية مثّلت صدى سياسيا ودينيا لماكان يحدث في المشرق يعني الدولة العباسية ومنه فلا غرابة في أن يجد المعتزلة موطن قدم في إفريقية خاصة في عهد زيادة الله الأول(201-223هـ/817-838م) الذي نحى مذهب المعتزلة في القول بخلق القرآن, ويبدو أنه تأسى بالخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813م-833م) الذي كان من أنصار هذه الفكرة .[1]

وعلى هذا الأساس فقد احتدم صراع فكري وفقهي بين أئمة أهل السنة الذين يقولون بأزلية القرآن وأنه وحي الله , وبين المعتزلة الذين يقولون بأنّ القرآن مخلوق وقد دافعوا عن هذه الفكرة بحجة أن الأخذ بمبدإ أزلية القرآن يمس بوحدانية الذات الإلهية.[2]

لذلك لم يكن من الغريب أن تشهد مدن إفريقية, ولاسيما القيروان في هذا العهد معارك كلامية بين الفريقين , فانبرى كل فريق يدافع عن فكرته, إلاّ أنّ الظروف في بعض الأحيان كانت في صالح الفريق القائل بخلق القرآن ولعلّ استعمال الحجج العقليّة كان عاملا في انتصارهم , أحيانا فسبّب ذلك كثيرا من المضايقات لفقهاء المالكية وصلت إلى حد الملاحقات حتّى اضطرّ بعضهم إلى الابتعاد عن ساحة المعركةوالتخفي .

كان الإمام سحنون واحدا ممن تعرّضوا لمحنة شديدة في عهد الأمير أحمد بن الأغلب بسبب معارضته وتصدّيه لمن يقول بخلق القرآن, وقد لعب عبد الله بن أبي الجواد قاضي القيروان سنة 232هـ/846-847م [3] دورا بارزا في هذه المحنة , إذ عرف بتعصبه لفكرة خلق القرآن فوصل به الحد إلى أن طالب بالحكم بالموت على سحنون لرفضه قبول فكرة خلق القرآن [4], حتى أن الأمير الأغلبي سأله : ما تقول في خلق القرآن وردّ عليه سحنون :" إن القرآن كلام غير مخلوق " قال ابن أبي الجواد :"كفر فاقتله ودمه في عنقي ".[5] وتصدّى ابنه محمد أيضا لمن يقول بهذه الفكرة وقيل إنّه ناظر شيخا معتزليا قدم إلى القيروان فألزمه الحجّة.[6]

---

(1) Abdallah laroui : op;cit ,p110.

(2) جوليان شارل آنري : المرجع السابق , ص 63.

(3) صالح باجية : المرجع السابق , ص 103.

(4) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص254.

(5) رابح بونار : المرجع السابق , ص78, ينظر الدباغ : المصدر السابق , ص 94.

(6) الدباغ : المصدر السابق , ص 134.

لكنّ القول بفكرة خلق القرآن وحتى أفكار المعتزلة لم يكتب له النجاح في إفريقية رغم أنّ الأمير الأغلبي أبا العباس عبد الله الثاني(289-290هـ/902-903م) حاول احياءها مجددا في الأوساط الدينية بأن كتب سجلاّت في خلق القرآن وأمر بقراءتها على المنابر وقد ترتّب عن هذا التصرف من قبل الأمير اثارة سخط فقهاء السنة [1] .

يفسّر عدم رواج فكرة خلق القرآن بعدة عوامل :

- لم يكن يؤمن بهذه الفكرة إلا فئة قليلة من الفقهاء وهم على مذهب المعتزلة وبعض الأمراء الأغالبة أمثال زيادة الله أي أنها لم تكن تعبرعن حركة فكرية عامة في البلاد بل كانت في إطار محدود.

- اثيرت مسألة خلق القرآن في قالب جدلي . و الجدل هومنهج المعتزلة[2] وأساس فكرهم و ثقافتهم , فهو يقوم على المنطق وسعة الثقافة وحدة الذهن وهومن المجالات التي أبدعوا فيها , لابل إنّه روح هذا المذهب . ولما كان المذهب المالكي يرفض الخوض في الجدل وإطلاق العنان للعقل في المسائل الفقهية فقد كره منهم فقهاء المالكية هذا المنحى , الأمر الذي جعل الفقيه سحنون يتصدى لحلقات المعتزلة والإباضية والصفرية في جامع القيروان . [3] حتى لا تثار مثل هذه المسائل المتعلقة بالعقيدة والتي تؤدي إلى متاهات فقهية .

ومن الذين اشتهروا بالمناظرات في الدواة الأغلبية العنبري الذي عاش في القرن 3هـ/9م[4] وهومن الإباضيين وقد تصدّى لمناظرة فرق الخلاف وهي في الغالب من المعتزلة باعتبارما كان يحدث في تاهرت بين الإباضيين والمعتزلة, إذ يصل الأمر بين الطرفين في معظم الاحيان إلى صراع فكري يصل إلى حد العنف وكانت له مناظرات في حضرة الأمير الأغلبي زيادة الله الأول.

ومن المتكلمين الإباضيّين في القيروان سعيد الحدائي الذي عاش في نهاية القرن 3هـ /4م[5] له مناظرات في علم الكلام.

---

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 596.

(2) عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري , دار نهضة مصر للطبع والنشر , ط, 2, القاهرة , 1969 , ص 221,220.

(3) الدباغ : المصدر السابق , ص 87.

(4) جمعية التراث: المرجع السابق , ص 673.

(5) المرجع نفسه , ص 358.

3 -التاريخ :

إنّ الإنتاج التاريخي في الدواة الأغلبية قليل جدا ويفسّر ذلك بقلّة المؤرخين , بل يمكن القول بأنّه لم يكن أيام الأغالبة مؤرخ بارز , فقد ارتبط التّدوين التاريخي بالمغازي والسير و لم يتخلّص من السرد القصصي المتعلق بالأنساب أو أخبار العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام .

يذكرأنّ المعمّربن سنان التيمي كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها وعنه أخذ أهل إفريقية حرب غطفان وغيرها من وقائع العرب[1] .

والملّفت للانتباه أنّ بعض الفقهاء قدّموا اسهامات في مجال التاريخ ولو أنها لم ترق إلى مستوى الكتابة التاريخية التي عرف بها مؤرخو ذلك العصر, لكن تعتبر على نحو ما مصادر تستخلص منها بعض الحوادث التاريخية .كما أنّ المؤلفات الفقهية هي الأخرى تعدّ في حد ذاتها تدوينا تاريخيا لاسيما ماتعلّق منها بالمذهب وعلاقته بالمذاهب الأخرى مثل مؤلف محمد بن سحنون طبقات العلماء في سبعة أجزاء.[2]

ومن بين الذين اشتهروا بممارسة التاريخ إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني من ملشونة[3] ,كان عالما بالتاريخ أخذ عن الإمام سحنون وقد روى عن تاريخ القيروان وعقبة بن نافع . كان الأمراء الأغالبة يستقدمونه في مجالسهم للمسامرة خاصة في شهر رمضان .[4]

وحدث أن الفقيه سحنون دخل يوما على الأمير محمد بن الأغلب في أول رمضان فوجده وحيدا في مجلسه فنصحه باستدعاء الملشوني ليحدّثه عن أخبار الأمم السّابقة وماكان من الأمير إلاّ أن هبّ في طلبه فكان نديمه طوال شهر رمضان.[5] وكان أبو محمد عبد الله بن أبي حسّان اليحصبي هو الآخر له باع في التاريخ [6] وكان أيضا لمحمد بن سحنون اسهامات في التّأليف التاريخي إذ ألّف كتابا في التاريخ في ستّة أجزاء .[7]

(1) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص 166.

(2) محمد بلقراد : المرجع السابق , ص 114.

(3) هي قرية من قرى بسكرة و وهي اليوم تحمل إسم مشونن , ينظر إسماعيل العربي : المدن المغربيّة , الموسسة الوطنيّة للكتاب , الجزائر , 1984, ص 183.

(4) محمد الطالبي : المرجع نفسه , ص 14.

(5) محمد الطمار: المرجع السابق , ص 44

(6) الدباغ : المصدر السابق , 58.

(7) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق , ص 108.

وهناك مؤلّفات تشير إلى عناية بعض العلماء بالكتابة التاريخية في الدولة الأغلبية منها " تاريخ بني الأغلب " ألّفه الأمير الأغلبي محمد بن زيادة الله الثاني الذي قتله إبراهيم الثاني ,[1] وكتاب" أحمية الحصون" ليحي بن عمر المتوفي سنة 289هـ/902مو "المولد والوفاة" لحسين بن المفرج المتوفي سنة 303هـ/920-921م .[2].

ومن الذين ألّفوا في مجال التاريخ أيضا أبو العرب الذي عاش في أواخر القرن 3هـ/9م حيث ولد سنة 250هـ /864م وتوفّى سنة 333هـ/944م ألّف كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس"الذي يعدّ من بين أهم المصادر التاريخيّة في السير والتراجم .

4- الطب:

اهتم الأغالبة بهذ العلم بأن أسّسوا معهدا خاصا للطب والصيدلة إدراكا لأهمّية الصحة وتم في عهد هم بناء أول بيمارستان[3] (مستشفى) في مكان يسمى الدمنة [4] وقد كان في تنظيمه شبيها ببيمارستان بغداد فهو يجمع بين الاستشفاء وتعليم مهنة الطب

ومن الأطباء المشهورين في هذا العهد نذكر :

-إسحاق بن عمران:

وهو مسلم من بغداد جلبه زيادة الله الثاني و عرف بمهارته في مهنة الطب ,فضلا عن كونه فيلسوفا لانه كان عارفا بانواع العلل والامراض عاش في القيروان وأفاد أهلها في التطبيب وتعليم الطب.قام بفصل الصيدلة عن الطب [5] فقد تتلمذ على يديه اسحاق بن سليمان. الإسرائيلي, كان معاصرا للرازي. أنشا مدرسة الطب القيروانية [6] من مؤلفاته الطبية : كتاب الأدوية المفردة كتاب

---

(1) محمد الطالبي: المرجع نفسه , ص 14.

(2) المرجع نفسه , ص 14.

(3) البيمارسيتان كلمة ذات أصل فارسي تتكوّن من مقطعين :بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان أي المكان الذي يعالج فيه المرضى واختصرت في كلمة مارستان , ينظر عبد العزيز سالم : محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندريّة , القاهرة ,2004, ص 366,365.

(4) سلمان قطاية : (أحمد بن إبراهيم الجزار القيرواني) مجلة المورد المجلّد9 , العدد 1 , دار الحرية للطباعة , بغداد ,1980 , ص 58,57.

(5) عمر رضا كحالة : المرجع السابق , ص 62

(6) محمد سويس : (نماذج مما قدّمه المغرب العربي للعلوم وللحضارة الإنسانيّة) محاضرات الملتقى 13للفكر الاسلامي ج4, الجزائر , 1979, ص68.

"العنصر والتمام في الطب"[1] وكتاب في" المالنخوليا" [2] له أهمية كبيرة في تاريخ الطب .حدثت له محنة مع الأمير زيادة الله الثالث انتهت بقتله صلبا سنة 279هـ/892م/.[3] , وقد اسهم في تطوير الطب في عصره من خلال التجارب التي كان يقوم بها في هذا الميدان وتسجيل نتائج علاجه على المرضى.وهو ما يدلّعلى براعته في في هذا العلم .و كتابه المسمّى " المالنخوليا".قسّمه إلى قسمين : الأول : أسباب ومظاهر المالنخوليا وأعراضها والثاني :طرق العلاج منها

ويستعرض اسحاق العديد من الأمراض يصف حالات الكآبة والهوس والهذيان والصرع الذي قد يفضي الى المالنخوليا وهي مرض في الجسم تظهر أضراره وعلاماته في النفس منها شدة الخوف واستمرار الحزن .

-إسحاق بن سليمان الإسرائيلي(المتوفّى سنة 320هـ /932م): [4]

وأصله من مصر من تلاميذ اسحاق بن عمران نبغ في الطب فكان اشهر طبيب في القيروان بعد استاذه اسحاق يقال كان بحوزته كتب يزن مجموعها خمسة وعشرين قنطارا [5] أدرك ملك الفاطميّين إذ قرّبه أبو عبيد الله الشيعي ,فأصبح معالجا له من الحصاة . من مؤلفاته كتاب " سنان الحكيم". [6]

-أحمد بن إبراهيم (المعروف بابن الجزار):

هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار يكنّى بأبي جعفر من أهل القيروان عاش في أواخر عهد الأغالبة وأدرك القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشرالميلادي[7] وقد توفّى عن عمر يناهز ثمانين سنة[8] وقد تتلمذ على يد إسحاق بن عمران وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي وكذلك زياد

(1) رابح بونار : المرجع السابق , 98.

(2) محمد سويس: المرجع نفسه , ص68.

(3) محمد الطالبي : المرجع السابق , ص316, ينظر ابن عذارى : المصدر السابق , ص 122.

(4) أحمد أمين : المرجع السابق , ص300.

(5) المرجع نفسه , ص 300.

(6) رابح بونار : المرجع السابق , ص 100.

(7) هناك تضارب بين الصادر والمراجع في تاريخ ميلاده ووفاته إلاّ أنّ معظمها ترجّح سنة 369هـ/ 978م هي تاريخ وفاته , ينظر سلمان قطاية : المرجع السابق , من ص47 إلى ص53 وأيضا حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق , ص 107.

(8) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع نفسه , ص 107.

ابن خلفون المتوفّى سنة 308هـ/920م[1] إضافة إلى أنّه سليل أسرة اشتهرت بمزاولة الطب, إذ كان أبوه وعمه طبيبين[2] ,و ألّف وحده مايقارب من ثلاثين كتابا في الطب منها : طب الفقراء والمساكين "زاد المسافر وقوت الحاضر والدم والتحذير من إخراجه لغير حاجة", وهوالذي فصل الصيدلة عن الطب[3].

---

(1) سلمان قطاية : المرجع نفسه , ص 58,47.

(2) المرجع نفسه , ص 47.

(3) عبد الله شريط: تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب , بدون تاريخ, ص133 , رابح بونار :المرجع نفسه , ص 69.

الخاتمة

الخاتمة

لقد ساهم المغربان الأدنى والأوسط في ترسيخ مبادئ حضارية اسلامية في القرنيين الثاني والثالث الهجريين ,الثامن والتاسع الملاديين في إطار انجازات كل من الرستميّين والأغالبة على المستوى الفكري . فقد شهد المغرب في هذه الفترة قفزة نوعيّة في إطار النهضة الفكريّة التي أدّت حتما إلى جانب الازدهار الاقتصادي إلى نهضة بلاد المغرب الحضاريّة فحدّدت موقع المغرب الإسلامي ضمن الخريطة الحضارية للعالم الإسلامي,وما يلاحظ على الإقلاع الفكري والحضاري للمغرب هوأنّه مثّل صدى فكريا لما كان يحدث في المشرق من تطورات فكرية ذات أبعاد مذهبيّة .

وفعلا كان المغرب الإسلامي أرضا خصبة نمت فيها التيارات الفكريّة القادمة من الشرق, فالاختلاف المذهبي أدّى إلى التباين في الولاء السياسي, وهوما وفّر جوا مشحونا بالصّراعات السياسة التي واكبت تأسيس الدول المستقلة لاسيما بين الدولة الرستمية المستقلة مذهبيا وإداريا عن الخلافة في المشرق والدولة الأغلبية المستقلة إداريا والموالية مذهبيا للخلافة العباسية.

وكان من الطبيعي أن يدافع كل طرف عن وجوده بوسائل مختلفة وقد كان للجانب الفكري فيها قسطا كبيرا ,وذلك أنّ التعدّد المذهبي أفضى إلى تنافس علمي وثقافي ترك بصمات واضحة على العلوم بمختلف أنواعها: نقلية كانت أو عقلية.

كما أنّ الاختلاف المذهبي لم يكن دائما مثارا للصراع , بل كان عاملا للحوار والتنافس وتحديدا بين المالكية والإباضية, إذ شكّل التبّادل الثقافي أهم مظاهره .

وانطلاقا من هذه الأسس يمكن أن نستنتج من هذه الدّراسة الملاحظات التالية:

1-إنّ الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية في عهد الأغالبة والرستميّين, فقد ارتبط وجود المذهب المالكي وانتشاره في المغرب الإسلامي بجهود بل وحتى تضحيات العلماء والفقهاء المالكيّن وكان أبرزهم العلاّمة الفقيه أبو سعيد سحنون التنوخي وتلاميذته من بعده, الذين أرسوا قواعد الفقه المالكي في هذه الربوع,مما لم يسمح لغيره من المذاهب السنية بأن تنافسه , وتفسير ذلك هو أنّ القاعدة الشعبية اعتنقت وتقبلّت هذا المذهب عن طواعية واقتناع .

والمذهب الإباضي هو الآخر حظي بقبول أهل المغرب فاعتنقه عددكبير من القبائل البربرية وتمسّكوا بمبادئه لابل دافعوا عنها في أصعب الظروف , ولأنّه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث

اعتدال مبادئه السياسية والمذهبية فقد كانت هذه الميزة عاملا في استمراريته, وجعلته يتعايش جنبا إلى جنب مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا .

2-لقد كان للنّهضة الفكرية في عهد الأغالبة والرستميّن دور كبير في البناء الفكري والحضاري الذي عرفه المغرب الاسلامي في القرنين 2و3 الهجريين /8و9 الملاديين وذلك أنّ الانجازات العلمية في هذه الفترة تعدّ قاعدة أساسيّة لانطلاق نهضة فكريّة في كامل إقليم المغرب الإسلامي في هذا العهد وقاعدة أساسية أيضا لانطلاق النهضة الفكريّة للعهود اللاّحقة.

3- شهد هذا العصر نوعا من التنافس العلمي ساهمت فيه عدة عوامل أبرزها سياسة الأمراء في تشجيع العلم وتعريب البربر وكانت ثمرة ذلك الإنتاج الفكري في كل مجالات الإبداع مثل الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والأدب والتاريخ والعلوم الأخرى ,فكثرت المؤلفات والمصنّفات الفقهية مثل المدوّنة الكبرى للفقيه سحنون والمؤلّفات الإباضية التي فقد الكثير منها و لم تصل إلينا بفعل النّزاعات والصراعات , وقد شكّل ذلك كلّه زخما معرفيا أكّد استقالية المغرب عن المشرق في الانتاج الفكري .

4- ارتبطت النهضة الفكرية في المغربين الأدنى والأوسط في هذا العهد بمديني القيروان وتاهرت اللتين احتضنتا كل الفئات العالمة باختلاف انتماءاتها المذهبيّة وكانتا بذلك مقصد الفقهاء والأدباء من كل الأمصار الأخرى ممّا أهّلهما لتكونا مركزين هامّين في المغرب الإسلامي للإشاع الثقافي والتّلاقح العلمي .

5- إنّ التّسامح هو القاعدة التي ينبني عليها أي حوار ,ومن شأنه أن يجعل من الاختلاف المذهبي أوالفكري مجالا لتلاقح الأفكار,فيؤدي إلى التّطور, أمّا التعصب للمذهب أو للفكرة فهو مظهر للجمود الفكري .كما أنّ الحوار يعدّ من أهم أسس التّعايش بينما التّعصب يكون غالبا من الأسباب المفضيّة إلى الاضطهاد, وهذا ما لمسناه في الحركة العلمية في عهد الأغالبة والرستميّين من خلال الحوارات والنقاشات الفكرية التي كانت تحتضنها المراكز العلميّة في حواضر المغرب الإسلامي بشكل عام . ولكن مع نهاية القرن الثالث الهجري حينما انتهت الدولة الأغلبيّة والدولة الرستميّة على يد الفاطميّين أدّى التعصّب للمذهب الشّيعي من قبل هؤلاء إلى اضطهاد مذهبي مورس على أتباع المذاهب الأخرى لاسيما فقهاء المالكيّة. إلاّ أنّ الفكرة القوية الراسخة في القلوب والعقول هي كالشجرة الضاربة بجذورها في أعماق التربة الطيّبة لا تقتلعها الرياح العاتيّة .

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

*- القرآن الكريم (برواية ورش)

أولا: المصادروالمراجع باللغة العربية :

1-المصادر:

1-ابن خلدون عبد الرحمن: -المقدمة ,دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت ,لبنان 2004.

-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , الجزء : 4, 6 , 7 , دار إحياء التراث العربي , بيروت لبنان , 1999.

2- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي :صورة الأرض, دار صادر , ط2 ,بيروت, لبنان , بدون تاريخ .

3-ابن الأثير عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ الجزء 6,5,4,3 , دار الكتاب العربي , ط6 , بيروت, لبنان, بدون تاريخ .

4-ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي: ــ صفوة الصفوة المجلد الثاني ,دار الجيل ,ط1,بيروت لبنان, 1992.

ــ سير ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد , تحقيق وتعليق السيد الجميلي ,منشورات دار ومكتبة الهلال 1988.

5-ابن الصغير :أخبار الأئمة الرستميين , تحقيق وتعليق د.محمدناصر وإبراهيم بحاز ,دار الغرب الإسلامي , بيروت ,لبنان, 1986.

6 -ابن أبي دينار أبي القاسم الرعيني القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ,دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر , لبنان , مؤسسة السعيدان , ط3 , تونس, 1993.

7 - ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ,دار المنصور للطباعة والوراقة , الرباط ,المغرب ,1972.

8-ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الأول ,حققه وراجعه ج.س.كولان وليفي بروفنسال ,دار الثقافة ,ط ,2, بيروت , لبنان 1980.

9 -ابن قنفذ القسنطيني أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب : كتاب الوفيات , تحقيق عادل نويهض ,مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر , بيروت ,لبنان , 1982 .

10-أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي : تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) ,تحقيق لجنة احياء التراث العربي ,دار الآفاق الجديدة , ط5, بيروت لبنان, 1983.

11-أبو حامد الغزالي :إحياء علوم الدين , المجلد الأول , تحقق ومراجعة محمد سعيد محمد , دار البيان العربي , ط1, مصر , 005

12 -أبو زكريا يحي بن أبي بكرالورجلاني : سير الأئمة وأخبارهم , تحقيق إسماعيل العربي , المكتبة الوطنية الجزائرية ,1979

13-أبو سعيد سحنون بن سعيد التنوخي :المدونة الكبرى , دار صادر, بيروت ,1323ه.

14-البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ج1 , دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع , عين مليلة, 1992.

15-البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب , مكتبة أمريكا و الشرق , باريس, 1965.

16-البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي , فتوح البلدان , دارومكتبة الهلال بيروت ,لبنان , 1988.

17- الحسن بن محمد الوزان:وصف إفريقيا والمغرب , ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر , دار الغرب الإسلامي , ط2, بيروت ,1983.

18- الحموي شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان الجزء 4,3,2,1 ,دار صادر,بيروت لبنان,1995.

19-الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري :معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان الجزء الثاني , تحقيق محمد ماضور ومحمد الأحمدي أبو النور , مكتبة الخانجي مصر المكتبة العتيقة , القاهرة تونس 1972.

20- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب الجزء الأول , تحقيق إبراهيم طلاي , مطبعة البعث , قسنطينة , الجزائر , 1974.

21-الدينوري أبي حنيفة أحمدبن داوود :الأخبار الطوال , تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة جمال الدين الشيال , دار المسيرة بيروت , بدون تاريخ .

22-الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير الأعلام والنبلاء الجزء2 وتحقيق إبراهيم الابياري ,معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية , دار المعارف , مصر , 1957.

23-الرقيق القيرواني :تاريخ إفريقية والمغرب من أواسط القرن الأول الههجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري ,تحقيق وتقديم المنجي الكعبي , توفيق السقطي , تونس 1968.

24-الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد : الملل والنحل المجلد الأول , تحقيق محمد سيد كيلاني, دار المعرفة للطباعة والنشر ,بيروت ولبنان , 1980. 21

25-الطبري أبو جعفر محمد بن جرير :تاريخ الأمم والملوك الجزء 6 ,مكتبة خياط ,بيروت ,لبنان ,بدون تاريخ .

26- القاضي النعمان : إفتتاح الدعوة , تحقيق فرحاتالدشراوي , الشركة التونسية للتوزيع تونس,1975.

27- القيرواني أبو العرب محمدبن أحمدبن تميم : طبقات علماء إفريقية والمغرب , تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي , الدار التونسية للنشر , 1968.

28-المبرد أبو العباس محمد بن يزيد , الكامل ج3, علّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم , دار نهضة مصر للطبع والنشر , بدون تاريخ.

29- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزادهم ونساكهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم الجزء الثاني , تحقيق بشير البكوش, مراجعة محمد العروسي المطوي ,دار الغرب الإسلامي,بيروت لبنان ,1981.

30- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ,شرح صلاح الدين الهواري ,المكتبة العصرية ,ط1 ,2006.

31-المقري أحمد بن محمد : نفح الطيب من غصن تونس الرطيب , تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ط2, بيروت , لبنان , 1998.

32-**النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق** : الفهرست,ضبطه وشرحه وعلق عليه د.يوسف الطويل , وضع فهارسه أحمد شمس الدين , دار التب العلمية , ط1, بيروت , لبنان , 1996.

33-**النويري أحمد بن عبد الوهاب**: نهاية الارب في فنون الأدب الجزء22 ,تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد ,دار النشر المغربية , الدار البضاء , المغرب , بدون تاريخ .

34 - **مجهول من كتاب القرن 6هـ/12م** : الإستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ,مصر ,وبلاد المغرب) , نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ,مطبعة جامعة الإسكندرية, 1958.

35- **محمدبن سعد** : الطبقات الكبرى الجزء 7,5 ,دار صادر للطباعة والنشر ,1958.

36-**محمدبن محمد مخلوف** :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية , دار الكتاب العربي , بيروت, لبنان , بدون تاريخ .

37-**محمد بن أحمد أبي راس الناصر**: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار , تحقيق محمد غانم ,منشورات المركز الوطني للدراسات الأنتروبولوجية الثقافية والاجتماعية ,وهران , الجزائر , بدون تاريخ .

38-**هود بن محكم الهواري** : تفسير كتاب الله العزيز 4أجزاء , تحقيق شريفي بلحاج , دار الغرب الإسلامي, ط1 ,بيروت , 1990.

39-**الونشريسي أحمد بن يحي** : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب الجزء الثاني , خرجه جماعة من الفقاء بإشراف محمد حجي , دار الغرب الإسلامي , ,بيروت لبنان, 1981.

40-**اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح**: البلدان ,منشورات محمد علي بيضون ,دار الكتب العلمية , ط1 , بيروت لبنان ,2002.

2-المراجع :

1 -**إبراهيم محمد إسماعيل** : أئمة المذاهب الأربعة , دار الفكر العربي ,1978.

2-**أبو ريان محمد علي** :تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (المقدمات العامة ,الفرق الإسلامية وعلم الكلام) ,دار المعرفة الجامعية , ط 4 , القاهرة , 1986.

3 - **أبوزهرة محمد** : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد ج1, دار الفكر العربي ,مطبعة السعادة .

4- **أحمد أمين** :-فجر الإسلام ,دار الكتاب العربي ,ط, ,11, بيروت لبنان 1979.

-ضحى الإسلام الجزء 3, مكتبة النهضة المصرية ,ط7, مصر 1966.

-ظهر الإسلام الجزء الاول ,مكتبة النهضة المصرية ,ط4, مصر , 1966 .

5-**إسكندر محمد المختار** : المفسرون الجزائريون عبر القرون الجزء 1,دحلب للنّشر , بدون تاريخ .

6-**الأشقر عمر سليمان** : تاريخ الفقه الإسلامي , دار البعث , قسنطينة , الجزائر , 1990.

7-**الباروني سليمان بن عبد الله** : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية القسم الثاني ,دار البعث ,ط3, قسنطينة , 2002.

7-**الجنحاني الحبيب**: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي , دار الطباعة , بيروت ,لبنان , ط1, 1980.

8-**الفاخوري حنا وخليل الجر** : تاريخ الفلسفة العربية الجزء الأول , دار الجيل , ط3 , بيروت , لبنان , 1993.

ط1, 1980.

8-**الفاخوري حنا وخليل الجر** : تاريخ الفلسفة العربية الجزء الأول , دار الجيل , ط3 , بيروت , لبنان , 1993.

9 -**العربي إسماعيل** :- دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ,ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 1983.

-الصحراء الكبرى وشواطئها , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر ,1983.

- المدن المغربيّة المؤسّسة الوطنيّة للكتاب , الجزائر , 1984.,

10-**الدوري عبد العزيز** : التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي) ,مركز دراسات الوحدة العربية , ط 1, بيروت ,لبنان, 1984.

11-**الثعالبي عبد العزيز** : تاريخ شمال إفريقيا(منالفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية)جمع وتحقيق د.أحمد بن ميلاد ,محمد إدريس , مراجعة وتقديم حمادي الساحلي , دار الغرب الإسلامي ,ط, ,1,بيروت لبنان, 1987.

12-**المدني أحمدتوفيق** : ـــكتاب الجزائر , ,المؤسسة الوطنية للكتاب , ط2 , الجزائر , 1984.

ـــ المسلمون في جزيرة صقيلية وجنوب إيطاليا , المؤسسة الوطنية للكتاب , ط2 , الجزائر , 1985.

13 -**الرفاعي أنور** : الإسلام في حضارته ونظمه ,دار الفكر ,ط 2 , دمشق , 1982.

14-**الزين سميح عاطف** : الثقافة والثقافة الإسلامية ,دار الكتاب اللبناني ,دار الكتاب المصري , ط2 , القاهرة, 1979.

15 -**الشكعة مصطفى محمد:** الأئمة الأربعة , دار الكتاب المصري ,دار الكتاب اللبناني ,ط3, القاهرة بيروت,1991 .

16-**الشابي علي وحسن أبو لبابة وعبد المجيد النجار:** المعتزلة بين الفكر والعمل , الشركة التونسية للتوزيع , ط 2 تونس, 1986.

17 -**الصلابي علي محمد** : الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار الجزء الثاني , دار التوزيع والنشر الإسلامية, ط1, القاهرة ,مصر , 2006.

18-**الصعيدي عبد المتعال** :القضايا الكبرى في الإسلام ,دار شريفة للنشر والتوزيع ,بوزريعة , الجزائر , بدون تاريخ .

19-**الطالبي محمد:** الدولة الأغلبية 184-296هـ/800م-909م التاريخ السياسي ,ترجمة المنجي الصيادي , دار الغرب الإسلامي ,ط1, بيروت ولبنان, , 1985.

20-**الطمار محمد عمرو** : - تاريخ الأدب الجزائري , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر ,1981.

- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , , الجزائر 1983.

21- **العبادي أحمد مختار و سالم عبد العزيز:** تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , 1969.

22-**الميلي مبارك بن محمد** : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2 , تقديم وتصحيح محمد الميلي ,المؤسسة الوطنية للكتاب, دار الغرب الإسلامي لبنان , بدون تاريخ .

23-**باجية صالح** :الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1,تونس ,1972.

24-**بحاز إبراهيم بكير** : الدواة الرّستميّة, دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية ,ط2, القرارة , الجزائر , 1993.

25-**بدوي عبد الرحمن** : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين , وكالة المطبوعات ,دار القلم , ط4 , الكويت لبنان, 1980.

26- **برنيان أندري و نوشي أندري ولاكوست إيف:** الجزائر بين الماضي والحاضر , ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور

28-**بوحسون عمار**: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962,دار الغرب الإسلامي , ط1, بيروت لبنان, 1997 .

29-**بونار رابح** : المغرب العربي تاريخه وثقافته ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , , الجزائر , 1968.

30-**بورويبة رشيد وآخرون** : الجزائر في التاريخ الجزء 3 , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984.

31-**بوعزيز يحي**: الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الأول (الجزائر القديمة والوسيطة) , ديوان المطبوعات الجامعية ,ط2 , وهران والجزائر ,1995 .

32-**بوازار مارسيل**: إنسانية الإسلام , ترجمة د.عفيف دمشقية ,منشورات دار الآداب ,ط 1, بيروت لبنان ,1980.

33-**تيشكو آمنة**: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي , المؤسسة الوطنية للكتاب,الجزائر, 1989.

34- **حبوش طاهر جليل** : أوائل العرب عبر العصور والحقب الجزء الثاني , دارالكتب والوثائق , بغداد و العراق1991.

35-**حتي فليب وجرجي إدورد وجبرائيل جبور** : تاريخ العرب الجزء الثاني , دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ,ط4 , بيروت , لبنان ,1965.

36-**حسن ابراهيم حسن** : ـــــتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب مصر سوريا وبلاد المغرب, مكتبة النهضة المصرية, ط2, القاهرة مصر , 1958.

ــــ تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الإجتماعي ج2 , دار الجيل بيروت القاهرة تونس , مكتبة النهضة المصرية , ط15, القاهرة ,2001.

37-**حقي إحسان** : تونس العربية ,دار الثقافة بيروت , بدون تاريخ .

38-**خليفات عوض محمد** : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية , الجامعة الأردنية ,عمان و الأردن , بدون تاريخ .

39 -**دبوز محمد علي** : تاريخ المغرب العربي الكبير الجزء الثاني , دار إحياء الكتب العربية ,عيسى البابي الحلبي وشركاه , ط1 ,1963.

40- **زغلول عبد الحميد سعد** :المغرب العربي الكبير ج3, منشأة المعارف , الإسكندرية ,مصر 1990.

41 -**زينب الخضيري**: فلسفة بن خلدون ,دار الثقافة والنشر والتوزيع ,القاهرة ,مصر ,1409هـــ/1989م.

42-**سعدي عثمان** : عروبة الجزائر عبر التاريخ , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , ط1,الجزائر , 1982.

43- **شارل آندري جوليان**: تاريخ إفريقيا الشمالية الجزء الثاني (تونس الجزائر المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830, تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة , الدار التونسية للنشر , ط2, تونس, 1983.

44-**شريط عبد الله والميلي محمد مبارك** : مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,ط2 ,الجزائر ,1985.

45 -**شريط عبدالله** :-تاريخ الثقافة والادب في المشرق والمغرب,المؤسسة الوطنية للكتاب ,ط 3,الجزائر ,1983.

-الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر , ط1981,2.

46-**عبد الحكيم بلبع** : أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري , دار نهضة مصر للطبع والنشر ,ط2, القاهرة , 1969.

47-**عبد الرحمن طالب**: السنّة عبر العصور , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر 1984.

48-**عبد العزيز سالم** : ــــ المغرب الكبير الجزء الثاني (العصر الإسلامي) ,دار النهضة العربية , بيروت , لبنان , 1981.

ــــ محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة, مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية القاهرة, 2005.

49-عبد الرازق السامرائي نعمان :في التفسير الإسلامي للتاريخ , دار الشهاب , الجزائر . 1988
50-عبد الكريم يوسف جودت : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية , المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر ,1984.
51-عبد الوهاب حسن حسني : خلاصة تاريخ تونس ,الدار التونسية للنشر, ط2, تونس, 1983.
52-عنان محمد عبد الله : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية , مكتبة الخانجي ,ط2 , القاهرة مصر 1390هـ/1970م.
53-علي الحجي عبد الرحمن : أضواء على الحضارة والتراث ,شركة الشهاب للنشر والتوزيع , الجزائر , بدون تاريخ .
54 -فراج حسين أحمد:تاريخ الفقه الإسلامي ,الدار الجامعية , القاهرة ,1989.
55-فلهاوسن يوليوز : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأغلبية ,ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريرة , راجع الترجمة حسين مؤنس , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , ط 1958,2.
56-فيصل شكري : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتهاو مقوماتهاوتطورها الغوي والأدبي , دار العلم للملايين , ط 5 , بيروت ,لبنان , 1981.
57-فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , , الجزائر 1982.
58-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية , المطبعة العربية , , غرداية ,الجزائر أفريل1998 .
59-.قاسم علي سعد :جمهرة الفقهاء المالكية (من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب أعلام مالك الجزء 1 ,للقاضي أبي الفضل عياض) , دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث .
60-قويدر بشار:دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي,منشورات دحلب المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد , بوزريع والجزائر ,1993.
61- كحالة عمر رضا :دراسات إجتماعية في العصور الإسلامية , المطبعة التعاونية , ,دمشق 1973,1393.
62-لقبال موسى:- المغرب الإسلامي (منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم) ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر ط1, 1981.
-دور كتامة في الخلافة الفاطمية , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ,الجزائر ,1979.
63 -لومبار موريس : الإسلام في مجده الأول (القرن 8-11م/2-5هـ) ترجمة وتعليق إسماعيل العربي , المؤسسة الوطنية للكتاب , ط 1, الجزائر , 1979.
64-ماجد عبد المنعم : التاريخ السياسي للدولة العربية الجزء الثاني (عصر الخلفاء الأمويين) , مكتبة الجامعة العربية , ط3, بيروت ,لبنان , 1966.
65-معروف نايف: الخوارج في العصر الأموي (نشأتهم تاريخهم عقائدهم أدبهم) ,دار الطليعة للطباعة والنشر ,ط2, بيروت لبنان ,1981.
66- محمد بكوش يحي : الإمام جابر بن زيد الجزء الأول ,الدار العربية , غرداية ,الجزائر , 1988.
67- محمد الأخضر ضيف الله: محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية ,ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , بدون تاريخ.

تاريخ.

68-**محمد الخضري بك** : تاريخ الأمم الإسلامية الجزء الأول المكتبة التجارية الكبرى ,مطبعة الإستقامة ,ط6 ,القاهرة , مصر ,1376.

69- **مصطفى أبو ضيف أحمد**: ــ أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130م-1472م) ,مطبعة دار النشر المغربية ,ط, 1, الدار البضاء , المغرب, 1982

ــ القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر, 1982.

70-**معمر علي يحي** :الأباضية مذهب إسلامي معتدل , تقديم وتعليق أحمد بن سعود السيابي المطبعة العربية , غرداية الجزائر .

71-**محمد الصالح مرمول** :السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر 1983.

72-**مالك بن نبي** : ـــ مشكلة الثقافة ,ترجمة عبد الصبور شاهين , دار الفكر للطباعة والتوزيع ,ط,4, دمشق 1984

ـــتأملات مالك بن نبي , طبع في الجزائر بإذن من دار الفكر بدمشق ,ط,5,1991.

73-**محمد سليمان حسين**:التراث العربي الإسلامي , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , بدون تاريخ .

74-**محمد عيسى الحريري** : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296هـ , دار القلم للنشر والتوزيع , ط3, الكويت , 1987.

75-**محمد عبد الكريم الجزائري** : الثقافة ومآسي رجالها و شركة الشهاب الجزائر ,بدون تاريخ .

76-**ول وايرل ديورانت** : قصة الحضارة المجلد الأول, إعداد وترتيب محمد عبد المنعم , دار الجيل , ط1 , بيروت , لبنان , 1992.

77-ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير المجلّد 1 , ج2 ، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1979.

3- الأطروحات والرسائل الجامعيّة :

1-**الزاوي محمد منصور** : الحضارة الإسلامية بين تخريف ابنائها وتحريف أعدائها ,دراسة ماجستير 1990.

2-**لقبال موسى** : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشاتها وتطورها ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , ط, ,1, الجزائر, 1971.

3-**سليمان الحطيب**: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ,ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر ,بدون تاريخ .

4-**مجموعة من المؤلفين**: دراسة في تاريخ العلوم عند العرب , وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ,مركز احياء التراث العلمي العربي ,جامعةبغداد, 1986.

4-الدوريات والمجلاّت و الملتقيات:

1- محاضرات الملتقى ال5 للتعرف على الفكر الإسلامي وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ,وهران ,الجزائر , 27جمادي 1-10جمادي 2 , 1393 هـ/20جوان -10 أوت , 1971.

2-محاضرات ومناقشات الملتقى ال11 للفكر الإسلامي ورجلان المجلد الأول والرابع., 17-26صفر 1397هـ/06-15 فبراير 1977 .

3-حولية المؤرخ, العدد3-4, يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين , 2005 , ص 71 - 94.

4-مجلة الفكر العربي العدد 20, معهد الإنماء العربي ,ليبيا ,لبنان.السنة 3, مارس وأفريل 1981 .

5-حوليات جامعة الجزائر, العدد4 ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر, 1989 -1990 .

6-منشورات المجلس الإسلامي الأعلى العدد1محاضرات, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية , الرغاية الجزائر, الموسم الثاني ,1999-1998

7-مجلة الأصالة ,العدد1, الجزائر ,محرم 1391هـ/مارس1971 ,

8-محاضرات الملتقى ال13 للفكر الإسلامي الجزء الرابع , ط5 ,الجزائر , 1399هـ/1979م.

9-مجلة الفضاء المغاربي العدد2, مخبر الدراسات لأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي , جامعة تلمسان ,أفريل 2004 ,

10-مجلّة المورد المجلّد 9, العدد1 , دار الحرّية , بغداد , 1980 .

5- المعاجم :

1-**ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري** ,لسان العرب المجلد 2, تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ,إعداد وتصنيف يوسف خياط , دار لسان العرب ,بيروت .

2-**جمعية التراث** , أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر المجلد 1-2-3,المطبعة العربية ,غرداية ,الجزائر , 1999.

3-**مجموعة من المؤلفين** , المعجم العربي الأساسي , المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , 1989.

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية :

(1)- Badawi Abdurrahman: Histoire de la philosophie en Islam ,librairie Philosophique , place de la sorbonne , paris , 1972.

(2)- Cornevin Robert: histiore de L'Afrique tome 1 des origines au xvi siecle , Nouvelle edition payot, paris ., (S. D).

(3)- Dhina Amar: grands tournants de L'histoire de L'isLam de La bataille de badr à L'attaque d'Alger par charLes quint , 2eme edition société nationale d'edition et de Diffusion , Alger , 1982 .

(4)- Dhina Atalla: Les etats de L'occident musulman au XIII ,XIV et XV siecles office des publications universitaires , Alger (S . D).

(5)- Gautier .Emile. Felix , Le passe de L'Afrique du nord –les siecles obscurs - , Edition payot ,paris ,1964.

(6)- gardet Louis: Les hommes de L' islam , hachette 1971 .

(7)- Henri Laoust : Les schismes dans L'isLam –introduction à une etude de La religion musulmane - , payot, paris ,1965.

(8)- laroui Abdallah: L'histoire du magreb –un essai de synthese tome 1 , petite collection maspero , paris ,1976 .

(9)- mamtran Robert: L' expansion musulmane VII –XI siecle , 1ere edtion ,presse Uneversitaires de france ,1969 .

(10)- Sourdel Dominique et Sourdel Jamine : La civilisation de L'isLam classique , Les editions Arthand , paris ,France , 1983.

الملاحق

الملحق الأول

رسالة الإمام أفلح إلى نفاث بن نصر

(بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين . من أفلح بن عبد الوهاب إلى نفاث بن نصر , أما بعد فالحمد لله المنعم علينا , والمحسن إلينا ,ولا منّة لنا عليه ,وهو المحسن إلينا إذ هدانا لديه وجعلنا خلفا من بعد أسلافنا الصالحين ,وأئمّتنا المهتدين ,الذين في اتباعهم نرجو الهدى ,وفي مخالفتهم نخشى الهلكة ,ولن يهتدي من خالف العدل , ولن ينجو من ابتدع غير الحق ,لأنّ تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر , وكل كفر في النار .وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه , وأدعوك إلى رشدك,وفي كل ذلك لايبلغني من عمالنا فيك إلاّ ما أكره ولاأرضاه لدين ولا دنيا , حتى حرّرت كتابا إلى عمالنا أمرت فيه بخلع كل من خالف سيرة المسلمين وابتدع غير طريقهم , وسار بغير سيرهم ,وبنفيه وهجره وإقصائه ,فكتبت إلي كتابا كأنّك تسخط ذلك أترى أنّي أؤازر من ابتدع في ديننا؟ كلاّ , ماكنت بالذي يفعل ذلك , ولا أؤازر من يسعى في خلافنا ما كنا على الهدى . ثمّ قلت أنّ في كتابنا البراءة منك , فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصى من جماعتنا ,لأننا ماكتبنا كتابنا ذلك إلاّ على أنّ كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا , وزعم أنّ عمالنا أساقة وإنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم ,فهو محقوق بالبراءة , ومقصى من جماعة المسلمين . فإن تكن أنت منهم فأنت الذي أبحت لنا البراءة منك , وأحللت بنفسك ما لابدّ لنا أن نفعله بك وبغيرك ,وإن لم تكن كذلك فأظهر الانتقاد من ذلك , وكذّب على نفسك ما قيل عنك ,لتكون عندنا بالحالة التي تستحقّها وتستوجبها ...)

عن رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته , ص 142.

الملحق 2

مقتطفات من تفسير هود بن محكم

عن اسكندر محمد المختار : المفسرون الجزائريون عبر القرون الجزء 1 , ص51,50.

الملحق 3

ماجاء في العدل بين الصبيان (1)

حدّثني محمد بن عبد الكريم البرقي , قال :حدّثنا أحمد بن إبراهيم العمري ,قال :حدثنا آدم بن بهرام بن إياس , عن الرّبيع , عن صبيح عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيّما مؤدب ولّى ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلّمهم بالسّوية,فقيرهم مع غنيهم , وغنيّهم مع فقيرهم , حشر يوم القيامة مع الخائنين ".

عن موسى ,عن فضيل بن عياض ,عن ليث , عن الحسن قال :"إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم —أي الصبيان —كتب من الظلمة ."

(1) عن أبي عبد الله محمد بن سحنون التنوخي : كتاب أداب المعلمين , تقديم وتحقيق محمود عبد المولى , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , ط2 , 1981 ,ص 74.

الملحق4

المدوّنة الكبرى

أ–في استعانة المسلمين بالمشركين في الحروب

قلت: هل كان مالك يكره أن يستعين المسلمون بالمشركين في حروبهم , قال :" سمعت مالكا يقول :" بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لن استعين بمشرك" , قال :"ولم أسمعه يقول في ذلك شيئا" .قال ابن القاسم :" ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم إلاّ أن يكونوا نواتية أوخدما فلا أرى بذلك بأسا" .

عن الفضيل بن أبي عبد الله عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت :" خرج رسول الله قبل بدر فلمّا كان بحرّة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلمّا أدركه قال :" يارسول الله جئت لأتبعك وأصيب معك" ,فقال له رسول الله (ص) :"تؤمن بالله ورسوله ,قال : لا , قال: فارجع فلن أستعين بمشرك . قالت : ثمّ مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة , فقال له النبي : أ تؤمن بالله ورسوله , فقال :لا , قال : فارجع ,فرجع ثم أدركه بالبيداء فقال له كما قال له أول مرة , فقال : أتؤمن بالله ورسوله , قال: نعم , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانطلق .

وذكر بن وهب عن جرير بن حازم أن بن شهاب قال : إن الأنصار قالت يوم أحد : ألا نستعين بحلفائنا من اليهود , فقال رسول الله (ص) :لاحاجة لنا فيهم .

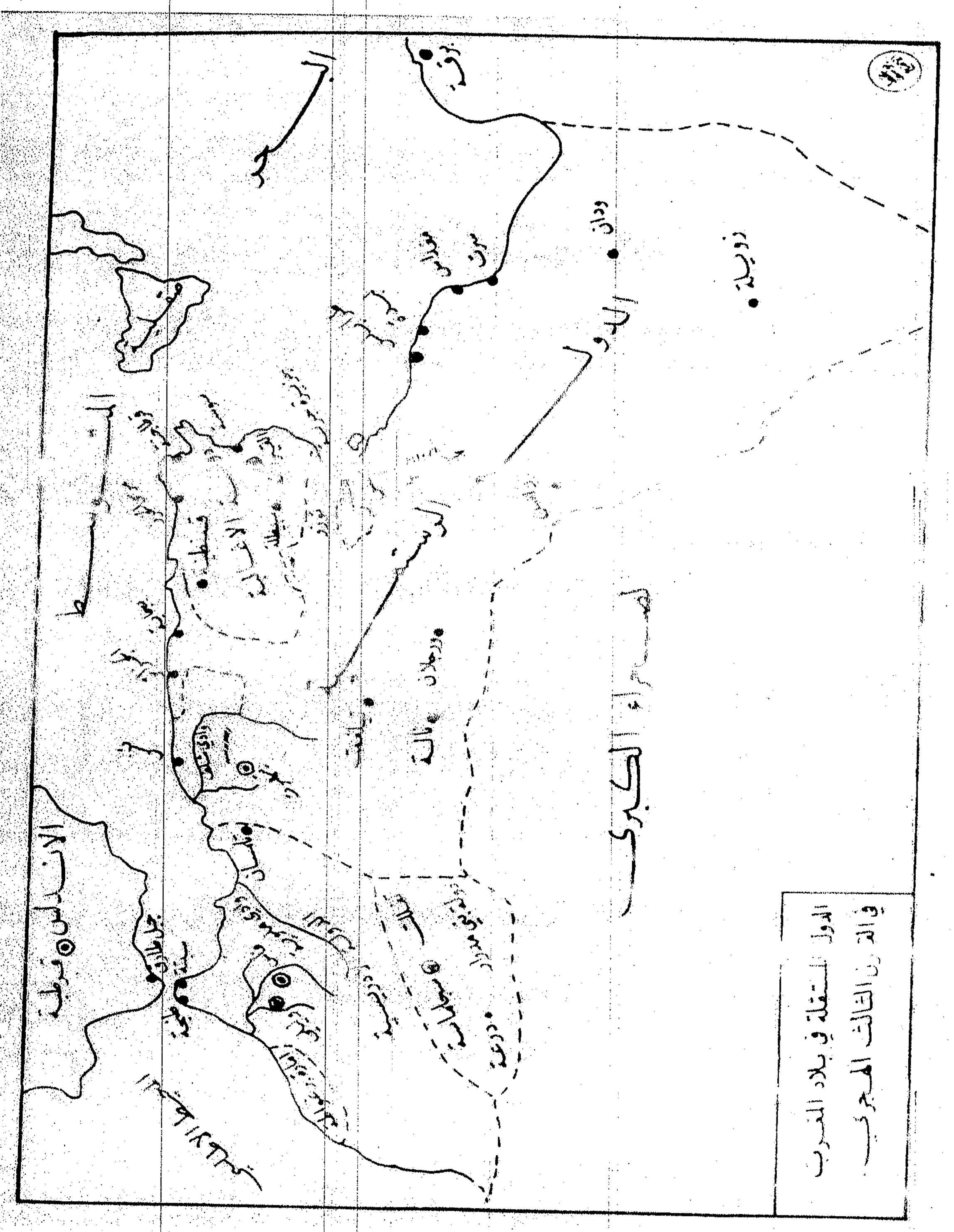
ب–في الصيد :

قلت أرأيت إن أرسل كلبه ونسي التسمية . قال : قال مالك كله وسمّ الله , قلت وكذلك في الباز والسهم ؟, قال : نعم كذلك هذا عند مالك .

عن سحنون بن سعيد التنوخي , المدونة الكبرى المجلد 2 ج3 , دار صادر , 1323هـ , ص 51,41,40.

الملحق 5

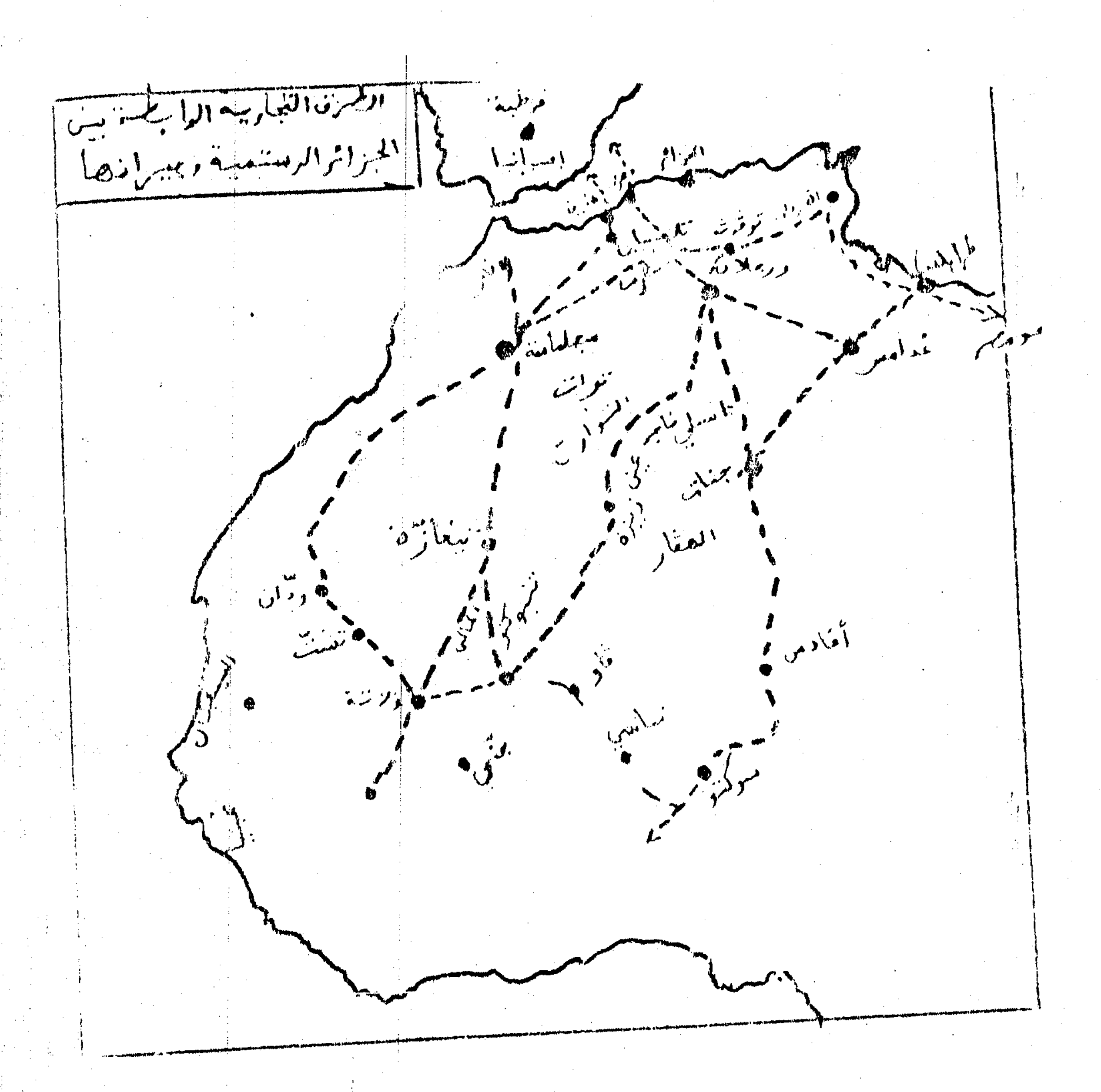
خريطة الدول المستقلّة في بلاد المغرب خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين الموافق للثامن والتاسع الميلاديين



عن عبد العزيز الفيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأمويّة في الأندلس ودول المغرب , ص 311

الملحق 6

خريطة المبادلات التجارية للدولة الرستمية



عن محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج , ص 96.

فهرس

فهرس الموضوعات